جواد عبد الهادي الفضلي

جدليّة الحركة والسّكون في مفهوم الانتظار

دار الولاء
لصناعة النشر

جَدَلِيَّة الحَرَكَة والسُّكُون
فِي
مَفْهُومِ الانتِظَار

دار الولاء
لصناعة النشر

الروشس، شارع الروشس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-757-4

جَدَلِيَّة الحَرَكَة والسُّكُون في مَفْهُوم الانتِظَار

المؤلف: جواد عبد الهادي الفضلي.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.
الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٤/٢٠٢٢م.

إخراج فني وتنفيذ:

eight

www.8eightproduction.com | 00961 3 017 565

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

جواد عبد الهادي الفضلي

جَدَلِيَّة الحَرَكَة والسُّكُون
في
مَفْهُومِ الانتِظَار

دار الولاء
لصناعة المستقبل

المحتويات

افتتاحية ١١

مقدّمة ١٥

تَوطِئَة ١٧

الباب الأوّل : الانتِظار فكرة وعمل

الفصل الأوّل: الانتِظَار أفضل التكاليف ٢٣

الانتِظَار تكليف شرعيّ ٢٥

الانتِظَار أفضل الأعمال التّكليفيّة ٣٠

الفصل الثاني: فكرة المُصلح المنتظر ٣٣

القضية والفكرة ٣٥

المنهج والفكرة ٤٣

اَلتَّوَاتُر وَالصِّحَّة ٤٥

الدّراسات حول المَهديّ ٥٠

الفصل الثالث: القوانين الإِلهِيَّة ٦٣

السُّنَن الإِلهِيَّة ٦٥
قانون وراثة الصّالحين ٦٧
قانون انتظار الفَرج ٧٠
سُنَّة الابتلاء والتّمحيص ٧٢
سُنَّة التّغيير ٧٧

الباب الثاني: الانتِظار مبدأ

توطئة الباب الثاني: (الانتِظَار: عقيدة ومنهج ونظام) ٨٥
الفصل الأوّل: (بين النَّبِيّ الخَاتم والقائم المُنتظر) ٨٩
المشتركات ٩١
الأوّل: تأسيس دولة العدل ٩٢
الثاني: وحدة السّيرة ٩٤
الفصل الثاني: قَائِدُ اَلتَّغيِير اَلكَبِير وَحُلم اَلأَنبِيَاء ٩٥
قائد التَّغيير الكبير ٩٧
حلم الأنبياء ١٠٥
الفصل الثالث: مبدأ الإمامة ومسألة الحُكم ١٠٩
مبدأ الإمامة ١١١
منهج دراسة مبدأ الإمامة ١٢٠

مسألة الحكم زمن الغيبة ١٢٣

الفصل الرابع: دولة الإمام ودولة الفَقِيه ١٢٩

دولة الإمام ١٣١

دولة الفَقِيه ١٤٣

نَظريَّة ولاية الفَقِيه ١٤٣

مَراحِل تَبلور نَظريَّة ولاية الفَقِيه نظريًّا وعمليًّا ١٤٥

مَرْحَلَة اَلسُّفَرَاء الأربَعَة ١٤٥

مَرْحَلَة الشّيخ المُفيد (ت ٤١٣هـ) ١٤٦

مَرْحَلَة العلّامة الحلّي والشّهيد الأوّل ١٤٦

مَرْحَلَة الشّيخ الكركيّ العامليّ (ت ٩٤٠هـ) ١٤٧

مَرحَلَة الفُقهاء الأربَعة ١٤٨

مَرحَلَة الأبطال الثلاثة ١٥٠

الباب الثالث: الانتِظار أمل

توطئة الباب الثالث (اِنتِظَارُ الفَرَج شمعة الأَمَل) ١٥٣

الفصل الأوّل: عوائِق الانتِظَار العمليّ الفكريّة ١٥٧

اختِطَافُ الهَويَّة ١٥٩

صِنَاعَة اَلتَّفَاهَة ١٦١

صِنَاعَة الجَهْل ١٦٦
ثقافة التّخديرُ الفكريّ ١٦٩
ثَقَافَة اليَأس ١٧٣
ظَاهِرَةُ الغُلُوّ ١٧٧
ظَاهِرَةُ اَلتَّقدِيس ١٨٣
لا لليَأس نعم للأمل ١٨٦
فكرة اليَأس ١٩٠
الفصل الثاني: أجيال الانتِظَار ١٩٣
أجيال الانتِظَار ١٩٥
أولاً: جيل الموطِّئين في النصوص الإسلاميّة ١٩٧
ثانياً: جيل الأنصار في الرّوايات الإسلاميّة ٢٠٥
الفصل الثالث: تَجْدِيدُ الفِكْر الدِّينِيّ وَحُجِّيَّة العُلمَاء ٢٠٩
ضَرُورِيَّة تَجدِيد الفِكر الدِّينِيّ ٢١١
حُجِّيَّة العُلمَاء (تَعَيُّنِيَّة لا تَعِينِيّة) ٢١٤
المُجتَهدُ المِثاليّ ٢١٦
الفصل الرابع: نَظَرِيَّات الانتِظَار ٢٢١
نَظريَّة الدُّعاء ٢٢٣

مُخرجات نَظريَّة الدُّعاء ٢٢٨
نَظريَّة التَّمهِيد ٢٣١
مُخرجات نَظريَّة التَّمهِيد ٢٣٧

الباب الرابع: عَوائِق الانتِظار العمليّ العالميّة

الفصل الأوّل: صراعُ الحَضارات ٢٤١
صراعُ الحَضارات الفكريّ ٢٤٣
صِرَاعُ الحَضَارَات الجُغرَافِيّ ٢٥٥
الفصل الثاني: اِسْتِهْدَافُ المَهدِيّ شَخصِيًّا ٢٥٩
استهداف اليهود للإمام المَهديّ ٢٦١
استهداف أمريكا للإمام المَهديّ ٢٧١
تَفجِيرُ مَرقَد الإِمَامَين العَسكَرِيَّين ٢٧٤
المُقترح الأوّل: حَوْكَمَة المُؤَسَّسَات اَلدِّينِيَّة ٢٧٩
نِظَامُ الحَوكَمَة ٢٧٩
مفهوم الحَوكَمَة ٢٨١
أهداف الحَوكَمَة ٢٨٢
مبادئ الحَوكَمَة ٢٨٤
أهَميَّة الحَوكَمَة ٢٨٥

لماذا الحَوكَمَة؟ ٢٨٦

المُقترح الثاني: أهَميَّة التَّمهِيد المؤسَّسيّ ٢٨٩

الملحق: أدب الانتِظَار ٢٩٧

المراجع ٣٠٩

افتتاحية

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الدَّعوَةِ النَّبَوِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الصَّولَةِ الحَيدَرِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ العِصمَةِ الفَاطِمِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الحِكمَةِ الحَسَنِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الشَّجَاعَةِ الحُسَينِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ العِبَادَةِ السَّجَّادِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ المَآثِرِ البَاقِرِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الآثَارِ الجَعفَرِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ العُلُومِ الكَاظِمِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الْحُجَجِ الرَّضَوِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الجُودِ التَّقَوِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ النَّقَاوَةِ النَّقَوِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الهَيبَةِ العَسكَرِيَّةِ.

السّلامُ عَلى صَاحِبِ الغَيبَةِ الإِلَهِيَّةِ.

السَّلَامُ عَلَيْك يَا بَقِيَّةَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ، السَّلَامُ عَلَيْك يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلقِهِ.

شَوق الانتِظار[1]

شَوقَاً إليكَ وفي يَمينِكَ بَيرَقُ ... ومَنازِلُ الدُّنيَا بوَجهِكَ تُشرِقُ
يَا أَيُّهَا (المَهديُّ) يا بنَ مُحمّدٍ ... يا مَنْ بنَهجِكَ سُؤلُنا يتَحقَّقُ
أَقبِلْ إمامَ العَصرِ أَصْلِح حَالَنا ... واغمُر تَصحُّرَنا بِغَيثٍ يُورِقُ
فنُفُوسُنا عَطشى سِقايَةِ صَالِحٍ ... مِن مَنهلِ طُهرٍ بِمَا يتَدَفَّقُ

أمل الانتِظار[2]

أنَا فِي انتِظَارِكَ طَالَ أوْ قَصُرَ المَدَى ... لا البُعدُ يُيؤِسُنِي ولا جَورُ العِدَا
مَا يَومُكَ المَوْعُودُ إلّا نَسْمَةٌ ... رُوحِيَّةٌ نُطفِي بِهَا لَهَبَ الصَّدَى
قَسَمًا بِسَيفِ أَبِيكَ حَيدَرَةِ الوَغَى ... نَحنُ العُطَاشُ الطَّالِبُو وِردَ الرَّدَى
مَا ضَرَّ مَن شَرِبَ الوَلاءَ مُعَتَّقًا ... أنْ لا يَرَى فِي خَمرِهِ إلّا الفِدَا

---

(١) الأبيات للشاعر محمّد حلمي زادة.

(٢) الرُّباعية لسماحة سيّدي الوالد ﷺ.

مقدّمة

الحمدُ لِلَّه وَسَلامٌ على عِبادِه الذين اِصطفَى.

وبعد.

فِي الكتَاب: رُؤَى لِعَدد غير قليل مِن أَعلَام المُسلمين حَول فِكرَة المَهديّ ومبدأ الانتِظَار، وأفكَار عَامَّة لَهَا عَلاقَة بِالفكرة والمبدأ.

حاولتُ التَّنسيق بَين الرُّؤى والأفكار بُغيَة التَّعَرُّف بِشَكلٍ دقيق على مبدأ الانتِظَار ومَا دار حوله مِن نقاشات، ولأجل ذَلِك بَوَّبْتُ الدِّراسة على شَكل تَوطِئة وأربعة أَبوَاب تلاهما مقترحان وملحق خصَّصتُهُ لأدب الانتِظَار.

بيّنتُ فِي التَّوْطئة نَظريّتي الانتِظَار، ومَبدأ الانتِظَار.

وخصَّصتُ الباب الأوَّل لمبدأ الانتِظَار كَفِكرَة وَعمَل.

وَجعلت الباب الثَّاني لمبدأ الانتِظَار كَعَقيدَة ونظام.

وَبيّنتُ فى الباب الثَّالث عوائق مَبدأ الانتِظَار العمليّ الفكريّة.

وتطرقت في الباب الرابع لعوائق مَبدأ الانتِظَار العمليّ العالميّة.

وَأمَّا بالنسبة للمقترحين، فكان الأوّل من نصيب حَوكمَة المؤسَّسات الدِّينيَّة، والثَّاني: لأهَميَّة التَّمهِيد المؤسَّسيِّ.

ولستُ أدري مَدى توفيقي في الدّراسة وطريقة تَبويبِها، فالموضوع دقيق وحسّاس ويَمس حاضر ومستقبل الأُمّة، فَضلاً عن كونَهَ يَمَسُّ ركناً من أركان العقيدة، ولا أحسبُ أنّ هذه الدّراسة ولا سابقاتها قد أوعتْ الموضُوع حَقَّهُ بالشكل الوافي.

وفوق كلّ هذا لي كبير الأمل في مُلاحظات ونقد المعنيّين بأمثال هذه الدّراسات بما يُصَحِّحُ الخطأ ويقوِّمُ الأود.

واللّه تعالى وليّ التوفيق وهو الغاية.

جواد الفضليّ

غُرة محرم ١٤٤٤هـ

تَوطِئَة

(أفضَل جِهاد أُمَّتي انتظار الفَرج)
النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

لَا يَخْفَى أَنَّ أَحَدَ أَهَمَّ الأسباب الرئيسيّة التي دعت المسلمين إلى الثّورة على السلطتين الأمويّة والعباسيّة هُوَ استهتارهم بثوابت الدّين الإسلاميّ فضلاً عن تغييرهم لكثير من معالمِهِ، وتبريرها باسم الدّين.

وأهمّ وأقوى تلكم الثّورات ـ كما يذكر التّاريخ ـ هي ثورات الشّيعة (العلوِيّين) التي كانت ـ بالإضافة لطابَعِها الاجتماعيّ والسّياسيّ ـ ثورات دينيَّة هدفُها إقامة النظام الإسلاميّ وفق المنهج الَّذِي خَطَّه النَّبِيّ ﷺ.

وقد تحمّل مُقَاوِمِي الشِّيعَة الأَبطَال فِي سَبِيلِ هذا الهَدَف مَا لَا تَتَحَمَّلُهُ الجِبَال اَلصُّمُّ، وَالتَّارِيخ حَافِل بِذِكرِ بُطُولَاتهم.

يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره:

وهَزَزنَا العُرُوشَ مِن عَهدِ (صَخرٍ) ومُـرُورًا بِعَهـدِ حُكمِ (الرَّشِـيدِ)

ويقول الدكتور محمود إسماعيل في معرض حديثه عن ثورات العلويّين: «وامتُحِنَ الشّيعةُ جميعاً أشقَّ الامتحان وأعسرَهُ، وخاصَّةً

في العراق وفي الكوفة بالذّات، وليس أدلّ من ذلك لعن عليّ وبنيه على منابر الأمويّين، واتّباع أساليب البطش من القتل وتقطيع الأطراف لكلّ مَن ثبت انتماؤه للحزب الشّيعيّ.

لقد وصل العداء للشّيعة إلى حدٍّ عدم الاعتراف بشهادة الشّيعيّ في دُور القضاء، والأخطر من ذلك حرمانهم من حُقُوقِهِمْ في العطاء، فضلاً عن إرهاق صغار المُلّاك بِالجِبَايَاتِ وَالمَغَارِم بِحَيْثُ أَصْبَحَ الفَلَّاح كَالمَتَاعِ يُوهَب وَيُبَاع»[1].

ويقول الدكتور شوقي ضيف، في سياق حديثه عن شعراء الشّيعة: «وإنهم ليتعقّبونهم وولاتَهُمْ ويعدّون أنفاسهم عدًّا»[2].

وكانت قمّةُ ثورات العلويّين في تَضحِية الإمام الحُسين عليه السلام بروحه الطّاهرة على صعيد كربلاء.

واستمرّت هذه الثّورات برعاية وقيادة أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى أن وقعت الغيبة الكبرى للإمام المَهديّ عليه السلام، حيث انقسم فقهاء الإماميّة بشأن الثّورة على الحكام المُستبدين، إلى قسمين: قسم قال بوجوبها، والقسم الآخر بخلافه.

ونتيجةً لهذا الانقسام كان دعم الثّورات يأتي من الفُقهاء القائلين بوجوبها، وفي أحيان كثيرة كانوا هُمْ قَادتها كالشَّهِيد الأوّل (صاحب اللُّمعة).

---

(١) أنظر: فرق الشّيعة بين التفكير السّياسيّ والنّفيّ الدينيّ، للدكتور محمود اسماعيل، ص١٦، سينا للنّشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

(٢) تاريخ الأدب العربيّ، شوقي ضيف، ص ٣١٧، دار المعارف، ط٧، مصر.

وَجَدَلِيَّة الثَّورَة وعدمها في زمن الغيبة لن تتوقف ما دام هناك أكثر من رأي أو نَظريَّة حول الموضوع.

والثّورة بحسب أدبيّات اليوم تعني (الانتِظَار الإيجابيّ أو العمليّ)، وعدمها يعني (الانتِظَار السلبيّ).

وَأَيًّا يَكُنْ فَنَحنُ نَقِف أمَام نَظَرِيَّتَين مُتبَايِنَتَين حَولَ مَفْهُوم الإنتِظَار:

الأُولى: (نَظريَّة الدُّعاء):

يرى القائلون بهذه النّظريّة أنّ مسؤوليّة تحكيم الإسلام في كلِّ مجالات الحياة في زمن الغيبة هي من وظائف الإمام المنتظر عليه السلام حصراً، ما يعني أنّ المؤمنين ليسوا مُكلَّفين بالإعداد لظهوره عليه السلام فضلاً عن التّفكير في إقامة الدّولة الإسلاميّة، أي أنّ واجبهم ينحصر في الالتزام بالعبادات والدّعاء بتعجيل الفَرج فقط.

الثّانية: (نَظريَّة التَّمهِيد):

يرى القائلون بهذه النّظريّة بوجوب التّمهيد، والاستعداد للظّهور المُبارَك أخلاقيًّا، وفكريًّا، وسياسيًّا، وعسكريًّا، ويهدف أصحاب هذه النّظريّة إلى إقامة الدّولة وفق منهج أهل البيت وتسليم رايتها للإمام المَهديّ عليه السلام حال ظهوره.

ولهذا فالبحث في مسألة الانتِظَار وما يرتبط بها ليس بحثًا ترفيًّا، أو حول قضيّة قليلة الجدوى، وإنّما هو بحث في صميم عقيدتنا وفي واقع حياتنا ومستقبلنا كأفراد ومجتمعات.

الباب الأوّل :

الانتِظَار فكرة وعمل

الفصل الأوّل : الانتِظَار أفضل التكاليف.

الفصل الثانيْ : فكرة المُصلح المنتظر.

الفصل الثالث : القوانين والسُّنَن الإلهِيّة.

الفصل الأوّل

الانتِظار أفضل التكاليف

الانتِظار تكليف شرعيّ.

الانتِظار أفضل الأعمال.

الانتِظَار تكليف شرعيّ

إذا ما عملنا بظاهر بعض الرّوايات الشريفة؛ فإنّ ذلك سيؤدي حتماً إلى شلّ فاعلية الأُمّة، وإيقاف الحركة والسعي نحو إقامة الحقّ والعدل.

لقد سلك هذا المنهج عدداً غير قليل من علمائنا القدماء والمعاصرين، فقالوا: بلزوم السكوت أمام الظلم والجور، وعدم مشروعية العمل لبناء الدّولة الإسلاميّة، لكن العُلمَاء المحققين، ناقشوا تلكم الرّوايات وكشفوا عن ضعف بعض أسانيدها، وفسروا ما كان منها صحيح السند، بما لا يؤدي إلى تعطيل قيم الإسلام وأحكامه.

يقول الشّيخ محمّد رضا المظفر: «ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي)، أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحقِّ من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل المسلم أبداً مُكَلَّف بالعمل بما أُنزِلَ من الأحكام الشّرعيّة، وواجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح، بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرد الانتِظَار لِلْمُصْلِحِ اَلْمَهْدِي وَالمُبَشِّرِ

الهادي، فإن هذا لا يسقط تكليفاً، ولا يؤجل عملاً، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم»[١].

وإذا ما آمنّا بأنّ الانتِظَار لازم من لوازم الاعتقاد بمبدأ الإمامة الذي هو أحد أصول العقيدة الإسلاميّة، فلا معنى حينئذٍ للقول:

- بأنّ تكليفنا في زمن الغيبة ينحصر في ترقّب ظهور الإمام المنتظر عليه السلام ليقوم بالقضاء على الكفر وتطبيق مبادئ الإسلام.
- ولا معنى للقول بأنّنا غير مكلّفين بالقيام بمسؤولية تحكيم الإسلام في كلّ مجالات الحياة زمن الغيبة، وبخاصّة مجالها السّياسيّ بدافع من إيماننا بأنّ مسؤولية تحكيم الإسلام في الحياة هي وظيفة الإمام المُنتظر عليه السلام.
- ولا مجال حينئذٍ للتّوهّم بأنَّ التّرقُّب من عقائد الإماميّة، فتتحوّل عقيدتنا بالإمام المنتظر إلى فكرة تخدير عن القيام بالمسؤوليّة المذكورة بسبب هذا التّوهّم[٢].

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «نحن مكلّفون ومأمورون بالانتِظَار، والإنسان المؤمن المنتظر هو ذلك الإنسان الذي يعيش حالة (التّأهُّب)، بحيث لو ظهر إمامكم - المُكلّف بتحقيق العدالة في العالم - في هذا اليوم، فيجب أن نكون أنا وأنتم متأهّبين»[٣].

---

(١) عقائد الإمامية، للشّيخ المظفر، ص ٧٩- ٨٠.

(٢) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، ص ٦٧.

(٣) من كلمة للإمام الخامنئيّ في حفل تخريج دفعة من الضبّاط في جامعة الإمام الحسين عليه السلام صباح يوم الأربعاء ١٠/ ٥/ ٢٠١٧م.

ويقول دام ظله: «لا يذهب التّوهّم بأحد إلى أنّ الإمداد الغيبيّ يعني جلوس الإنسان في زاوية من داره وغلق الأبواب على نفسه منتظراً تَدَخّل الغيب لإسعافه؛ فإنّ الغيب إنّما يتدخّل في ساحة القتال وميادين الصّراع السّياسيّ وفي ظلِّ صمود الشّعوب؛ للشدِّ على أفئدة أبنائها وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾[1].

ويقول دام ظله: «ليس الانتِظَار إهمالاً وقعوداً وسكوناً إلى أن تصلح الأمور بنفسها، وإنّما الانتِظَار حركةٌ وجهوزيّة»[2].

ويقول الشّيخ لطف اللّه الصافي الگلپيگانيّ قدس سره: «وليعلم أنّ معنى الانتِظَار ليس تخلية سبيل الكفّارِ والأشرار، وتسليم الأمور إليهم، والمراهنة معهم، وترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والإقدامات الإصلاحيّة.

فإنه كيف يجوز إيكال الأمور إلى الأشرار مع التّمكّن من دفعهم عن ذلك، والمراهنة معهم، وترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وغيرها من المعاصي التي دلَّ عليها العقل والنقل وإجماع المسلمين.

ولم يقلّ أحد من العُلمَاء وغيرهم بإسقاط التكاليف قبل ظهوره - يعني الإمام المنتظر-، ولا يرى منه عينٌ ولا أثرٌ في الأخبار.

---

(١) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٥ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلامية، ٢٠١٩م.

(٢) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٨ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

نعم. تدلّ الآيات والأحاديث الكثيرة على خلاف ذلك، بل تدلّ على تأكُّد الواجبات والتكاليف والتّرغيب إلى مزيد الاهتمام في العمل بالوظائف الدّينيّة كُلِّها في عصر الغيبة.

فهذا توهم لا يتوهمه إلا مَن لم يكن له قليل من البصيرة والعلم بالأحاديث والرّوايات»[1].

ويقول السّيد الخامنئي دام‌ظله: «الانتِظَار هو عملٌ لا بطالةٌ. فلا ينبغي الاشتباه وتصوّر أنّ الانتِظَار يعني أن نضع يداً فوق يد ونبقى منتظرين حتّى يحدث أمرٌ ما.

الانتِظَار عملٌ وتهيّؤٌ وباعثٌ على الاندفاع والحماس في القلب والباطن، وهو نشاطٌ وتحرّكٌ وتجدّدٌ في كلّ المجالات ... لا تسمحوا لليأس أن يسيطر على قلوبكم، فانتظروا الفَرج واعلموا أنّ هذا الفَرج سيتحقّق؛ وهو مشروطٌ بأن يكون انتظاركم انتظاراً واقعيّاً، وأن يكون فيه العمل والسعي والاندفاع والتحرّك... الانتِظَار حركةٌ وليس سكوناً، ليس الانتِظَار إهمالاً وقعوداً إلى أن تصلح الأمور بنفسها، الانتِظَار حركةٌ واستعداد. هذا هو انتظار الفرج.»[2].

ويقول الشّيخ مكارم الشيرازي دام‌ظله: «إنّ مسألة انتظار حكومة الحقّ والعدل وقيام المُصلح العالميّ (المَهديّ) تتركَّبُ في الواقع من عنصرين: عنصر (النّفي) وعنصر (الإثبات).

وعنصر النّفي هو: عدم التّكيّف مع الوضع الموجود.

---

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، للشّيخ الصافي الگلپيگاني، ص ٤٩٩.

(٢) إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، للإمام الخامنئيّ، ص ٣٧٤-٣٧٥.

وعنصر الإثبات هو: السعي إلى الوضع الأفضل»[١].

ويقول السّيد أسد الهاشميّ: «الانتِظَار في مذهب التشيّع ليس لفظاً أو قولاً، وليس توقّعاً فارغاً وأمنية مُجرّدة، بل هو فكرٌ وفعل، عمل وحركة، نضال وكفاح، سعي ومحاولة، صبر ومقاومة، جهاد وتضحية، لذا فهو مبدأ تمام الحركات والانتفاضات الإسلاميّة والثّورات والكفاح الشعبيّ، من رحلة رسول الإسلام الأكرَم ﷺ وسلّم وإلى يومنا هذا.

الانتِظَار ليسَ مسكِّناً آنيّاً، بل هو نهضة دائمة على الظُلم، وليس تصبُّراً، بل هو انتفاضة وتحرّك لإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل»[٢].

يقول الشاعر:

فكَأَنَّمـا التّمهيـدُ غيـرُ مُشَـرَّعٍ وكَأَنَّما الإسلامُ في السّردابِ[٣]

---

(١) الحكومة العالميّة للإمام المهديّ، للشّيخ مكارم الشيرازيّ، ج١، ص ٧٧.

(٢) ينظر: إقرار أعداء الإسلام ببنائيّة الانتظار، للسيد أسد الهاشميّ الشّهيديّ، مجلّة المهديّ، العدد ٧٣، رجب ١٤٣٦هـ.

(٣) البيت: للسّيد الفقيه حسين الخليفة من قصيدة له بعنوان: (غدير الانتظار).

الانتِظَار
أفضل الأعمال التّكليفيّة

ورد في الحديث عن رسول اللّه ﷺ: (أفضَل أعمَال أُمَّتِي انتِظارٌ الفَرَج).

وإذا ما دقَّقْنا النّظر في الألفاظ الواردة في الحديث الشريف سوف نجد أنّ النَّبِيّ ﷺ قد استعمل في هذا الحديث أسلوب التفضيل، ومعلوم أنّ هذا الأسلوب يُستعمل للدّلالة على ما يُفاضل به (يُفّضّلُ) شيء من شيء، والمُفاضلة هنا حصلت بين الأعمال التّكليفية (الصلاة، والصوم، الحجّ ...إلخ).

فـ(أفضل): هو اسم التّفضيل.

و(أعمال): هو المُفضَّل عليه.

و(انتظار الفرج): هو المُفضَّل.

فالانتِظَار عمل تكليفيّ بدليل تفضيله على ما سواه من أعمال.

والسّؤال الذي يفرض نفسه هنا: لماذا عُدَّ الانتِظَار أفضلَ الأعمال؟!!

سيتّضح الجواب من خلال هذا الاستعراض المختصر لمعنى (الولاية).

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «بُنِي الإسْلَامُ عَلى خَمسٍ: عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والحَجِّ والصَّوْمِ والوِلَايةِ»[١].

فالولاية كما هو واضحٌ عملٌ تكليفي بمعنى أنها فريضةٌ واجبةٌ كالصلاة، والصوم ...إلخ.

والولاية في حقيقتها ذات شِقَّيْنِ: أحَدهُما خاصٌّ بالإمام المعصُوم والآخر خاصٌّ بالمُكلَّفين.

الولاية الخاصة بالإمام:

تنقسم الولاية الخاصّة بالإمام إلى قسمين:

١. ولاية تشريعية: وهي ترتبط بحفظ الدّين الخاتم.
٢. ولاية سياسيّة: وهي ترتبط بإدارة شؤون الدّولة، فالإمام له الحقّ أن يفرض الجهاد، ويُقِرّ الضرائب، وكلّ ما يرتبط بمصلحة الأُمّة.

وبالإمكان ملاحظة هذا المعنى بشكلٍ واضح في حديث الغَدِير المتواتر.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله يوم غدير خُمّ: (ألستُ أَوْلى بالمؤمنينَ مِن أنفُسِهم؟

فقلنا: بلى يا رسول اللّه.

قال: فمَن كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالاهُ وَعَادِ مَن عَادَاه)[٢].

---

(١) الكافي، للشّيخ الكُلينيّ، ج ٢، ص ١٨.

(٢) مسند أحمد، الحديث رقم: ٩١٥.

فقوله ﷺ: (ألستُ أَوْلى بالمؤمنينَ مِن أنفُسِهم؟) هو عبارة عن استِفْهامٌ تَقْريريٌّ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ أوْلى بالمُؤمِنينَ وبالحُكْمِ فيهم مِن أنفُسِهم، أي أنَّ بيده ﷺ السلطات الثلاث (التّشريعيّة، والتنفيذية، والقضائية).

وقوله ﷺ: (فمَن كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ) يعني أنّ ما للنبيّ ﷺ على المؤمنين من صلاحيات هو للإمام عليّ عليه السلام.

الولاية الخاصّة بالمُكلَّفين:

الولاية المناطة بالمُكلَّفين كعمل من الأعمال ـ كما في نصّ الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام ـ ذات بُعدين:

الأوّل: الإيمان بدور الإمام المعصوم التّشريعي.

والثاني: الإيمان بدور الإمام المعصوم السّياسيّ.

وفي ضوء الإطلاق في الرواية فإنّ فريضة الولاية واجبة بحضور الإمام أو بعدمه.

ولهذا فـإنّ الولاية المناطة بالمكلفين لا تسقط في ظل غيبة الإمام عليه السلام بل تقتضي منهم العمل بجد على تهيئة الظروف للتعجيل بظهوره عليه السلام وذلك بإقامة الدّولة في أي بقعة كانت من الأرض، ليمارس عليه السلام الشق المناط به من الولاية وإقامة دولة العدل العالميّة.

وممّا تقدّم نخلص إلى أنّ الانتِظَار كعمل هو أفضل الأعمال فهو مُقَدَّمٌ حتّى على إقامة الصلاة بما اشتملت عليه من توحيد اللّه عزَّ وجلّ، والثناء عليه، وتمجيده، والابتهال إليه، ودعائه، والتّوكّل عليه جلَّ وعلا، وما سواها من أعمال.

الفصل الثاني

فكرة المُصلح المنتظر

القضية والفكرة.

الفكرة والمنهج.

التّواتُر وَالصّحّة.

الدّراسات المهدويّة.

المَهدِيّ والغَدير.

القضية والفكرة

(القائِمُ مِن وُلدِي اسمُهُ اسمِي، وكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، وَشَمائِلُهُ شَمائِلي، وَسُنَّتُهُ سُنَّتِي، يُقِيمُ النّاسَ عَلى مِلَّتِي وَشَريعَتي)[1].

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

تُعَدُّ فكرة المُصلح المُخلّص من الأفكار الدّينيّة الثابتة في جميع الرسالات السماويّة، وإن لم تُسمّ المُصلح المنتظر (مهديًّا) ولا دعوته الإصلاحية (مهدويّة)، فالنّصارى يعتقدون بعودة المَسِيح مُجَدَّداً، واليهود وهم ممن لا يعترفون بالمَسِيح، ما زالوا ينتظرون مسيحاً آخر - غير النَّبِيّ عيسى - سيأتي في هيئة ملك مِن نَسلِ داوُد (المَسِيح اليهودي).

والجدير بالذِّكر هنا أنّ المسلمين الشيعة تميّزوا عن جميع المذاهب الإسلاميّة والأديان السماويّة باعتقادهم بوجود المُخلص المنتظر معهم، وبمعرفة سيرته الذاتيّة بالكامل، وامتازوا أيضاً في إخراج الفكرة من متون الكتب إلى حيّز الواقع.

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥١، ص ٧٣.

وكيف ما كان فقد ذكر غيرُ مختصّ في الدّراسات المهدويّة أنّ النسبة الكبرى من أحاديث المَهديّ ـ التي فاقت الألفين حديث ـ قد جاءت عن طريق أهل السُّنَّة، وأنَّ أكثرها مُتَّفقٌ عليها بين الفريقين.

ومن تلكم الأحاديث المُتَّفق عليها، الأحاديث التي أشارت إلى تطابق اسم الإمام المَهديّ عليه السلام مع اسم النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنه من وُلد فاطمة عليها السلام، ما يلي:

- روى عبد اللّه بن مسعود عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (لَا تَذهَبُ الدُّنيَا حَتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِن أَهلِ بَيتِي يُوَاطِئُ اسمُهُ اسمِي)[1].
- روي عن أُم سلمة، قولها: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (المهديُّ من عِتْرَتِي من ولَدِ فاطمةَ)[2].

وإنّ اسمَهُ كَاسمِ النَّبِيّ وَجدُّهُ عَليٌّ وإنّ الأُمَّ فَاطمةُ الطُّهرُ[3]

ونقاط اتفاق المسلمين حول قضية المَهديّ عديدة، ومنها:

١. حتميّة ظهوره في آخر الزّمان.
٢. كونه من نسل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.
٣. ومن وُلدِ فاطمة عليها السلام.
٤. وأنَّ اسمه يواطئ (يوافق) اسم النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.
٥. وأنه يُسمّى بالمَهديّ.

---

(١) سُنن الترمذي، باب: ما جاء في المهدي، ج٦، ص ٤٠٢، رقم الحديث ٢٣٣١.
(٢) سُنن أبي داود، باب المهدي، ج ٢، ص ٣١٠، رقم الحديث ٣٧٣٥.
(٣) البيت للسّيد محسن الأمين العامليّ (صاحب أعيان الشيعة).

٦. وتواتر النصوص الواردة في المَهديّ.

ولا شكّ في أنَّ قضية المهديّ من علامات السّاعة.

قال رسول اللّه ﷺ: (لا تقوم السّاعَة حتّى يَملِكَ النّاسَ رجلٌ من أهلِ بيتي يواطئ اسمُهُ اسمي فيملؤها قِسطًا وعدلاً).

وقال ﷺ: (لا تقوم السّاعةُ حتّى يخرجَ عليهم رجلٌ من أهل بيتي فيضربهم حتّى يرجعوا إلى الحقّ)[١].

يقول الشّيخ يوسف البرقاويّ (ت١٤٣٠هـ): «إنّ موضوع المَهديّ من علامات السّاعة الكبرى واشراطها العظمى التي أخبر عنها رسول اللّه، فأشراط السّاعة الكبرى من الأمور الغَيْبِيَّة التي كلّف اللّه عباده بالتّصديق بها، والإيمان بمدلولها، وعقيدتنا تُملي علينا وجوب الإيمان بذلك»[٢].

ونقل عن السفارينيّ الحنبليّ، قوله: «من أشراط السّاعة التي وردت فيها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار من العلامات العظمى وهي أولها: أن يظهر الإمام المَهديّ المقتدى بأقواله وأفعاله الخاتم للأئمّة فلا إمام بعده، كما أنّ النَّبِيّ هو الخاتم للنّبوّة والرّسالة فلا نبيّ ولا رسول بعده»[٣].

---

(١) مجمع الزّوائد، ج ٧، ص ١٥.

(٢) عقيدة الأُمّة في المهديّ المنتظر، مجلّة البحوث الإسلاميّة، العدد ٤٩، ص ٣٠٣، عام ١٤١٧هـ.

(٣) عقيدة الأُمّة في المهديّ المنتظر، مجلّة البحوث الإسلاميّة، العدد ٤٩، ص ٣٠٤، عام ١٤١٧هـ.

وَمَا أَتَى في النَّصِّ مِنْ أَشرَاطِ . . . فَكُلُّهُ حَقّ بِلَا شَطَّاطِ

مِنهَا الإِمَامُ الخَاتَم النَّصِيح . . . مُحَمَّد المَهْدِي وَالمَسِيح

الفكرة في الأديان السماوية:

ولا شكّ في أنّ فكرة المهدي واحدة من القضايا الإسلاميّة العامّة التي أخذت طابعاً مذهبيًّا ـ كواقعتي الغَدِير وكربلاء ـ، بسبب عوامل سياسيّة وطائفيّة، طرأت عليها، فقولبتها في إطار مذهب أهل البيت، أو نطاق الطائفة الشّيعيّة، ممّا أفقدها طابَعَها العامّ.

يقول سماحة سيّدي الوالد ﷾: «وراحت تتغلغل في تمذهبها نتيجةَ دفع كثير من الدّراسات والبحوث، غير المقارنة، أو غير الموضوعيّة، التي تدور حول القضيّة على اعتبار أنها من عقائد مَذهَب مُعَيَّن، أو طَائِفَةٍ مُعَيَّنَة»[1].

ويُذْكَرُ أَنَّهُ عندما وصل خبر استشهاد زيد بن عليّ بن الحسين إلى ابن شهاب الزهري (ت١٢٣ه) المعروف ببغضِهِ لأهل البيت عليهم السلام، قال: «لماذا يستعجلون أهل البيت؟ وسيأتي يوم يظهر المَهديّ منهم»[2].

وفي هذا إشارة واضحة إلى أنَّ فكرة المَهديّ كانت متجذِّرةً في نفوس المسلمين وكانوا على علمٍ تامّ بالدّور الإصلاحيّ الذي سيقوم الإمام المَهديّ عليه السلام به يوما ما.

والجديرُ بالذّكر هنا أنّ جميع الرسالات السماويّة الثلاث توجد لديها فِرَقٌ تُمَهِّدُ لظهور المُصلح.

---

(١) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، مبحث تمذهب القضيّة، ص ١١.

(٢) سيرة الأئمّة الأطهار، للشّهيد مطهّري، ص ١٨٤، نقلًا عن مقاتل الطالبيّين، للأصفهانيّ.

جاء في العهد القديم من الكتاب المقدّس[١]: «لا تقلق لوجود الأشرار والظالمين، فسوف تنقطع سلالة الظّالمين، والمنتظِرون لعدل اللّه يرثون الأرض والذين لُعِنوا يتفرّقون»[٢].

الفكرة في غير الأديان السماويّة:

لم تختصَّ الأديان السماويَّة بفكرة المُصلح العالمي ودولته العادلة فحسب، وإنّما شملت المدارس الفكريَّة والفلسفيَّة غيرَ السماويّة أيضاً.

- ففي الدّيانة الهندوسيّة: جاء في الصفحة ٣٢١ من كتاب (ما للهند) بشارة بظهور المُنجي، ما نصّه: «في أواخر المرحلة الرابعة، يشيع الفساد في الأرض، ويساق الناس إلى الكفر، ويرتكبون المعاصي الكبيرة، ويحكمهم الأراذل، ويكون النَّاس في ذلك الزمان أشبه بالذئاب يأكل بعضهم بعضاً، ويُغيرُ بعضُهم بعضاً، ويفسد الكهنةُ ورجال الدّين، والحقُّ يكون مَعَ اللّصوص، ويُحتَقَر المتَّقون الزّاهدون... هنالك يأتي برهمّن كلا (رجل الدِّين الشّجاع المؤمن)، فيُطهِّر الاَرضَ مِنَ المُفسدين والخُبثاء، ويحفظ الطّيبين الطّاهرين»[٣].

- ويعتقد المجوس: «أنه سيظهر في آخر الزّمان رجل اسمه

(١) الكتاب المقدّس: مكون من كتابين: الأوّل هو العهد القديم (التّوراة)، والثاني هو: العهد الجديد (الإنجيل).

(٢) الكتاب المقدّس، سفر مزامير داوُد، المزمور ٣٧.

(٣) يُنظر كتاب: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، لأبي الرّيحان البيرونيّ (ت ٤٤٠هـ)، ص ٣٢١، عالم الكتب، بيروت، وهو أوسع كتاب وَصَلنا في وصف عقائد الهندوس.

أشيزريكا (ومعناه: الرّجلُ العالِمُ) يزينُ العالَمَ بالدّين والعدل، ثُمَّ يظهر في زمانه ... (بتيّاره)، فيوقع الآفة في أمره وملكه عشرين سنة ثُمَّ يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العلم، ويُحيي العدل ويُميت الجور، ويردُّ السُّنن المُغَيَّرةَ إلى أوضاعها الأُوّل، وتنقاد له الملوك، وتتيَّسرُ له الأمور، وينصرُ الدّين والحقّ، ويحصل في زمانه الأمن والدّعة وسكون الفتن وزوال المحن»[١].

وفي التراث الفكريّ الإنسانيّ الكثير من التّلميحات والتّصريحات حول فكرة المُصلح المنتظر، ومنها على سبيل المثال:

- قول المفكِّر البريطاني الشهير برتراند راسل (Bertrand Russell): «إنَّ العالَمَ في انتظار مصلح يُوحِّده تحت لواء واحد وشعار واحد»[٢]. ويذكر أنّ برتراند راسل قد شارك في تأسيس الأُمم المتحدة وطالب ان يكون للمنظمة جيش قوي بل أقوى جيش في العالم من أجل تحقيق ادنى قدر من الحكومة العالميّة[٣].

- وقول العالم الفيزيائيّ المعروف ألبرت أينشتاين (بالألمانية: Albert Einstein) صاحب النّظريّة النسبيَّة: «إنَّ اليومَ الذي يسودُ العالَمَ كلَّه فيه السّلامُ والصّفاءُ، ويكونُ الناس متحابّين، متآخين ليس ببعيد»[٤].

---

(١) الملل والنّحل، للشّهرستانيّ، ج ١، ص ١٢٨.

(٢) نقلًا عن: المهديّ الموعود ودفع الشبهات عنه، السيِّد عبد الرضا الشّهرستانيّ، ص ٦.

(٣) ينظر: الطور المهدوي، عالم سبيط النيلي، ص ١٦.

(٤) م. ن.

- وأدقُّ وأصرح من هذا وذاك ما قاله المفكِّر الإيرلندي المشهور جورج برنارد شو (George Bernard Shaw)، فقد بشَّر بحتميَّة ظهور المُصلح، وبلزوم أنْ يكون عمره طويلاً يسبق ظهورهُ، ويرى ذلك ضروريًّا لإقامة الدّولة الموعودة.

فقد قال في كتابه الإنسان السوبرمان - حسب ما نَقَلَهُ الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد في كتابه عن برنارد شو - في وصف المُصلح العالمي بأَنَّه: (إنسانٌ حيٌّ ذو بُنية جسديَّة صحيحة وطاقة عقليَّة خارقة، إنسان أعلى يترقَّى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل، وإنَّه يطول عمره حتَّى يُنيفَ على ثلاثمائة سنة، ويستطيع أنْ ينتفع بما استجمعهُ من أطوار العصور، وما استجمعهُ من أطوار حياته الطّويلة»[1].

ولهذا ففكرة المُصلح العالميّ ليست تجسيداً لعقيدة ذات طابع دينيّ فحسب، بل هي عنوان لطموح اتّجهت إليه البشريّة بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطريّ[2].

رأي الشّهيد الصّدر:

يقول السَّيِّد الشَّهِيد محمّد باقر الصّدر قدس سره: إذا كانت فكرة المَهديّ أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإنّ معالمها التفصيلية التي حدّدها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكلّ الطموحات التي انشدّت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الدّينيّ، وأغنى عطاءً، وأقوى إثارةً لأحاسيس

---

(١) برناردشو، للأستاذ عبّاس محمود العقّاد، ص ١٢٤.

(٢) سيرة الأئمّة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، ج ٢، ص ٥١٦، نقلًا عن نظرية الإمامة عند الشيعة، للدكتور أحمد محمود صبحي.

المظلومين والمعذّبين على مرِّ التاريخ، وذلك لأنّ الإسلام قد حوّل الفكرة:

- من غيبٍ إلى واقع.
- ومن مستقبلٍ إلى حاضر.
- ومن التّطلّع إلى مُنقذ تتمخّض عنه الدُّنيَا في المستقبل البعيد المجهول إلى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً، وتطلّعه مع المتطلّعين إلى اليوم الموعود، واكتمال كلّ الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم.

فلم يعد المَهديّ فكرةً ننتظرُ ولادتَها، ونبوءةً نتطلّع إلى مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعِلِيَّتَهُ، وإنساناً مُعيّناً يعيش بيننا بلحمِهِ ودمِهِ، نراه ويرانا، ويعيش مع آمالنا وآلامنا، ويُشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كلّ ما تزخر به السّاحة على وجه الأرض من عذاب المعذّبين وبؤس البائسين وظُلم الظالمين، ويكتوي بكلِّ ذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها أن يمدّ يده إلى كلِّ مظلوم، وكلّ محروم، وكلّ بائس، ويقطع دابر الظالمين[1].

---

(١) بحث حول المهديّ، السّيد محمد باقر الصّدر، ج ١، ص ٤٨.

المنهج والفكرة

لَا يَخْفَى أَنَّ لِكُلِّ حَقل مِن حُقُولِ المَعرِفَة الإِنسَانِيَّة مَنهَجَ بَحثٍ يَخُصُّهُ وَيَخْتَصُّ بِهِ، وَمِن هُنَا تَعَدَّدَتْ مَنَاهِجَ البَحث بِتَعَدُّدِ حُقُولِ المَعرِفَةِ.

والمنهج هو: «خُطُوَات مُنَظَّمَة يَتَّخِذُهَا البَاحِثُ لِمُعَالَجَةِ مَسْأَلَة أَوْ أَكثَر وَيَتَتَبَّعَهَا لِلوُصُولِ إِلى نَتِيجَة»[1].

وَلِكُلّ مَصدَر مِن مَصَادِر المَعرِفَة (الحِسّ، وَالعَقل، وَالوَحي، وَالإِلْهَام) مَنهَج بَحثٍ يَخْتَصُّ بِهِ.

فالحسّ: مجاله الدراسات والأبحاث العلميّة.

والعقل: مجاله الدراسات والأبحاث الفلسفيّة.

والوحي: مجاله الدراسات والأبحاث الدينيّة.

ومن هنا كانت الاقسام الرئيسيّة للمنهج العام ثلاثة، وهي:

- المنهج العلميّ أو المنهج التجريبيّ، ويعتمد التجارب العلميّة.
- المنهج الفلسفيّ أو المنهج العقليّ، يعتمد المبادئ العقليّة.
- المنهج الدينيّ أو المنهج النقليّ، ويعتمد النصوص الشرعيّة.

---

(١) معجم الصحاح الحديث: مادة نهج.

وَلِهَذَا عَلَى البَاحِثِ أَنْ يَأْخُذَ بِالِاعتِبَارِ الفُرُوق بَينَ مَجَالَات المَنَاهِج المَذكُورَة، وَاستِعمَال كُلِّ مَنهَجٍ فِي مَجَالِهِ.

وفكرة المهديّ شأنها شأن أية فكرة أخرى، فلابُدَّ أنْ تندرج ضمن قائمة من قائمات المعرفة الانسانية، فقد تكون دينية، وقد تكون فلسفية، وقد تكون علمية، على اختلاف فروع هذه الحقول المعرفية وتعدّد مجالاتها.

ولا شكّ في أنَّ فكرة المهديّ واحدة من أهمّ مسائل العقيدة الإسلاميّة الغَيْبِيَّة، والإيمان بها من الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب - بلا شكّ - من صفات المُتَّقين.

يقول ناصر الدّين الألباني: «إنّ عقيدة خروج المَهديّ عقيدة ثابتة متواترة عنه ﷺ يجب الإيمان بها؛ لأنّها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المُتَّقين، كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾، وإنّ إنكارها لا يصدر إلّا من جاهلٍ أو مُكابر»[1].

وبصفتنا مسلمين ينبغي أن نتحرَّك داخل إطار حضارتنا الاسلامية، وننطلق وفق معطياتها ومناهجها، وعلى هذا الأساس فإنَّ قضايا الغيب الديني ومنه (قضية المهدي) لا ينبغي أن تبحث أو تدرس إلاّ على اساس المنهج الدينيّ حصراً، فلا مكان للعقل هنا ولا التّجربة.

---

(١) مجلة التمدّن الإسلاميّ السنة ٢٢، المجلد ٢٧ و٢٨، ص ٦٤٦، المطبوعة ضمن موسوعة الإمام المهديّ عليه السلام عند أهل السُّنة، ج ٢، ص ٣٩١.

التَّوَاتُر وَالصِّحَّة

لا يخفى على الباحثين في الحديث الشريف وشؤونه أنّ عدد الأحاديث المتواترة قليل جدّاً إذا ما قُورِنَت بمجمل الأحاديث المرويّة عن النبيّ ﷺ، وأحاديث المَهديّ واحدة من تلكم الأحاديث المتواترة القليلة المُجمع عليها.

وسنكتفي - هنا - بعرض ثلاثة أقوال في المسألة، الأوّل والثاني لعَلَمَينِ من أعلام أهل السُّنَّة، والثالث لعَلَمٍ من أعلام الشيعة، ينصّون فيها على تواتر أحاديث المَهديّ:

يقول الشّيخ ابن بازٍ: «أمرُ المَهديِّ مَعلومٌ، والأحاديثُ فيه مُستَفيضةٌ، بَل مُتَواتِرةٌ مُتَعاضِدةٌ، وقَد حَكى غَيرُ واحِدٍ من أهلِ العِلمِ تَواتُرَها... وهيَ مُتَواتِرةُ تَواتُرًا مَعنَويًّا؛ لكَثرةِ طُرُقِها واختِلافِ مَخارِجِها وصَحابَتِها ورُواتِها وألفاظِها، فهيَ بحَقٍّ تَدُلُّ على أنَّ هذا الشَّخصَ المَوعودَ به أمرُه ثابتٌ وخُروجُه حَقٌّ»[1].

وقال أيضًا: (أمَّا إنكارُ المَهديِّ المُنتَظَرِ بالكُلِّيةِ كما زَعَمَ ذلك بَعضُ المُتَأخِّرينَ فهو قَولٌ باطِلٌ؛ لأنَّ أحاديثَ خُروجِه في آخِرِ الزَّمانِ، وأنَّه يَملَأُ الأرضَ عَدلًا وقِسطًا كما مُلِئَت جَورًا، قَد تَواتَرَت تَواتُرًا

(١) يُنظر: مجموع فتاوى ابن باز، ج ٤، ص ٩٨.

مَعنَويًّا، وكَثُرتْ جِدًّا واستَفاضَت، كما صَرَّحَ بذلك جَماعةٌ مِنَ العُلمَاء؛ مِنهم: أبو الحَسَنِ الآبريُّ السِّجِستانيُّ من عُلَماءِ القَرنِ الرَّابعِ، والعَلّامةُ السفَّارينيّ، والعَلّامةُ الشَّوكانيُّ وغَيرُهم، وهو كالإجماعِ من أهلِ العِلمِ، ولَكِن لا يَجوزُ الجَزمُ بأنَّ فلانًا هو المَهديُّ إلَّا بَعدَ تَوافُرِ العَلاماتِ الَّتي بيَّنَها النَّبيّ ﷺ في الأحاديثِ الثَّابتةِ»[1].

يقول الشّيخ يوسف البرقاوي: «والأحاديث الواردة في المَهديّ التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المُنجبر وهي متواترة بلا شكّ ولا شُبهة، بل يصدُق المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المُحررة في الأصول»[2].

ويقول الشّيخ الآصفيّ: «فهي كثيرة، متواترة – يعني النصوص في شأن المَهديّ –، وردت طائفة منها بطرق صحيحة. وقد جمع بعض العُلمَاء هذه الأحاديث في منهج علميّ قيّم، منهم: الشّيخ لطف اللّه الصّافي الگلپيگانيّ في كتابه القيّم (منتخب الأثر)[3] ومنهم الشّيخ عليّ الكورانيّ في موسوعة الإمام المَهديّ وغيرهما»[4].

فمن هذه الأقوال يتّضِحُ أنّ الأُمّة قد قبلتْ أحاديث المَهديّ عبر

(١) يُنظر: مجموع فتاوى ابن باز، ج ٤، ص ٩٨.

(٢) عقيدة الأُمّة في المهدي المنتظر، مجلّة البحوث الإسلاميّة، العدد ٤٩، ص ٣٠٨، عام ١٤١٧هـ.

(٣) جمع الشّيخ الصافيّ في كتابه (منتخب الأثر) الأحاديث الواردة حول المهديّ من كتب الفريقين فبلغت (٦٢٧٧) حديثاً.

(٤) بحث الانتظار الموجّه، للشّيخ الآصفيّ.

التاريخ، فلا خلاف بين الفريقين في تواترها.

قال الشاعر:

وقَد قالَ رَسول اللّه قَولاً قَد رَوينَاهُ وَذو العِلمِ بِما قَالَ إذا أدركَ مَعناهُ[1]

ويقول الحرّ العامليّ في أرجوزة:

تَـوَاتُـرُ اَلـنَّـصّ بِـأَنَّـهُ وُلِـدَ مِـن الفَرِيقَيـنِ وَأَنَّـهُ وجـد

معارضة ابن خلدون جُرأة عظيمة!!

اشتهر قول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ـ الشّاذّ ـ بعدم تواتر أحاديث المَهديّ، وقد ردّ عليه الكثير من علماء الحديث، ومنها قولهم: لا عبرة بمعارضة ابن خلدون لتواتر أحاديث المَهديّ؛ لأنه رجل تاريخ واجتماع وليس معدوداً في علماء الحديث، فلا يصحُّ أن يُقبلَ قولُهُ في مسألة حديثيّة ويُتركَ قولُ المئات من علماء الحديث، ومن تمسَّكَ بقولِهِ وتركَ قول الآخرين لا يعدو كونه نوعاً من المكابرة والتّعنّت.

وقال الشّيخ صدّيق حسن القنوجيّ في معرض ردّه على ابن خلدون: «فلا معنى للرّيب في أمر ذلك الفاطميّ الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلّة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النّصوص المستفيضة المشهورة البالغة حدّ التواتر»[2].

والجدير بالذكر ـ هنا ـ أنّ الدكتور أحمد أمين في كتابه (المَهديّ

---

(١) البيت: للفقيه كمال الدّين الشافعيّ (ت ٦٥٢ هـ).

(٢) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، للشّيخ صدّيق القنوجيّ، ص ١٤٦.

والمهدويّة) قد سار على نهج ابن خلدون في نقد تواتر أحاديث الغَدِير وتبنّى ذات الرأي، وقد ردّ عليه الشّيخ محمّد أمين زين الدّين في كتابه (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المَهديّ والمهدويّة)، فراجع.

صحّة أحاديث المَهديّ:

لا أحسب أنّ صحّة أحاديث المَهديّ بحاجة لإثبات بعد ما ثبت تواترها، خصوصاً إذا ما علمنا أنّ رواتها قد بلغوا ستة وعشرين صَحابِيًّا على أقلِّ تقدير، وهذا ما أشار إليه الشّيخ عبد المُحسِنِ العَبَّاد في محاضرة له، بقوله: «أنَّ الصَّحابة الذين رَوَوا أحاديثَ المَهديّ عن رَسولِ اللّهِ ﷺ سِتَّةٌ وعِشرون صَحابِيًّا»[1]. ثُمَّ عرض بعد ذلك اسماء الأئمّة الذين خرَّجوا الأحاديث والآثار الواردة في المَهديّ في كتبهم فبلغوا ثمانية وثلاثين.

وأحصى الشّيخ أبو طالب التبريزي (ت ١٤٢٩هـ) مئة وستين كتاباً من مصنَّفات أهل السُّنّة الذين أوردوا أحاديث المَهديّ في كتبهم[2].

ولا بأس في ذكر أقوال بعض علماء أهل السُّنَّة حول الموضوع:

- يقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): «إن الأحاديث التي يحتجُ بها على خروج المَهديّ أحاديث صحيحة رواها أبو داوُد والتّرمذيّ وأحمد وغيرهم»[3].

---

(١) يُنظر: عقيدة أهل السُّنَّة والأثر في المهديّ المُنتظر، ص ١٢٨. وقد استوفى الشّيخ العبّاد المسألة بحثاً في محاضرة له نشرتها مجلّة الجامعة الإسلاميّة، العدد الثالث، ١٩٦٩م.

(٢) يُنظر: مَن هو المهديّ، أبو طالب التجليل التبريزيّ.

(٣) منهاج السُّنة، ج٤، ص٢١١، المطبعة الكبرى الأميريّة، مصر١٣٢٢هـ.

- وذكر الشّيخ الألبانيّ (ت ١٩٩٩م) أسماء ستة عشر عالماً من كبار أئمّة الحديث قد صحّحوا أحاديث خروج المَهديّ[١].
- ويقول الشّيخ محمّد حسنين مخلوف مُفتي الدّيار المصريّة: «ننصح المسلمين بأن يَتقبَّلوا الأحاديث الصحيحة بقلوب مُطمئِنَة، ويؤمنوا بظهور المَهديّ في آخر الزمان إيماناً صحيحاً، ويتركوا الأقوال التي تهدم هذه الأحاديث»[٢].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٣٨، حديث رقم١٥٢٩، ط١، الدّار السلفيّة.

(٢) يُنظر: المهديّ، للأستاذ محمد إسماعيل المقدّم، ص ٨٨. الدار العالميّة، الإسكندريّة ٢٠٠٨م.

الدّراسات المهدويّة

وفيرة جدّاً هي الدّراسات التي تناولت القضيّة المهدويّة ومن كلا الفريقين.

ولعلَّ أشهرَ دراسات أهل السُّنَّة في عصرنا هذا، الدّراسة التي قام بها الدكتور عبد المحسن العبّاد المُدرِّس في الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوَّرة والمسجد النبويّ والموسومة بـ (عقيدة أهل السُّنَّة والأثر في المَهديّ المنتظر).

فيما بحث الإماميّة قضيَّةَ المَهديّ، على خمسة مستويات رئيسية:

أوّلاً: على مستوى وقوع ولادته:

يعتقد الإماميّةُ أنّ الإمامَ المَهديّ عليه السلام قد وُلِدَ عام ٢٥٥ ه، وأُخفي أمرُ حملِه وولادته ونشأته إلّا على ذويه، وخصوصاً الأتباع من الشيعة، لِما كانت الحكومة العباسية تمارسه آنذاك من الضّغط الشّديد والعمل المُكثَّف للعثور عليه عن طريق البحث والتفتيش، والتّهديد والوعيد، حتّى اقتضى الحالُ بأهلِهِ إلى الانتقال به من سَامَرَّاء إلى بغداد في وضعٍ شديد السّريِّة.

والنّقول والرّوايات التّاريخيّة عندهم في هذا الموضوع قد فاقت حدّ التواتر[1].

---

(١) أثبت الشّيخ المفيد في الإرشاد، ص ٣٤٦، والشّيخ الشعرانيّ في اليواقيت والجواهر، =

وتُعدّ ليلة ولادة الإمام المَهديّ عليه السلام عند الإماميّة واحدةً من أهمِّ ليالي السّنة، وتلي في أهميتها لياليَ القدر المباركة، واليوم الذي ولد فيه هو يوم عيدٍ وفرح عندهم.

ثانياً: على مستوى بقائه حيًّا:

بحث الإماميّة مسألة بقاء الإمام عليه السلام حيًّا مُدَّةً طويلةً من الزمن - تتجاوز الحدود الاعتيادية لعمر الإنسان - على صعيدين: فلسفيّ وعلميّ.

فعلى الصعيد الفلسفيّ، يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره: «من المعلوم أنّ الاستحالة ما لم ترجع إلى البداهة لا تُعد استحالة.

وبتعبير فلسفيّ: إن الاستحالة إذا لم ترجع بالنهاية إلى اجتماع النقيضين لا تُعدّ استحالة.

وهنا في مسألتنا: من البداهة بمكان أنّ بقاء إنسان ما حيًّا آلاف السنين يتمتع بعمر فوق الاعتيادي؛ وكون أناس آخرين لا يتمتعون بعمر فوق الاعتيادي لا يلزم منه اجتماع النقيضين، وذلك لاختلاف موضوع كلّ من القضيتين.

فمثلاً: اعتبار خالد في هذا الآن غير موجود، واعتبار محمّد في الآن نفسه موجوداً، لا يلزم منه اجتماع الوجود وعدمه في إنسان واحد،

= ج٢، المبحث ٦٥، ولادة الإمام المهديّ عليه السلام في العام ٢٥٥ هـ، وهما من أجلّة المحقّقين لدى الفريقين، وللمزيد ينظر كتاب: الإمام المهديّ المُصلح العالمي المنتظر، فقد ذكر مؤلّفه الشّيخ محمد جواد الطبسيّ، في الصفحتين ٣٤ - ٣٥، أسماء عشرين عالِماً من علماء أهل السُّنَّة قالوا بولادة الإمام المهديّ عليه السلام.

وذلك لاختلاف ومغايرة موضوع القضيّة الأولى وهو خالد لموضوع القضيّة الثانية وهو محمّد..

ومن المعلوم بالضرورة أنّ مِن أوليات شروط التناقض وحدة موضوع كلّ من القضيتين».

أمّا على الصعيد العلميّ، فالعِلم - كما هو معلوم بالبداهة - يعتمد على التجربة التي تعطي نتائج متطابقة إذا جرت في ظروف متشابهة، ولهذا لا يصح تعميم نتائجها في حال اختلفت الظروف.

فمن الطبيعي ألا يعيش الإنسان مدة أطول من المعتاد في الظروف الاعتيادية.

نعم، بالإمكان بقاء الإنسان حياً إذا تغيرت الظروف الاعتيادية.

فمسألة بقاء الإنسان حيًّا مُدَّةً طويلةً من السنين ليست مستحيلة، لا فلسفياً ولا علمياً، وإنّما هي من المسائل المُمكنة.

ثالثاً: على مستوى وقوع المسألة:

أثبت الإماميّة إمكانية وقوع المسألة بأربعة أشكال من الأدلة، على النحو التالي:

- **الدليل النقلي**: وأعني به النّصوص الواردة في الموضوع، من قبيل:

قول رسول اللّه ﷺ: «مَن ماتَ ولم يعرف إمامَ زمانِه مات ميتةً جاهليّة»[1].

---

(١) قال العلّامة بهجت أفندي من علماء أهل السنّة في تاريخ آل محمّد: ص ١٩٨: «لما =

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «لا تخلو الأرضُ من قائمٍ لله بِحجّة، إمّا ظاهرٍ مشهور، وإما خائفٍ مغمور، لِئلّا تبطُلَ حججُ اللّه وبيّناتُه».

يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره: «بعد إثبات إمكانية بقاء الإمام المنتظر عليه السلام حيًّا، نستطيع أن نُدرجها ضمن قائمة المسائل الغَيْبِيَّة فِي الشَّرِيعَةِ الإسلاميّة، التي لا تقتضينا في مجال الاعتقاد بها أكثر من إثبات إمكانها عن طريق العقل، وإثبات وقوعها عن طريق النقل، كمسألة (المعاد) ونظائرها.

ولا أخال أنَّ الوفرة من النقول الواردة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله بمختلف طرقها وأسانيدها شِيعِيَّة وَسُنِّيَّة غير كافية، وبخاصّة حينما يثبت تواترها».

- **الدليل التاريخي**: وخلاصته، أنّ التاريخ يُثبتُ وجود نظائر للإمام المنتظَر عليه السلام في طول العمر، أمثال: النبيّ نوح عليه السلام الذي عاش ألفَ سنةٍ إلّا خمسينَ عاماً يدعو قومه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

والإنسان العاقل إذا صدّق بشيء صدّق بمثيله.

يقول آية اللّه الحسين بن تقي بحر العلوم قدس سره:

= كان حديث من مات و لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة الجاهلية متّفقا عليه بين علماء المسلمين قلما يوجد مسلم لا يعتقد بوجود الإمام المنتظر ونحن نعتقد أنَّ المهدي صاحب العصر والزمان ولد ببلدة سامراء وإليه انتهت وراثة النبوة و الوصاية والإمامة وقد اقتضت الحكمة الإلهية حفظ سلسلة الإمامة إلى يوم القيامة فانَّ عدد الأئمة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله محصورة معلومة وهي اثنا عشر بمقتضى الحديث المُعتبر المروي في الصحيحين الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش». نقلاً عن كتاب: مَن هو المهديّ، لأبي طالب التجليل التبريزيّ.

ويَا صِنوَ شَيخِ المُرسَلينَ[1] إلى الوَرى بجَذرِيهِ التّطهّرِ وَالمدِّ في العُمرِ

- **الدليل العقائدي**: وخلاصته، إنَّ إرادةَ اللّه تعالى وقدرتَه، التي أعدَّت الإمام صاحب الزمان صلوات اللّه عليه ليومه الموعود، هي التي تُعطيه البقاء، وتمنحُه العمرَ الطّويل.

- **الدليل العلمي**: وموجزُه، إنّ جماعة من العُلمَاء المحدَثين أمثال: الدكتور ألكسيس كارل، والدكتور جاك لوب، والدكتور ورن لويسي وزوجته، وغيرهم، قاموا بإجراء عدّة تجارب في معهد «روكفلر» بنيويورك على أجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والإنسان. وكان من بين تلكم التجارب ما أُجرِي على قِطَع من أعصاب الإنسان وعضلاتِه، وقلبِه، وجلده، وكليَتيه... إلخ. فرُئي أنّ هذه الأجزاء:

١. إنّ هذه الأجزاء الخلوية تبقى حيّة ما لم يعرض لها عارض يُميتُها؛ إمّا من قلّة الغذاء، أو من دخول بعض الميكروبات.

٢. إنّها لا تكتفي بالبقاء حيّة، بل تنمو خلاياها وتتكاثر، كما لو كانت باقية في جسم الحيوان.

٣. إنّه يُمكن قياس نُموِّها وتكاثرها، ومعرفة ارتباطهما بالغذاء الذي يقدّم لها.

٤. إنّه لا تأثير للزمن، أي أنّها لا تشيخ ولا تضعف بمرور الزمن، بل لا يبدو عليها أقل أثر للشيخوخة، بل تنمو وتتكاثر هذه

---

(١) شيخ المرسلين: النبيّ نوح عليه السلام.

السنة، كما لو كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين.

وَتَدُلّ الظَّوَاهِر كُلّهَا على أنّها ستبقى حيّة نامية، ما دام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها[١].

وللمُستشرق المُستبصر الفرنسي هنري كوربان (Henry Corbin) كلام منطقي حول هذا الموضوع، فيقول عن سبب اعتناقه مذهب أهل البيت عليهم السلام: «لأنّ مذهب التّشيّع هو وحده الذي يعتقد ـ بعد ختم النّبوّة بالرّسول محمّد صلى الله عليه وآله - باستمرار رابطة الهداية والتكميل عبر ولاية الأئمّة الباقين والذي لابُدّ من وجود أحدهم حيًّا إلى يوم القيامة».

يقول الشاعر:

وإنْ كُنتَ في ريبٍ لِطولِ بَقائهِ فَهلْ رَابكَ الدَجال والصَالح الخضرُ[٢]

رابعاً: على مستوى حتميّة ظهوره:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: (لَو لَم يَبقَ مِن الدَّهرِ إِلَّا يوم لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِن أَهْلِ بَيتِي يَملَؤُهَا عَدلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا)[٣].

---

(١) ينظر: مجلّة المُقتطف، موضوع: (هل يخلد الإنسان في الدُّنيَا)، مج ٥٩، ج ٣، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) البيت للفقيه الشّيخ محمّد جواد البلاغيّ (ت ١٣٥٢ هـ)، كان شاعراً وأديباً ومُتمكِنًا من بعض اللّغات الحيّة كالفارسيّة والإنجليزيّة والعبريّة، كما كانت له مشاركة سياسيّة بارزة في ثورة العشرين.

(٣) يُنظر: سُنن أبي داوُد، ج ٢، ص ٣١٠. ومُسند أحمد، مج ١، ص ١٩٩. ومقدّمة ابن خلدون، ص ١٧٢.

قال رسول اللّه ﷺ: (لا تَنقَضِي الأَيَّام، وَلا يَذهَبُ الدَّهرُ حَتَّى يَملِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِن أَهلِ بَيتِي)[١].

وقال ﷺ أيضاً: (مِن صُلبِ الحُسَينِ يَخرُجُ الأَئِمَّةُ التِّسْعَة وَمِنهُم مَهدِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ)[٢].

وحتمية الظهور من الأمور المجمع عليها؛ لذلك لا أرى ضرورةً للوقوف عندها طويلاً.

وما أودُّ الإشارة إليه – هنا – هو أنّ ظهور القائم عليه السلام ربما سيكون في ظهورين:

الظهور أصغر: لا يعرف به إلّا القادة الموطّئون؛ ليتدارس معهم خطّةَ الدّولة العالميّة.

الظهور الأكبر: ويكون بعد أن يرتب عليه السلام الأوضاع مع القادة.

فكما كان له عليه السلام غيبتان سيكون له عليه السلام ظهوران.

يقول الشاعر:

وتَأَمَّــل الكــونَ الفســيحَ فإنَّــهُ وطَــنُ الهُــدَى وعمــارةُ الألبَابِ
وإرادةُ اللّــهِ التــي لابُــدَّ مِــن تَحقِيقِها بالصَّاحِبِ الجوَّابِ[٣]

---

(١) مُسند أحمد، ج ١، ص ٣٧٧.

(٢) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٣٦، ص ٣١٨.

(٣) البيتان من قصيدة بعنوان: غدير الانتظار، للفقيه السّيد حسين الخليفة.

خامساً: على مستوى إمامته:

أشبع الإماميّة مسألة إمامة صاحب العصر عليه السلام وهو بعدُ لم يبلغ الحلم بحثاً ودراسةً، ويكاد كتابٌ حولَ المَهديّ عليه السلام لا يخلو إلّا وقد بُحثت فيه هذه المسألة.

ولا يخفى عليك عزيزي القارئ أنّ الذي تكفل بإعداد النَّبِيّ عيسى عليه السلام وهو في المَهد، ووهبَ الحكمة للنبيّ يحيى عليه السلام وهو صبيّ، لابُدّ ـ عقلاً ـ من أن يتكفّلَ بإعداد الشّخص الذي اصطفاه لإقامة دولة العدل الإلهِيَّة العالميّة.

يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره: «ويرتفع هذا النوع من الاستغراب حينما نعلم أنّ الإمامة هبة يمنحها اللّه تعالى مَن يشاء من عباده، ممّن تتوافر فيه عناصر الإمامة وشروطها، شأنها في ذلك شأنُ النّبوّة.

وهو ما بُرهن عليه في مجاله من مُدوَّنات وكُتب الإمامة عند الشيعة بما يربو على التوفية»[1].

ويقول السَّيِّد صدر الدّين الصدر: «إنّ المَهديّ المنتظر قام بالإمامة، وحاز هذا المنصب الجليل، وهو ابن خمس سنين، طفل لم يبلغ الحُلم.

فهل يجوز ذلك؟! أم لابُدّ في النَّبِيّ والرّسول والخليفة أن يكون بالغاً مبلغ الرجال؟!

هذه مسألة كلاميّة، ليس هنا محلّ تفصيلها، ولكن على وجه

---

(١) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، ص ٢٤.

الإجمال، نقول: ـ بناءً على ما هو الحقّ من أنّ أمر الرّسالة والإمامة والنّبوّة والخلافة بيد اللّه سبحانه وتعالى، وليس لأحدٍ من النّاس فيها اختيار ـ يجوز ذلك عقلاً، ولا مانع منه مع دلالة الدليل عليه؛ لأنّ اللّه سبحانه وتعالى قادر على أن يجمع في الصبيّ جميع شرائط الرّسالة والإمامة»[1].

أقول:

إنّ قضيّة الإمام المَهديّ عليه السلام وغيبته الكبرى ـ بلا شكّ ـ تستحقُّ أكثر بكثير ممّا كُتِبَ حولها من بحوث ودراسات وما نُظم بشأنها من أبيات، ومقطوعات، وقصائد شعرية.

---

(١) المهديّ، للسّيد صدر الدين الصّدر، ص ١٠٧.

المَهديّ والغَدير

يَومُ الغَدِيرِ عَلَى المَدَى مُتَأَلِّقُ وشذاه مِنْ أَرَجِ المسَرَّةِ يَعبَقُ[١]

ما بين الغَدِير وبين قيام الامام المُنتظر عليه السلام تلازم عضويّ، فالغَدِير مشروع اللّه عزَّ وجلّ ورسوله الخاتم لتحقيق الفرج الإلهيّ الشامل للعالَم، والإمام المُنتظر هو بقيَّةُ اللّه لتحقيق هذا الفرج، وانتظاره يعني العمل على توفير قواعد النُّصرة والإعانة لتحقيق هذا الفرج.

ولو تمخَّضَ عن بيعة الغدير قيام حكومة الإسلام الإلهيّة، لكانت هي الأمل ولكانت هي النهضة المهدويّة، ولكنَّ غدر حزب المنافقين واستيلاءهُ على السُّلطَة، حوّل الغَدِير إلى نَظريَّة من دون تطبيق.

كما أنّ استمرار سير الأُمّة على منهج المُنافقين القاضي بإقصاء أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن الحُكم، أدّى إلى أن تطول غيبة الإمام المعصوم، ويطول معها أمد الفجر المنتظر منه تطبيق حكومة الإسلام (حكومة الغَدير الإلهيّة)[٢].

وإذا ما تأمّلنا في خُطبة يوم الغَدِير سنجد أنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد رَكَّزَ فيها على ذكر القائم المَهديّ، فقد ذكره صلى الله عليه وآله في غير موضع من الخُطبة،

---

(١) البيت لشاعر القطيف الكبير السَّيِّد عدنان العوَّاميّ.

(٢) للمزيد حول الموضوع يُنظرُ كتابنا: الغدير أم السّقيفة، دار الولاء للنّشر، بيروت، ٢٠٢١م.

ولا شكّ أنَّ في دلالة ذلك على الأهَمِّيَّة البالغة التي كان يوليها ﷺ لهذه القضيّة[١]:

ففي أحد مقاطع الخُطبة، قال ﷺ: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، النُّورُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ مَسْلُوكٌ، ثُمَّ فِي عَلِيٍّ، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنهُ إِلَى القَائِمِ المَهْدِيِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِحَقِ اللَّهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا).

وفي مقطعٍ آخر فصّل ﷺ فيه الحديث حول القائم المَهديّ عليه السلام بقوله ﷺ:

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَلَا وَإِنِّي مُنْذِرٌ وَعَلِيٌّ هادٍ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي نَبِيٌّ وَعَلِيٌّ وَصِيِّي.

أَلَا إِنَّ خَاتَمَ الأَئِمَّةِ مِنَّا القَائِمُ المَهدِيّ.

أَلَا إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ.

أَلَا إِنَّهُ المُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ الحُصُونِ وَهَادِمُهَا.

أَلَا إِنَّهُ قَاتِلُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.

أَلَا إِنَّهُ مُدْرِكٌ بِكُلِّ ثَارٍ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَلَا إِنَّهُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ.

أَلَا إِنَّهُ الغَرَّافُ فِي بَحْرٍ عَمِيقٍ.

أَلَا إِنَّهُ يَسِمُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ وَكُلَّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ.

---

(١) الاحتجاج، للطبرسيّ، ج ١، ص ١٣٨ – ١٦٠.

أَلَا إِنَّهُ خِيرَةُ اللَّهِ وَمُخْتَارُهُ.

أَلَا إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلمٍ وَالمُحِيطُ بِهِ.

أَلَا إِنَّهُ المُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالمُنَبِّهُ بِأَمْرِ إِيمَانِهِ.

أَلَا إِنَّهُ الرَّشِيدُ السَّدِيدُ.

أَلَا إِنَّهُ المُفَوَّضُ إِلَيْهِ.

أَلَا إِنَّهُ قَدْ بُشِّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

أَلَا إِنَّهُ البَاقِي حُجَّةً، وَلَا حُجَّةَ بَعْدَهُ، وَلَا حَقَّ إِلَّا مَعَهُ، وَلَا نُورَ إِلَّا عِنْدَهُ.

أَلَا إِنَّهُ لَا غَالِبَ لَهُ وَلَا مَنْصُورَ عَلَيْهِ.

أَلَا وَإِنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحَكَمُهُ فِي خَلقِهِ، وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ).

وفي مقطع آخر قال ﷺ: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَئِنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَقَصَّرتُمْ أَوْ نَسِيتُمْ، فَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ، وَمُبَيِّنٌ لَكُمُ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدِي وَمَنْ خَلَّفَهُ اللَّهُ مِنِّي وَمِنْهُ يُخْبِرُكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُ لَكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

أَلَا إِنَّ الحَلَالَ وَالحَرَامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُمَا وَأُعَرِّفَهُمَا فَآمُرَ بِالحَلَالِ وَأَنْهَى عَنِ الحَرَامِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، فَأُمِرْتُ أَنْ آخُذَ البَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصَّفْقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذِينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ أَئِمَّةٌ قَائِمَةٌ مِنْهُمُ المَهدِيُّ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ الَّذِي يَقْضِي بِالحَقِّ).

يقول الشاعر:

وَانصتْ إلى صَوتِ الغَديرِ خَريرُهُ في النَفْسِ طُهْرُ الذكْرِ في المِحرَابِ
بايعْ عَليَّاً في انتِظارِ حَفيدِهِ الـ ـمَهديِّ تنهض بالزّمانِ الكابي[1]

(١) البيتان: من قصيدة بعنوان: غدير الانتِظَار، للفقيه السّيد حسين الخليفة.

الفصل الثالث :

القوانين الإلهيّة

قانون وراثة الصّالحين.

قانون انتظار الفَرج.

سنّةُ الابتلاء والتمحيص.

سنّةُ التّغيير.

السُّنَن الإِلهِيَّة

تَحدَّثَ الكثير من آي القرآنُ الكريم عن السُّنَن أو القوانين الإِلهِيَّة.

والمراد بها: السُّنَن التي تجري على النّاس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين.

ووردت لفظة (سُنة) في القرآن سبعَ عشرةَ مرّةً، وكلّها تشير إلى الطُّرقِ التي عاشتها الأُمم التي سبقتنا، وهي بهذا تكون بمثابة قوانين إلهيّة ثابتة لا تتغيّر ولا تتبدّل.

وقسَّم غيرُ باحثٍ السُّنَنَ الإِلهِيَّة، إلى أربعة أقسام، على النحو الآتي:

- السُّنَن الكونيّة.
- السُّنَن النفسيّة.
- السُّنَن الاجتماعيّة.
- السُّنَن التّاريخيّة.

وهذا ما يفسِّرُ كثرَتها، فالسُّنَن الإِلهِيَّة هي الحاكم الثابت في الواقع الخارجيّ، ولهذا يتوجَّبُ على كلّ مسلم معرفة هذه السُّنَن؛ لأنها بمثابة منهج شامل للحياة.

فالسُّنَن الإِلهِيَّة هي التي تمكِّنُ الإنسان المُسلم من تكوين رؤية سليمة

حول الكون والإنسان، ولا شكّ في أنّ من له إلمام بهذه السُنن تختلف رؤيته كثيراً عن نظرة مَن لا عِلمَ له بها.

يقول الشّيخ محمّد عبده: «... والعلم بسُنن اللّه من أهمّ العلوم وأنفعها...»(١).

ويقول الدكتور عليّ جمعة: «وإذا كان السّلف الصالح قد أبدعوا علوماً فريدة تميّزوا بها عن سائر الأُمم بما يشهد على شريعتهم بالصلاحيّة لكلِّ زمان ومكان، مثل علم الفقه الذي يعالج الأفعال البشريّة وبيان حكم اللّه فيها، فإنّ الواجب يُحتِّمُ علينا في عصرنا هذا أن نُظهر هذا العلم المكنون في القرآن الكريم وهو علم السُّنَن؛ ليكون معيناً لنا على التّبصّر بكيفيّة السلوك الصحيح في الحياة، وحتى لا نقع في الخطأ والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو ممّا حذَّرنَا اللّه منه ونظفر بما وعد اللّه به عباده المؤمنين المُتَّقين»(٢).

ولأنّ هذه السُّنَن هي التي تَهَبُ الأملَ للموطِّئين ارتأيت أن أُسلِّطَ الضّوء على أربعة منها، ترتبط بموضوع الدراسة.

---

(١) يُنظر: تقديم الدكتور عليّ جمعة، لكتاب: (سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها)، للباحث الجزائريّ محمد هيشور.

(٢) م. ن.

قانون وراثة الصّالحين

(لَو لَم يَبقَ مِن الدَّهرِ إِلَّا يَوم لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِن أَهْلِ بَيتِي يَمْلَؤُهَا عَدلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا)[1].

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

من الآيـات التي تشيرُ إلى حتميّة نصر اللّه تعالى للصالحين والمستضعفين:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾، سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ سورة القصص، الآية: ٥.

وهاتان الآيتان وإن لم تكونا نازلتين في أصحاب الإمام المَهديّ حصراً، إلّا أنهما ـ بلا شكّ ـ من مصاديق الآيتين.

نقل الشّيخ الطبرسيّ (رض) في تفسير الآية الأُولى: عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قوله: «هم أصحاب المَهديّ عليه السلام في آخر الزّمان»[2].

---

(١) يُنظر: سُنن أبي داوُد ج ٢، ص ٣١٠. ومسند أحمد، مج ١، ص ١٩٩. ومقدّمة ابن خلدون، ص ١٧٢

(٢) تفسير مجمع البيان، للشّيخ الطبرسيّ، ج ٧، ص ١٢٠.

ويقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: «وهاتان الآيتان، وإن كانتا واردتين، في قصَّةِ أمر موسى عليه السلام وفرعون وهامان[1]، فإنّ الإرادة الإلهيَّة لإمامة المُستضعفين المحرومين مُطلقة وغير مقيّدة بشيء إلّا الاستجابة لما يدعو اللّه تعالى إليه المؤمنين من الإيمان والعمل الصالح.

وهذا الوعد الإلهيّ بإمامة المستضعفين في الأرض يمنح المؤمنين المستضعفين قوّةً وثقةً وطمأنينةً، ومقاومةً وصبراً على تحمّل متاعب السّاحة والصراع، وثباتاً على الأذى، ويثبّت أقدامهم على أرض المعركة شأنهُ في ذلك شأن أيّ انتظار حقيقي للإنقاذ، يبعث الأمل في نفوس المقاتلين في ساحات القتال.

وفي وسط المعركة، في مواجهة فرعون وهامان يُثبّت رسول اللّه موسى عليه السلام قومه من بني إسرائيل في ساحة المواجهة والمعركة، بوعد اللّه وانتظار الفَرج، وانتظار المددِ من اللّه تعالى»[2].

رأي الدكتور منصور العبادي:

يقول الدكتور منصور العباديّ[3] في بحث قيّم نشره في موقع إعجاز القرآن والسُّنَّة على الشّبكة العنكبوتيّة حول قانون وراثة الصّالحين للأرض في الكتب السماويّة: «عندما قمتُ بالبحث عن موضوع

---

(١) زعم السّيد كمال الحيدريّ في سلسلة محاضرات له حول المُخلّص المُنجي، أنّ الإمامية يستدلّون على ورود ذكر المهديّ في القرآن الكريم بهاتين الآيتين وآيتين أُخريين، وهذا خلاف الواقع، فهذا الشّيخ الآصفيّ وهو من كبار علماء الإماميّة المعاصرين يُصرح بأنّ الآيتين لم تنزلا بخصوص المهديّ، وبشكلٍ واضحٍ وصريح.

(٢) الانتظار الموّجه، للشّيخ الآصفيّ.

(٣) أستاذ هندسة الاتصالات في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنيّة.

وراثة الصّالحين للأرض في العهد القديم لم أعثر على هذا الموضوع بأيِّ شكلٍ من الأشكال إلّا في موضعين:

الأوّل: في الإصحاح الخامس من إنجيل متّى وبشكلٍ مقتضب وهي جملة «طُوبَى لِلوُدَعَاءِ؛ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ».

أمّا الموضع الثاني: فقد كان في سفر مزامير داوُد عليه السلام.

ولو قُدِّرَ أن تمّ كتابة عنوان لكلِّ مزمور من المزامير لكان عنوان هذا المزمور بدون تردُّد قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وذلك لكثرة ما ترددت هذه العبارة في المزمور.

ويعلِّقُ الدكتور على ما تقدّم، بقوله: «إن تكرار نصّ أنّ عباد اللّه الصّالحين هم مَن سيرث الأرض بهذا الشكل اللافت للنّظر في هذا المزمور - بينما تخلو منه بقيّة أسفار العهد القديم والعهد الجديد البالغ عددها ٧٣ سفراً باستثناء جملة واحدة في إنجيل متّى - يُعتبَرُ دليلاً قاطعاً على أنّ الذي أشار به القرآن الكريم إلى وجود نصّ في الزبور يتحدث عن موضوع وراثة الأرض».

ولا شكّ في أنّ الوعد الإلهيّ للمستضعفين يحتاج إلى عمل والعمل لا يكون إلّا في مقاومة الاستبداد بقوّة الفكر والسلاح معاً.

وهذا ما تحقَّقَ عمليًّا في ثورة المُصلح الكبير الإمام الخميني قدس سره، وهو ما تقوم به حركات التحّرر المُوطّئة للإمام المنتظر عليه السلام أيضاً.

قانون انتظار الفَرج

(المُنتَظِرُ لِأَمرِنَا كَالمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللّه)[1]

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٨ـ١٢٩.

إِذَا مَا تَدَبّرنَا الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَينِ نَجِد أَنَّ الخِطَابَ القُرْآنِيَّ - وإن كان يتحدث عن نبي اللّه موسى عليه السلام وقومه - فيه دروسٌ وعبر للمؤمنين، ومنها: وجوب الاستعانة باللّه تعالى، ووجوب الصبر، وأنّ العاقبة للمُتَّقين.

يقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: يحاول نبيّ اللّه موسى عليه السلام أن يُشعر بني إسرائيل في ساحة المعركة، وفي ساعة المواجهة، بثلاثة أمور:

- الأمل باللّه تعالى.
- ووعد اللّه تعالى.

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ١٢٣.

- وانتظار الفَرج.

فقد ربط موسى عليه السلام بين (الصَّبر) و(الانتِظَار) لوعد اللّه: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾.

ويحاول بنو إسرائيل أن يعيدوا نبيّهم عليه السلام من انتظار المستقبل إلى مرارة الحاضر.

فيقولوا له: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ﴾.

فيعود عليه السلام إليهم مرّةً ثانية؛ ليعيدَهُمْ بالنَّبرة نفسها المطمئنة إلى انتظار وعد اللّه والصَّبر على الأذى حتّى يأذن اللّه بالفَرج، وهو قريب: ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾.

إذن فإنّ اللّه تعالى يريدُ لهذه الأُمّـة أن يُثقّفها على (الوراثة) و(الانتِظَار)، وراثة الأنبياء والصَّالحين وانتظار وعد اللّه تعالى بالفَرج وإمامة الصَّالحين.

فحركة التوحيد يحفّها من جانب قانون (الوراثة) ومن جانب آخر قانون (الانتِظَار).

و(الوراثة) و(الانتِظَار) هما أهمّ أعمدة حركة التّوحيد في مسيرها الطّويل الشّاقّ، وعلينا أن نُثقّف أنفُسنا بهذه الثّقافة القُرآنيّة المُزدوجة (الوراثة) و(الانتِظَار)[1].

---

(١) الانتظار الموّجه، للشّيخ الآصفيّ.

سُنَّة الابتلاء والتّمحيص

(إِنَّ عَظِيمَ البَلاءِ يُكَافَأُ بِهِ عَظِيمُ الجَزَاءِ
فَإِذَا أَحَبَّ اللّه عَبْداً ابْتَلاهُ بِعَظِيمِ البَلاءِ)[1]

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

لا خلاف بين المسلمين في أنّ سُنَّة الابتلاء والتّمحيص واحدة من سُنن اللّه تعالى في خلقه، والآي الكريمة التي تشير إلى هذه السُّنَّة الإلهيّة في القرآن الكريم وفيرة.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ سورة العنكبوت، الآية: ٢.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

وقال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٤١-١٤٢.

وسُنَّة الابتلاء لا تختصّ بزمن معين، فقد أُبتلِي المسلمون بعد وفاة

(١) الكافي، للشّيخ الكلينيّ، ص ٢٥٣.

رسول اللّه ﷺ بمسألة الإمامة (الخلافة) التي شَقّت المسلمين إلى فريقين.

ومسألة الانتِظَار باعتبارها من صميم مبدأ الإمامة هي الأخرى محلُّ ابتلاء وتمحيص.

رُويَ عن النبيّ ﷺ، أنه قال: (ليُصيبنّ بلاءً يُصيبُ هَذهِ الأُمّة، حَتَّى لا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْم، فَيَبْعَثُ اللّهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتي فَيَمْلَأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً)[1].

يقول سماحة سيّدي الوالد ﷺ: «في ضوء ما تُعطيه اللُّغة لمعنى (الانتِظَار) حين تحدِّدُهُ بالتّرقُّب والتّوقع، قد يَتَوَهَّم البعض: أنّ علينا أنْ نعيش في فترة الغيبة مُترقّبين ظهورَ الإمام المنتظر عليه السلام فحسب.

إنّ هذا التّوهُّمَ لا مكانَ له إذا ما علمنا أنّ ما يُفادُ من الانتِظَار في إطار واقعه كلازم من لوازم الاعتقاد بالإمام المنتظر عليه السلام يتنافى وهذا اللّون من التوهّم تمامَ المنافاة؛ لأنه يتنافى وواقع العقيدة الإسلاميّة التي تضُمُّ عقيدة الإمامة كجزء مهمّ من أجزائها»[2].

ولهذا فالانتِظَار بهذا المعنى من الأمور الابتلائيّة.

وفي ضوء هذا المعنى للانتظار، وفي ضوء كونه من واجبات المُكلّفين، فهو من السُّنن الإبتلائيّة، فإمّا أن يَتَرَقَّب المُكلَّف الظهورّ

---

(١) منتخب الأثر، ص ٤٢٢، الفصل السادس، الباب الثاني، الحديث ١٧. وانظر: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

(٢) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، ص ٦٨.

المباركَ للإمام المنتظر وحسب، وإمّا أن يُمهِّدَ لظهوره الشّريف بالعمل والحركة.

وعلى هذا الأساس سيكون التّمحيص الإلهيّ في القضيّة المهدويّة.

رُويَ عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: «مع القائم عليه السلام من العرب شيء يسير!! فقيل له: إنّ مَن يصف هذا الأمر منهم لكثير!!

قال عليه السلام: لابُدّ للناس مِن أنْ يُمحّصوا، ويُميّزوا، ويُغربلوا، وسيخرج من الغربال خلقٌ كثير»(١).

وروي عنه عليه السلام قوله: «أمَا وَاللهِ لَيَغِيبَنَّ عَنْكُمْ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ، وَلَيَحْمُلَنَّ هَذَا حَتَّى يُقال: مَاتَ، هَلَكَ، فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكَ»(٢).

والمراد بالتّمحيص: التّنقية بأخذ الشيء الجيّد وإبعاد الشّيء الرّديء.

والمراد بالتّمييز: التّفرقة بين شيئين بموجب خصائص معيّنة، والمراد هنا معرفة الناس على حقيقتها بالاختبار.

والمراد بالغربلة: نخل الشيء بالغربال.

يقول السّيد ثامر العميدي: «وقول الإمام الصادق عليه السلام: (وسيخرج من الغربال خلقٌ كثير) ليس اعتباطاً إذن، وانّما هو يحكي عن حقيقة ثابتة نطق بها القرآن الكريم بذمِّ الكثرة ومدح القلّة في كثير من الآيات البيّنات: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهريّ، ج ١، ص ١٨٦. وانظر: بحار الأنوار، للعلّمة المجلسيّ، ج ٢، ص ٨.

(٢) الكافي، للشّيخ الكلينيّ، ص ٣٣٦.

ونظرة واحدة إلى القرآن الكريم تكشف أنّ قانون التمحيص الإلهيّ لم يختصَّ بفئة أو أُمّة من الناس، بل هو قانون عام للبشريّة في جميع مراحل تاريخها، ويدلنا على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

ومن غير شكّ أنّ قانون التّمحيص لابُدّ من أنْ يكون أشدّ وآكد إذا ما اقترن أمره بإعداد النُّخبة الصّالحة التي ينبغي أنْ تعيش الاستعداد الكامل لنصرة الحقّ وأهله، من خلال انتظارها لدولة الحقّ المُرتقبة على يد المُنقذ العظيم الإمام المَهديّ عليه السلام.

لقد أراد اللّه عزَّ وجلّ أنْ يكون التّمحيص في الغيبة الكبرى لإمام العصر والزمان عظيماً؛ ليتضح من خلاله ما إذا كانت تصرُّفات الإنسان وأقواله مُنسجمةً مع الدّين أو لا.

ولا شكّ في أنّ من يَعبُر الاختبار الصعب سوف لن يَهمل وظيفته الاجتماعية الكبرى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتبارهما من أبرز وظائف عصر الانتِظَار المُتقوّم بالإيمان، والتّضحية، والصّمود»[1].

ولا شكّ في أنّهُ عندما تشتدُّ الابتلاءات ترى المستضعفين يتحرّكون للبحث عن المنقذ وخصوصاً إذا وجدوا أنفسهم عاجزين عن دفع الظُّلم، وهو شعور ظاهِرُهُ الضعف إلّا أنّ باطنَهُ القوّةُ والعزيمة على التّغيير نحوَ الأفضل.

---

(١) ينظر: أحاديث التّمحيص والاختيار وبيان فلسفتها، للسّيد ثامر العميدي، مجلّة المهديّ، العدد ٦٤، شوال ١٤٢٥هـ.

وكذلك عندما تكون الظّروف غير مؤاتيه ترى الفقهاء يُترجمون هذا الشّعور باستنهاض أمل الأُمّة بأروع القصائد وأصدق الكلمات.

يقول الشّيخ أحمد حسن القفطان (ت ١٢٩٣هـ) في مطلع قصيدة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام ومخاطبا المَهديّ المنتظر:

إلامَ انتظارِي يا بنَ فَاطمَةَ الزَّهْرَا ... أَلا تَنقَضِي أعوَامُ غَيبَتكَ الكُبرَى
بِهَا طَالَ ليلُ الدّين حَتّى كأَنَّنا ... تَمَطَّى[1] بها باعاً إذَا مَا دَنَتْ شِبرَا
قَضينا بِهَا ألفاً وَنَيفاً وَما انقَضتْ ... أما مُلِئتْ ظُلماً أما مُلِئتْ جَورا

---

(١) تمطّى: امتدَّ وطال.

سُنّة التّغيير

لا شكّ في أنّ أي عملية تغيير لابُدّ من أن يسبقها الإيمانُ بضرورةِ التّغيير ومن ثُمّ العمل على تغيير ما نصبو لتغييره.

فالشّعب الجائعُ لن يَتَخَلَّصَ من جوعهِ ما لم يَسْعَ إلى تغيير واقعه بطريقة ما، والشّعب الضعيف حتماً سيبقى ضعيفاً وسيُسيطر عليه الآخرون طالما أنّهُ لم يغيِّرُ من نفسه ويمتلك الإرادة والقوّة.

وهكذا الإنسان سيظلُّ تائهًا إذا لم يبحث عن الهدى، وستحكمه الخرافة طالما أنّهُ لم يبحث عن العقل والحكمة ... إلخ.

والبحث يعني اتّخاذَ أساليب جديدة مختلفة عمّا كُنّا نسير عليه من قبل، أي: أن يغيِّرَ ما بأنفسنا من أمور مستقرّة كانت سبباً في ما ألمَّ بنا من مصائب ونكبات وويلات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ سورة الرعد، الآية: ١١.

تُشير الآية الكريمة إلى سُنَّة من سُنن اللّه تعالى في خلقه الثابتة، التي لن تتغير ولا تتبدل.

والظّهور المبارك للإمام المنتظر عليه السلام لن يتحقَّقَ إلّا بتغيير مفهومنا لمبدأ الانتِظَار من التّرقّب والتّوقّع والدعاء إلى العمل والحركة

وتهيئة الظّروف المناسبة؛ ليقوم الإمام عليه السلام بدوره في عملية التّغيير الشّاملة.

يقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: «والانتِظَار بهذا المفهوم يشبه توقُّع النّاس من اللّه تعالى أن يغيِّرَ أُمورَهُمْ من السّيّئ إلى الحسن، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العجز إلى الكفاءة، ومن الهزيمة إلى النّصر.

ولا شكّ في أنّه توقُّع صحيح وعقلانيّ، فإنّ الإنسان رُكام من الضّعف والعجز، والفقر والجَهْل والسّوء.

واللّه تعالى هو المُؤَمَّل ليغيّرَ ذلك كلَّهُ ويحوّلَهُ إلى القوّة والكفاءة والغنى والعلم والحسن، وليس من بأس على الإنسان من هذا التوقّع والانتِظَار من اللّه تعالى، ولكن بشرط أن يسلك الإنسان لتحقيق هذا الانتِظَار الآليَّةَ المعقولة التي دعا إليها اللّه تعالى لهذا التغيير، فإنّ هذا التّغييرَ من جانب اللّه تعالى لا شكّ في ذلك، ولكن ضمن آلية معينة، وما لم يستخدم الإنسان هذه الآليّة، فلا يصحّ له أن يتوقّع أو ينتظر هذا التّغيير من جانب اللّه تعالى.

وهذه الآليّة هي أن يبدأ الإنسانُ بتغييرِ ما بنفسه حتّى يُغيّر اللّه تعالى ما به.

إنّ ما بنا من التَّخلُّف الاقتصاديّ والهزيمة العسكريّة والتَّخلُّف العلميّ وسوء الإدارة... ناشئ عمّا بأنفسنا من الإشكالية والضّعف والكسل واليأس، وفقدان الجرأة، والشّجاعة، والجَهْل.

فإذا غيرّنا (ما بأنفسنا) غيّر اللّه تعالى ما بنا من دون شكّ.

وليس من شكّ في أنّ اللّه تعالى هو وحده الذي غيّر ما بنا.

كما ليس من شكّ في أنّنا لو لم نُغيِّر ما بأنفسنا لا يغيّر اللّه ما بنا إلّا إِنْ شاء اللّه، وهاتان حقيقتان تأبيان النّقاش والتّشكيك.

وانتظار التغيير من اللّه تعالى حقّ ليس فيه شكّ، ولكن على أن يقترن هذا الانتِظَار بالحركة والفعل من ناحية الإنسان، وهذا هو الانتِظَار الحركيّ في توضيح ثان»[1].

ويقول السَّيِّد محمّد حسين فضل اللّه ﷺ: «وتلك هي سُنّة اللّه في الحياة، في ما أودعه في الكون من سُننه في قوّة الأُمم وضعفها وحياتها وموتها، ولم يُميز اللّه المؤمنين عن بقيّة خلقه في هذا القانون الاجتماعي الكونيّ، بل أراد لهم أنْ يسيروا كما يسير الناس، ليحصلوا على النتائج السلبية بسبب ما يتحرّكون فيه من فسادٍ، أو على النتائج الإيجابية بسبب ما يمارسونه من صلاحٍ، وبذلك لا يكون تدخل الله في المسألة بشكلٍ مباشر، بل يكون تدخلاً بطريقةٍ غير مباشرةٍ، من خلال ما أودعه في الحياة من قانون السببيّة الذي يربط بين المسبّب والسّبب، والنتائج ومقدِّماتها.

ولكن اللّه ينسب كلّ شيء إلى نفسه، للإيحاء بأنه السَّبَبُ الأعمق وراء كلّ سببٍ، والقوّة المُهيمنة على كلِّ ظَاهِرَةٌ، ولتأكيد جانب التّوحيد في مواجهة عقليّة الشّرك، التي قد تنسب الكثير من الظواهر إلى غير اللّه، ممّا يُشركُ بِهِ النّاس في عبادته، على أساس النّظرة السطحيّة التي تنسب بعض الأشياء إلى مقارناتها، أو إلى الجهات المتّصلة بها بشكلٍ مباشرٍ»[2].

---

(١) بحث الانتظار الموجّه، للشّيخ الآصفيّ.

(٢) من وحي القرآن، للسّيد محمد حسين فضل اللّه.

ويقول الشَّهِيد مطهري: «إنّ القرآن يشير إلى مسألة تربويّة مهمّة في حقل القوانين التي تحكم التاريخ حين يؤكد أنّ البشريّة هي التي ترسم بيدها مصيرها عن طريق ما تقوم به من أعمال صالحة أو طالحة»(١).

ويقول الشّيخ مكارم الشيرازي: «إنّ الذين ينتظرون مُصلحاً عمليًّا، إنّما ينتظرون ثورةً وتغييراً وتحوُّلاً، وهي من أوسع الثّورات وأهمّها عبر التاريخ البشريّ على وجه الأرض»(٢).

ويقول: «إنّ الجيش الذي ينتظر الجهاد من أجل الحريّة سيكون في حالة استعداد كامل، فيأتي بالسلاح المناسب ويُعِدُّ لهم ما استطاع من قوّة.

فالجيش الذي لا يعيش هذه الحالة ولا يكون بهذا الاستعداد لا يُعَدُّ منتظراً للجهاد، فلو قال: أنا منتظر، فهو كاذب»(٣).

ولا يخفى عليك - عزيزي القارئ - أنّ رسول اللّه ﷺ قد عانى كثيراً في تغيير عادات المجتمع الجاهلي، إلّا أنّ عملية التغيير هذه لم تصل للعالمية لغير سبب ولعلَّ أهمَّها عدم قبول الكثير من الصحابة تنصيب النَّبيّ ﷺ للإمام عليّ عليه السلام خليفة للمسلمين في غدير خُمّ.

ولا يخفى أيضاً أنّ الأئمّة عليهم السلام المُناط بهم مواصلة عملية التغيير قد حالت العوامل والظروف السّياسيّة والاجتماعية التي واكبت أيّامهم

---

(١) نهضة المهديّ في ضوء فلسفة التاريخ، للشّهيد مطهَّري، ص ١٧.

(٢) نقلًا عن: نهضة المهديّ في ضوء فلسفة التاريخ، للشّهيد مطهّري، ص ٧٧.

(٣) نقلًا عن: نهضة المهديّ في ضوء فلسفة التاريخ، للشهيد مطهَّري، ص ٧٧.

إنهاء تلكم العمليّة، لأسباب عديدة ذُكرت في محلّها من الدراسات التخصصية.

فالمسؤولية حينئذٍ حتماً سوف تنتهي إلى الإمام الغائب المنتظر عليه السلام لإحداث عملية التغيير العالميّة بشرط أن يعمل المسلمون على تهيئة كلّ ما يلزم إلى هكذا عملية شاملة.

ويعزو الخواجة الطوسي سبب تأخُّرِ ظهور الإمام المَهديّ عليه السلام إلى عدم قيام المؤمنين بقضيَّتِهِ بتهيئة الأرض لظهوره، يقول قدس سره: «وجودهُ لطف، وتصرّفه لطف، وعدمه منّا»[1].

فالانتِظَار: دعاء وعمل لا دعاء وكسل.

وأيًّا يكن فالطّريقُ أمام عملية التغيير الشاملة لن يخلو من صعوبات كبيرة وعوائق مختلفة!!

والانتِظَار ـ في واقعه ـ عملية تغيير شاملة لمظاهر الفساد الحكوميّ والمجتمعيّ، وهكذا عملية لا تتمُّ إلّا بالعمل والحركة.

---

(١) تجريد الاعتقاد، للخواجة الطوسيّ، ج ١، ص ٢٢١.

الباب الثاني :

الانتِظَار مبدأ

توطئة الباب الثاني.

الفصل الأوّل : بين النَّبيّ الخاتم والقائم المنتظر.

الفصل الثاني : صفات القائد وحلم الأنبياء.

الفصل الثالث : مبدأ الإمامة والحُكم زمن الغيبة.

الفصل الرابع : دولة الإمام ودولة الفَقيه.

توطئة الباب الثاني

(الانتِظَار: عقيدة ومنهج ونظام)

(طُوبى لِمَن أَدرَكَ قائِمَ أَهلِ بَيتي وَهُوَ يَأتَمُّ بِهِ في غَيبَتِهِ قَبلَ قِيامِهِ، وَيَتَوَلّى أَولِيَاءَهُ، وَيُعادِي أعداءَهُ، ذَلِكَ مِن رُفَقَائِي وَذَوِي مَوَدَّتِي، وَأكرَمُ أُمَّتِي عَلَيَّ يومَ القِيامَةِ)[1]

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

إذا ما تأمَّلنا المُرادَ الحقيقيّ من مفهوم الانتِظَار سنجد أنه يُمثِّل ثلاثة مفاهيم، وهي (العقيدة، والمنهج، والنظام):

العقيدة:

إذا ما علمنا بأنّ العقيدة: (مجموعة من الأفكار والمفاهيم عن اللّه والإنسان والحياة).

وإذا ما آمنّا بأنّ الانتِظَار لازم من لوازم الاعتقاد بمبدأ الإمامة.

والانتِظَار في واقعه ما هو إلّا مجموعة مفاهيم إسلامية عن كيفية إدارة حياة الإنسان بالطريقة التي وضعها اللّه تعالى.

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسي، ج ٥١، ص ٧٢.

فعلى ضوءه يمكننا القول بأنّ الانتِظَار (عقيدة).

المنهج:

في ضوء تعريف علماء البحث العلميّ للمنهج بأنَّه: «طريقة يُسار على هديها في الحياة».[١]

إذا ما تأمّلنا قول الإمام المَهديّ عليه السلام في التوقيع المبارك: «وأمّا الحوادثُ الواقعةُ فارجعُوا فيهَا إلى رواةِ حديثِنَا»[٢].

نجد أنّ الإمام عليه السلام بقوله: (فارجعُوا) قد رسم منهجاً يسير على هديه المؤمنون في فترة غيبته عليه السلام.

ولذلك يمكن اعتبار الانتِظَار (منهجاً).

قال الشاعر:

فَهذَا الخَلَفُ الحُجَّةُ قَد أيّدهُ اللّهُ هَدانَا مَنهجَ الحَقِّ وآتاهُ سَجايَاهُ

النظام:

ربما كانت أقرب العبارات التي تُعطي معنى النّظام هي العبارة القائلة بأنّ النظام هو: «مجموعة من الأحكام والتّعاليم، تُشرَّع لتنظيم الحياة». وهو معنًى نلمسه بوضوح في التّشريع الإسلاميّ.

والانتِظَار في واقعه هو عبارة عن مجموعة من القِيم والأحكام

---

(١) ينظر: خلاصة أصول البحث، للمؤلف، دار الولاء للنشر، ٢٠١٨م، بيروت.

(٢) الاحتجاج، للشّيخ الطبرسيّ، ج ٢، ص ٨٣.

والتّعاليم الإسلاميّة يسعى الموطّئون إلى تحقيقها ليُنضِّموا من خلالها واقعهم الاجتماعيّ، وهو بهذا لون من ألوان تنظيم حياة الإنسان والمجتمع.

ولذلك فالانتِظار في حقيقته (نظام).

وهذه المعاني الثلاثة ينظِّمُها معنًى واحد شامل، وهو محتوى لفظة (المبدأ)؛ لأنّ المبدأ في أحد تعاريفه: (عقيدة ومنهج ونظام).

والخلاصة: هي أنَّ الانتِظَار (مبدأ).

ركائز المبدأ:

لا شكّ في أنّ لأي صاحب مبدَأ ركائزَ يرتكز عليها في رؤيته وعمله، وهي:

١. المعرفة: أي أن يفهم المبدأ في عقيدته ومنهجه ونظامه.
٢. الإيمان: أي أن يعتقد به؛ لأنّه هو الذي يصوغ نظرة صاحبه إلى الحياة والإنسان.
٣. العمل: أي تطبيقه في مختلف نواحي حياة المسلم فرداً ومجتمعاً ودولة.

وأخالُ أنَّنا كمسلمين بحاجة إلى الثّقة بأنفسنا والاعتداد بمبدأ الانتِظَار والاعتماد على أوامر وتوصيات إمامنا المفدّى عليه السلام، والدّعوة إليها من موقع قوّة.

وأحسبُ أنَّنا بحاجة إلى أن نهيّئَ جميع الوسائل المشروعة للتّعريف

بمبدأ الانتِظَار والدّعوة إليه مع الإيمان بما يلي:

- بأنّنا الأعلَوْن.
- وأنّ العِزَّةَ للّه والمؤمنين.
- وأنّ اللّه يُدافِعُ عن الذين آمنوا.
- وأنَّ اللّهَ ينصرُ من ينصرُه.

الفصل الأوّل:

(بين النَّبِيِّ الخَاتم والقائم المُنتظر)

المشتركات

(المَهدِيُّ مِن وُلدِي، اسمُهُ اسمِي، وَكُنيَتُهُ كُنيَتِي، أَشبَهُ النَّاسِ بِي خَلقاً وَخُلقاً)[١]

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

من الأمور المُجمَع عليها بين السُّنَّة والشيعة هي اشتراك النَّبِيّ ﷺ وحفيده المَهديّ عليه السلام في الاسم، إلّا أنّ التسمية ليست هي المشترك الوحيد كما يرى الكثير.

فتطابق الاسم ما هو إلّا إشارة إلى أمرٍ أعمقَ بكثير من ذلك، ولعلّ المُرادَ منه الإشارةُ إلى وراثة الفكر والأخلاق.

قال النبيّ ﷺ: (المَهديّ من عِتْرَتي، يُشْبِهُ خَلْقُهُ خَلْقي، وخُلُقُه خُلُقي)[٢].

ولهذا المعنى أشار الشاعر:

هُو ابنُ رَسولِ اللّهِ وَهوَ وَصيُهُ وَوارثُهُ في الحُكْمِ والعِلم والزّهدِ[٣]

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسي، ج ٥١، ص ٧٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٧٦.

(٣) البيت: للشاعر محمد صالح الظالميّ.

ويشترك النبيّ الخاتم ﷺ مع الإمام المنتظر عليه السلام في أمور كثيرة، ومنها أمران أساسيان:

الأوّل: تأسيس دولة العدل:

يُجمع المسلمون بكلِّ مذاهبهم وفرقهم على أنّ النَّبِيَّ ﷺ هو مؤسِّس أول دولة إسلاميّة، وأنّ حفيده المَهديّ عليه السلام سوف يؤسِّسُ دولةً إسلاميّةً عالميَّةً في آخر الزمان.

يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره: «إنّ دولة الإمام المنتظر عليه السلام هي دولة الإسلام.

تلك الدّولة التي تتجسَّدُ في واقعها الموضوعيّ تطبيقات التّشريع الإسلاميّ كاملةً عادلةً، وفي مختلف مجالات الحياة: لدى الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدّولة.

والّتي تمثّلت في حُكم نبيّنا محمّد ﷺ، حينما أقام الدّولة الإسلاميّة الأولى في المدينة المنوّرة.

وهنا، قد يُتساءَلُ: إنّ الظّروف ـ زماناً ومكاناً ـ التي عاشتها دولة النَّبِيّ ﷺ، وأحاطت بها، ولابستها، ربما اختلفت وظروف دولة الإمام المنتظر عليه السلام، ألا يستدعي هذا النوع من الاختلاف، شيئا من الاختلاف بين الدولتين؟

وهو تساؤل ينطوي على كبير من الوجاهة، وبخاصّةٍ وأَنَّ التّشريع الإسلاميَّ المدوّن لم يحتو في الكثير من أنظمته، التّفاصيل الوافية في بيانِ وسائل وأساليب التطبيقات للأحكام التّشريعيّة في مجال الدّولة.

ولم يتضمّن في كثير من موادِّهِ (دستوريَّةً ونظاميَّةً) ـ إلّا الأحكام الكلّية والخطوط العامّة.

وإنّ الحياة قد قفزت في تطوّراتها المَدَنِيَّة، قفزاتٍ هائلةً وبعيدةً، عادت معها تلكم الوسائل والأساليب للقرون السالفة غير ذات أهَميَّة ونفع.

أقول: إنه تساؤل وجيه لما تقدّم. غير أنَّنا متّى أدركنا أنّ للإمام وظيفة التّشريع كما هي للنّبيّ، وليست المسألة لديه مسألة اجتهاد قد يُصيبُ الواقعَ وقد يُخطئ، وإنّما هي مسألة إدراك الأحكام الشّرعيّة بواقعها[1].

ولعلّه إلى هذا تُشير الأحاديث المُتَضَمِّنَة دعوة الإمام المنتظر عليه السلام النّاسَ إلى الإسلام جديداً، وهديهم إلى أمر قد دُثر فَضَلَّ عنه الجمهور[2].

إنَّنا حينما ندرك ذلك لا يبقى لدينا أيُّ مجال لأمثال هذا التساؤل.

على أنّ الوسائلَ والأساليبَ خاصّةً، هي موضوعات، والموضوعات تختلف تبعاً لتطوُّر الحَضَارَة والمَدَنِيَّة، فتتغيّر أحكامها وفقاً لتغيّرها.

وتغيرُ الحُكم تبعاً لتغيّر الموضوع شيءٌ طبيعيٌّ في كلِّ تشريع، إسلاميّ أو غير إسلاميّ.

نعم، هناك فرق واحد بين دولة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ودولة حفيده الإمام المنتظر عليه السلام، يرجع إلى طبيعة الظّروف أيضاً، ومساعدتها في إعداد الأجواء الكافية للتطبيق، وهو في اتساع نفوذ الدّولة السّياسيّ.

---

(١) الأصول العامّة للفقه المقارن، للسّيد محمد تقيّ الحكيم، ص ١٨٤.

(٢) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، موضوع الغيبة الكبرى، ص ٥٨.

ففي دولة النَّبِيّ ﷺ لم يتّسع نفُوذُها السّياسيّ اتّساعاً يشمل كلّ العالم، وإنْ كانت دولة النَّبِيّ ﷺ عالميَّةً في أهمّ خصائصها، إلّا أَنَّ الأجواء الاجتماعيّة والسّياسيّة ـ آنذاك ـ لم تواتِها ظُروفهما لتحقيق عالميتها»[1].

الثانيْ: وحدة السّيرة:

لاشكّ في أنّ الأنبياء والأوصياء يسيرون على خطّ واحد وهو خطّ الدّعوة والجهاد في سبيل اللّه، ويرمون إلى هدفٍ واحد وهو تحقيق العدل الإلهيّ على ربوع هذه المعمورة وبين ناسها أجمعين، متحرِّكين داخل إطار الدّعوة وملتزمين بتعليماتها وأحكامها.

والنّصوص الواردة في هذا المجال تُشير إلى وحدة سيرة الإمام المَهديّ عليه السلام في دعوته، وسيرة جدّه الرّسول الأعظم ﷺ، بسبب تشابه ظروف الدّعوتين الاجتماعيّة، ومن تلكُم النصوص ما يلي:

عن عبد اللّه بن عطاء: قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام، فقلت:

إذا قام القائم بأيِّ سيرة يسير في النّاس؟

فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول اللّه ﷺ ويستأنف الإسلامَ جديداً.

يقول الشاعر مُشيراً لمسألة التّجديد:

تجـدِّدُ ديـنَ اللّـه بعـدَ ضياعِـه وتحكمُ بالقرآنِ في الحلِّ والعَقدِ[2]

---

(١) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، ص ٥٩.

(٢) البيت: للشّاعر محمد صالح الظّالميّ.

الفصل الثاني

قَائِدُ آلتَّغْيِير آلكَبِير وَحُلم آلأَنبِيَاء

قائد التّغيير الكبير.

حلم الأنبياء.

قائد التّغيير الكبير

(المَهديّ رجل من وُلدي،
وجهُهُ كالكوكب الـدُّرّي)[1]
النبيّ الأكرم ﷺ

نحن نعلم أنّ القرآن الكريم ليس مُدوَّنَةً تاريخيةً أُنزلت؛ لتستعرض أحداث الأُمم السالفة بصفتها حوادث وقعت في التاريخ، وإنّما هو كتاب هداية للنّاس ودعوة للعلم.

ونحن نعلم أنّ القرآن الكريم عندما يستعرض مُقتطفات من قصص الأوّلين إنّما يكون لهدف مُحدد.

ومن هنا كان لا يمرّ بالقصّةِ كاملةً كما تفعل كتب التاريخ المعنيّة بذلك، وإنّما يجيء منها بموضع الشاهد فقط، والمجال الذي يُسهم في تأدية الهدف من القصّة.

مزايا قائد التّغيير الكبير:

لا شكَّ في أنّ تَدَبُّر آي القُرآنِ الكَرِيمِ من الأمور التي حثّت عليها الشريعة.

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥١، ص ٨٠.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ سورة محمّد، الآية: ٢٤.

والقرآن الكريم يدعو إلى استلهام العبر من قصص الأنبياء للإفادة منها في حل معضلات الحياة المختلفة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ سورة يوسف، الآية: ١١١.

والآية الكريمة بمثابة منهج للتّفكير السليم.

وهذا المنهج هو الّذي قاد السَّيِّد الشَّهِيد الصَّدر (رض) إلى مَعرِفَةِ مزايا قَائِدِ اَلتَّغيِيرِ الكَبِيرِ بعد قراءته التأملية لقصّة أهل الكهف.

يقول (رض): هل قرأت سورة الكهف؟

ويضيفُ (رض): هل قرأت عن أولئك الفِتيَة الذين آمنوا بربِّهم وزادهم اللّه هُدًى؟

ويجيب (رض) بقوله: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى وَواجهوا كيَاناً وَثنِياً حَاكِماً، لا يرحم ولا يتردَّدُ في خنق أيِّ بذرة من بذور التّوحيد والارتفاع عن وحدة الشرك، فضاقت نفوسهم ودبَّ إليها اليأس وسُدّتْ منافذُ الأمل أمامَ أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من اللّه حلًّا لمشكلتهم بعد أن أعيتهم الحلول وكبر في نفوسهم أن يظلَّ الباطلُ يحكم، ويظلمُ ويقهرُ الحقَّ ويصغى كلّ من يخفق قلبه للحقّ.

ثُمّ يسال السَّيِّد قدس سره: هل تعلم ماذا صنع اللّه تعالى بهم؟

لقد أنامهم ثلاثَمائةِ سنة وتسع سنين في ذلك الكهف، ثم بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوّته وظلمه، قد تداعى وسقط وأصبح تاريخاً لا يُرعب أحداً ولا يُحرِّكُ ساكناً، كلّ ذلك؛ لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوّته واستمراره، ويرون انتهاء أمره بأعينهم ويتصاغر الباطل في نفوسهم.

ولئن تحقّقت لأصحاب الكهف هذه الرّؤية الواضحة بكلِّ ما تحمل من زخم وشموخ نفسيّين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مَدَّدَ حياتَهُمْ ثلاثَمائةِ سنة، فإنّ الشيءَ نفسهُ يتحقَّقُ للقائد المنتظر (عجلّ اللّه فَرجهُ الشّريف وسهلّ مخرجهُ المباركَ) من خلال عُمرهِ المديد الذي يتيحُ له أن يشهد العملاقَ وهو قزم، والشَّجرةَ الباسقةَ وهي بذرة، والإعصارَ وهو مُجرَّدُ نسمة.

أضف إلى ذلك أنّ التّجربة التي تُتيحها مواكبةُ تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوّراتها لها أثر كبير في الإعداد الفكريّ وتعميق الخبرة القياديّة لليوم الموعود، لأنها تضع الشّخصَ المُدَّخَرَ أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكلِّ ما فيها من نقاط الضعف والقوّة ومن ألوان الخطأ والصواب وتُعطي لهذا الشَخص قدرة أكبر على تقييم الظّواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها، وكلّ ملابساتها التّاريخيّة.

ثُمَّ إنّ عملية التّغيير المُدّخَرة للقائد المُنتظر (عجلّ اللّه فرَجهُ الشّريف) تقوم على أساس رسالة مُعيّنة هي رسالة الإسلام، ومن الطبيعيّ أن تتطلَّبَ العمليّةُ في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى،

قد بُنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلّة ومنفصلة عن مؤثِّرات الحَضَارَة التي يقدَّرُ لليوم الموعود أن يحاربها.

وخلافاً لذلك، الشّخصُ الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحَضَارَة وتتفتَّحُ أفكاره ومشاعره في إطارها، فإنّه لا يتخلَّصُ غالباً من رواسب تلك الحَضَارَة ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغيير ضدها. فلكي يضمَنَ عدمُ تأثّر القائد المُدَّخر بالحَضَارَة التي أُعدَّ لاستبدالها لابُدّ أن تكون شخصيّتُهُ قد بُنيت بناءً كاملاً في مَرْحَلَة حضاريّة سابقة هي أقرب ما تكون في الرّوح العامّة، ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضاريّة التي يتّجه اليومُ الموعودُ إلى تحقيقها بقيادته»[1].

يرى السَّيِّد الشَّهِيد (رض) أنّ شخصيَّةَ قائد عملية التّغيير الكبرى (الإمام المنتظر) تتطلَّبُ التالي:

- أن يملك وضعاً نفسيًّا مشحوناً بالشّعور بالتّفوّق.
- وأن يملك إحساساً بضآلة وتفاهة الكيانات الشّامخة التي أُعِدَّ للقضاء عليها.

فبقدر ما يعمر قلب القائد المغيّر من شعور بتفاهة الحَضَارَة التي يصارعها، وإحساس واضح بأنّها مُجرد نقطة على الخطّ الطّويل لحضارة الإنسان، يُصبح أكثرَ قدرةً من النّاحية النّفسيّة على مواجهتها والصّمود في وجهها ومواصلة العمل ضدَّها حتّى النّصر.

ومن الواضح أنّ الحجم المطلوب من هذا الشّعور النّفسي يتناسب

---

(١) بحث حول المهديّ، للشّهيد الصّدر.

مع حجم التغيير نفسه، وما يُراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلما كانت المواجهة لكيانٍ أكبرَ ولحضارةٍ أرسخَ وأشمخَ تطلَّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المُفعم.

ولمّا كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم ملئ بالظلم وبالجور، تغييراً شاملاً بكلِّ قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة، فمن الطبيعي أن تفتِّشَ هذه الرّسالة:

- عن شخص أكبر في شعوره النّفسيّ من ذلك العالم كلّه.
- وعن شخص ليس من مواليد الحَضَارَة التي يُرادُ تقويضها.

لأنَّ مَن ينشأ في ظل حضارة راسخة، تعمرُ الدُّنيَا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تّجاهها؛ لأنه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً وهي جبّارة، وفتح عينيه على الدُّنيَا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة.

وخلافا لذلك:

- شخص يتوغَّلُ في التاريخ، عاش الدُّنيَا قبل أن ترى تلك الحَضَارَة النّور.

- شخصاً رأى الحضارات الكبيرة سادت العالَمَ الواحدةَ تِلوَ الأُخرى ثُمَّ تداعت وانهارت.
- شخصاً رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ.
- ثُمَّ رأى الحَضَارَة التي يُقدَّرُ لها أن تكون الفصلَ الأخير من

قصّة الإنسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبيَّنُ.

- ثُمَّ شاهدها وقد اتَّخذتْ مواقعها في أحشاء المجتمع البشريّ تتربَّصُ الفرصة؛ لكي تنمو وتظهر.
- ثُمَّ عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتُصابُ بالنكسة تارةً ويُحالفها التّوفيقُ تارةً أُخرى.
- ثُمَّ واكبَها وهي تزدهرُ وتتعملقُ وتُسيطر بالتّدريج على مقدَّراتِ عالَمٍ بكامله.

فإنَّ شخصاً من هذا القبيل عاشَ كلَّ هذه المراحل بفطنةٍ وانتباه كاملين:

- سوف ينظر إلى هذا العملاق ـ الذي يريد أن يُصارِعهُ ـ من زاوية ذلك الامتداد التاريخيّ الطّويل الذي عاشه بحسِّهِ لا في بطون كتب التاريخ فحسب.
- سوف ينظر إليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر (جان جاك روسو)[1] إلى المَلكيّة في فرنسا.

فقد جاء عن (روسو) أنّه كان يُرعبه مُجرَّدُ أن يتصوَّرَ فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدُّعاة الكبار فكريًّا وفلسفيًّا إلى تطوير الوضع السّياسيّ القائم وقتئذٍ، لأنَّ (روسو) نشأ في ظل

---

(١) جان جاك روسو (بالفرنسيّة: Jean-Jacques Rousseau) (١٧١٢ ـ ١٧٧٨ م): كاتب وفيلسوف فرنسي من وجوه الأدب الفرنسيّ الحديث والفلسفة الحديثة، وكتاباته هي التي مهّدت للثّورة الفرنسيّة.

المَلَكيّة، وتنفَّس هواءَها طيلةَ حياته، وأمّا هذا الشخص المتوغّل في التاريخ:

١. فلهُ هيبة التاريخ.

٢. وقوّة التاريخ.

٣. والشعور المُفعم بأنّ ما حوله من كيان وحضارة وليد يوم من أيام التاريخ، تهيّأتْ له الأسباب فَوُجِدَ، وستتهيّأُ الأسباب فيزول، فلا يبقى منه شيء كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد.

إنّ الأعمار التّاريخيّة للحضارات والكيانات - مهما طالت - فهي ليست إلّا أياماً قصيرة في عمر التاريخ الطّويل.

ويكون مطّلعاً على التجارب البشريّة والحضارات في صعودها وعوامل تكوّنها وقوّتها، وكذلك إخفاقاتها وعوامل ضعفها وانهيارها»[1].

أهداف قائد التّغيير الكبير:

لا يخفى أنّ لكلّ حركة إصلاحية أو تصحيحية رؤيةً وأهدافاً تسعى إلى تحقيقها وتطبيقها على أرض الواقع، فما بالك بحركة تغييريّة كبرى تشمل العالم بأكمله، ويقودها إمام معصوم، فلابُدّ من أن تكون أهدافها أوسع وأشمل.

---

(١) بحث حول المهديّ، للسّيد الشّهيد محمد باقر الصّدر.

وأيًّا يكن فأبرز أهداف الحركة التصحيحية المُرتقبة، ما يلي:

١. إقامة الحكومة الإسلاميّة العالميّة العادلة.

٢. محاربة آفات الفساد، والجَهْل، والظّلم، والاستبداد.

٣. إحلال السلام في الأرض وعمارتها واستثمار خيراتها.

حلم الأنبياء

(المهديُ اَلمُنتَظَرُ تَجسِيد لِأَهدَافِ اَلأَنبِيَاء
وَالصَّالِحِين وَالمُجَاهِدِينَ عَلَى طَرِيقِ اَلحَقِّ)[1]

اَلشَّهِيدِ مُطَهَّرِي قدس سره

في عقيدتي لو لم يكن الإمام الخميني قدس سره يملك ذات الرّوح والإرادة والعزيمة والتّصميم التي كان يملكها الأنبياء الأوصياء لما حقَّقَ حلم الأنبياء حينما انتصر في ثورته العظيمة على طاغية بحجم الشاه المدعوم من الغرب بأكمله وأقام دولةً وفق مبادئ الإسلام.

وفي عقيدتي أنّ الإمام الخمينيّ قدس سره قد وصل إلى أعلى مراتب اليقين في إيمانه بِحَتْمِيَّةِ انتصاره على الشّاه.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ سورة لقمان، الآية: ٤ ـ ٥

وإذا ما رجعنا إلى نظرة السَّيِّد الشَّهِيد الصّدر (رض) حول صفات شخصية قائد التغيير الكبير سنجد أَنّ أهمّ تلكم الصفات قد تمثَّلت

(١) نهضة المهديّ في ضوء فلسفة التاريخ، للشَّهيد مُطهَري، ص ٧١.

في شخصية الإمام الخميني قدس سره، ومن أبرزها:

١. الإيمان بالتفوّق بقوّة العقيدة.

٢. الإحساس بضآلة وتفاهة الحَضَارَة التي قامت على أساسها إمبراطورية شاه إيران.

لقد استمدَّ الإمام الخميني قدس سره هذه الرّوح الثائرة من قراءته الواعية لشخصية الإمام المنتظر عليه السلام كما صوَّرَها السَّيِّد الشَّهِيد الصّدر (رض) بأجلى العبارات، وبوعيه السّياسيّ وبإيمانه العميق بوجوب التَّمهِيد لدولة العدل الإِلهِيَّة العالميّة مهما كلّف الأمر.

أضف إلى ذلك مؤهلاته الشخصية، فالمؤكَّدُ أنه كان مُطّلعاً على الحضارات العالميّة في صعودها وعوامل تكوّنها وقوّتها، وكذلك إخفاقاتها وعوامل ضعفها وانهيارها.

إنّ نظرة مُفجِّر الثّورة الإيرانيّة المُباركة لطاغية إيران في حينه كعميل صغير للاستكبار العالمي يمكن هزيمته بقوّة الإسلام هي التي مكَّنَتْهُ من مجابهته ومجابهة أسياده الأمريكان.

فمَن يملك روح قائد التّغيير الكبير قطعاً لن ينظر إلى الطغاة والجبابرة إلا كحشرات صغيرة يمكن هزيمتهم بقوّة الإسلام، بعكس مَن ينظر إليهم وكأنّهم قدر محتوم، لا سبيل إلى نقد تصرُّفاتهم فضلاً عن مقاومتهم أو هزيمتهم.

ولا شكّ في أنَّ النّصرَ الإلهيَّ الكبيرَ لم يأتِ إلّا لإيمان الإمام الخمينيّ قدس سره القلبيّ بأنّ اللّه تعالى ينصر مَن ينصره.

والحقُّ يقال إنَّ عظمة الإمام الخمينيّ قدس سره لم تكن في انتصاره على قوى الشرّ المتمثّلة في دول الاستكبار العالمي فحسب، وإنّما هي في تربيته لجيل كامل من الموطّئين على الشّجاعة والشّعور بالتّفوق والإحساس بتفاهة الطّغاة حول العالم مهما علا شأنهم.

وما استمرار الجمهورية الإسلاميّة في مقاومة الطُّغاة ونصرة المظلومين بالتّوازي مع تقدُّمها العلميّ في كلّ المجالات إلّا شاهدٌ آخر على صوابيّة نظرة وفكر الإمام الخمينيّ قدس سره.

إنَّ انتصار الثّورة الإسلاميّة في إيران هُوَ – بلا شك – انتصارٌ لمبدأ الانتِظَار، فهذا الانتصار الكبير قد حقَّقَ أمل وهدف الأنبياء كما عبر السَّيِّد الشَّهِيد الصّدر قدس سره.

فسلامٌ على مُحقِّقِ حلم الأنبياء يوم وُلد ويوم رَحل ويوم يُبعث حيًّا.

شهيد الانتِظَار:

وهكذا كان السَّيِّد الشَّهِيد محمّد باقر الصّدر (شهيد الانتِظَار) وكذلك رفاقهُ في حزب الدّعوة الإسلاميّة في مقارعتهم طاغية النّظام العراقيّ البائد، فقد كانوا يملكون شعوراً عميقاً بتفوّق مبادئ الإسلام وتفاهة الحَضَارَة الغربيّة؛ ولهذا لم يهابوا جبروت صدّام وداعميه من المستكبرين.

فمَن يملك هكذا هدف وهكذا روح لا يرى الشّهادة في سبيل اللّه إلّا سعادة.

فسَلَامٌ عَلَى شَهِيدِ الانتِظَار يَوْمَ وَلِدَ وَيَوْمَ اُسْتُشْهِدَ وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا.

يقول الشاعر:

يَا حِلمَ أحمدَ يَا شَجاعةَ حَيدرٍ يَـا مُنقِـذاً مَـازالَ عهـدُكَ يُؤمَـلُ

الفصل الثالث :

مبدأ الإمامة ومسألة الحُكم

مبدأ الإمامة.

مسألة الحُكم زمن الغيبة.

مبدأ الإمامة

لا يخفى أنّ مسألة الإمامة تُعَدُّ واحدةً من أهمَّ وأبرز المسائل السّياسيّة التي اعتنت بدراستها مدرسةُ أهل البيت، باعتبارها الرَّاعيَ للنّظام الدّينيّ (الرّوحيّ) من جانب والرُّكنَ الأساسَ للنّظام السّياسيّ (الزمنيّ) من جانب آخر.

ولعلّ تسمية أتباع مدرسة أهل البيت بمذهب الإماميّة جاء من تمسُّكِهِمُ الشّديد بمبدأ الإمامة كأصل من أصول العقيدة.

وغير خافٍ أنّ تبليغ مبدأ الإمامة ـ بشقَّيها الدّينيّ والسّياسيّ ـ من أخطر وظائف النَّبِيّ ﷺ، لعلاقتها باستمراريّة وحفظ الشريعة من جانب وبمستقبل الأمّة والدّولة السّياسيّ من جانب آخر.

ولا يخفى أيضاً أنّ النَّبِيّ ﷺ قد بَلّغ هذه الوظيفة في واقعة الغَدِير وهي من أشهر وقائع التاريخ الإسلاميّ في منطقة يقال لها غدير خُمّ[1]

(١) الغدير: وادٍ واسع يقع عن يمين الذاهب من مكة إلى المدينة، على بُعد ٢٦ كيلومتراً شرق مدينة رابغ.
واقع الغدير اليوم:
نظراً لقلّة الأمطار في السّنوات الأخيرة فقد جفَّتْ عين الماء التي كانت المصدر الوحيد لريّ مزارع النخيل الموجودة في الغدير، ما أدّى إلى موتها، ومازالت أشجار الدّوح البريّة متناثرة في الموقع، ولعلّها التي عناها الكميت بن زيد الأسديّ في قصيدته الشّهيرة.
وَيَوْمَ الدَّوحِ دَوحِ غَدِيرِ خُمٍّ أَبَانَ لهُ الوِلاَيَةَ لو أُطِيعا =

أثناء رجوعه من حِجَّة الوداع.

= وتخترق الغديرَ اليومَ سكَّةُ قطار الحرمين الرابطة بين مكّةَ والمدينة من وسطه.

الطَّرِيق إلى الغَدِير اليوم:

توجد عدّة طرق معبّدة وحديثة تؤدّي إلى موقع الغَدِير اليوم، إلّا أنَّ أسهلها وَأَيْسَرَهَا، هو: (طريق جدّة – رابغ – ينبع الجديد)، فالمتّجه من جدّة إلى ينبع سيواجهُ ويُلاقي أكثر من مخرج، فبعد مخرج ميقات الجُحْفَة وقبل مخرج مدينة رابغ الرّئيس، على قاصد الغَدِير أن ينعطف إلى اليمين عند مخرج القرى الأربع التالية: (تمايا، والشّرى، وحجر، ومغينية)، باتّجاه قَرْيَة (مغينية)، وقد كُتِبَ على إحدى اللوحات الإرشادية (مغينية ٤٢ كم).

وبعد حوالي ستّة كيلومترات من المفرق يوجد مَسْجِد صغير على يمين الطَّرِيق، ثم بعده بأمتار تجدُ جبلين صغيرين على يسار الطَّرِيق تفصل بينهما مسافة قصيرة.

وللدّخول إلى وَادِي الغَدِير تسلك أحد الطّرق الترابية بين الجبلين على يمنة الطَّرِيق، وقبل النّزول يمينًا من الطَّرِيق المزفّت، يمكن مشاهدة الجبل الكبير المُطِلّ على الوَادِي من الجنوب من بعد. ويسير النّازل يمينًا عشرات الأمتار ليصل إلى الغيضة: (بضع نخلات متجاورات) الّتي تُطلُّ على المسيل وعين الغَدِير. وهذا الوصف في (العام ١٤١٠هـ). أمّا الآن في (العام ١٤٤٢هـ) فلم يبق من تلكم النخلات إلّا جذوعها المتناثرة، وأمّا عين الغَدِير فقد جفّت بالكامل.

مَسْجِد الغَدِير:

تقول المصادر التّاريخيّة: إنَّ مسجد الغدير يقع في أحد طرفي الغيضة (غَدِيرِ خُمّ).

ويستحب الصلاة في مسجد الغدير.

ويبدو أنّ يسرة المسجد هو المكان الّذي وقف فيه رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله)، وصلّى وخطبَ ونصبَ عليّاً صلوات اللّه عليه للمسلمين خليفة ووليّاً يوم الغدير.

ويبدو من الروايات التاريخية أنّ موقعه بين الغدير والعَين.

- رُوِيَ عن حسّان الجمّال، قوله: «حملت أبا عبد اللّه عليه السلام من المدينة إلى مكّة، فلمّا انتهينا إلى مسجد الغدير نظر في ميسرة المسجد، فقال: ذاك موضع قدم رسول اللّه صلى الله عليه وآله حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، الحديث».
وسائل الشيعة، باب استحباب الصلاة في مسجد الغدير وخصوصاً في ميسرته، ج ٥، ص٢٨٦.
- وعن أبي عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام، قال: «يُستَحَبُّ الصّلاةُ فِي مسجدِ الغدير؛ لأنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله أقامَ فيه أميرَ المؤمنين عليه السلام، وهو مَوْضِعٌ أظهرَ اللّهُ عزَّ وجَلَّ فيه الحَقَّ».
- قال الحربيّ في مناسكه: «وعلى ثلاثة أميال من الجُحْفَة يسرةَ الطَّرِيق، حذاءَ العين مَسْجِدٌ للنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وبين المَسْجِد والعين: الغيضة، وهي غَدِيرُ خُمّ، وهو غَدِيرُ ماء، حوله شجر =

ومعلوم أنّ حديث الغَدِير من الأحاديث المتواترة القليلة الثابت صدورها عن النبيّ ﷺ، وحديث الغَدِير - إذا نظرنا له بتجرّد وموضوعية - سنجد أنّه نصٌّ جَلِيٌّ في خِلافة الإمام عليٍّ عليه السلام، ولو لم يَكُن الحَدِيثُ كذلك لما احتَجَّ به الإمام (عليْه السَّلامُ) عندما نُوزِعَ في خلافتِه؛ لأنَّ الاحتجاج بالنُّصُوصِ الخَفيَّةِ في مَقام المُنازَعةِ لا حُجِّيَّةَ له.

وكيف ما كان فقد دارت حول مبدأ الإمامة دراسات عدد غير قليل من العُلمَاء والباحثين - قديماً وحديثاً -، باعتبار أنّ الشِّقَّ السّياسيّ (المنصبَ التنفيذيّ الأوّل في الدّولة) منها يُعَدُّ أوَّلَ خلاف فكريّ سياسيّ علنيّ حصل بين المسلمين في يوم السقيفة.

= كثير مُلتفّ، والطَّرِيق في وسط الشجر، وهناك نخل ابن المُعَلّى وغيره، أربعة أميال». المَنَاسِك للحربيّ، تحقيق حمد الجاسر، ص ٢١٤.

- قال البكريّ، في الجزء الثاني من معجم ما استعجم في الصفحة ٣٦٨: «وبين الغَدِير والعين مَسْجِد النَّبِيّ ﷺ».
- وروى ياقوت الحمويّ في الصفحة ٣٨٩ من الجزء الثاني من (معجم البلدان)، أنّ صاحب المشارق، قال: «وخُمّ موضع تَصُبّ فيه عين، وبين الغَدِير والعين مَسْجِدُ رَسُولِ اللّه ﷺ».

وقد ذكر استحباب الصلاة في موضع مسجد الغدير غيرُ واحد من فقهائنا الإماميّة، منهم: الشيخ الطّوسي في (النّهاية)، والشيخ النّجفي في (الجواهر)، والسيّد محسن الحكيم في (منهاج النّاسكين)، قال: «وكذا يُستَحبّ الصلاة في مسجد غدير خُمّ، والإكثار من الابتهال والدّعاء فيه».

وقد تداعى هذا المَسْجِد، ولم يبقَ منه في زمن الشّهيد الأوّل (ت ٧٨٦هـ) إلاّ جدرانهُ، كما أشار إلى هذا الشّيخ صاحب الجواهر، نقلًا عن الشّهيد الأوّل، قال: «والمَسْجِد باقٍ إلى الآن جدرانه، واللّه العالِم». انظر: جواهر الكلام، ط النجف، ٢٠/ ٧٥، نقلًا عن: دروس في فقه الإِمَامِيَّة، للعلّامة الشّيخ عبد الهادي الفضليّ ﷾.

وأمّا في الوقت الحاضر فلا أثرَ له.

الإمامة مُعجميًّا: الإمامة تعني القدوة، والإمام هو مَن يُقتدى به في قولِه أو فعله، سواء كان مُحقًّا أو مُبطلًا.

الإمامة قرآنيًّا: جاء لفظ الإمام في الاستعمال القرآني على نوعين:

١. الإمام المُحِقّ كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

٢. الإمام المُبطل كما في قوله تعالى ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ سورة التوبة، الآية: ١٢.

تعريف مبدأ الإمامة:

لعلّ أشهر تعريفات مدرسة الصحابة لنَظريَّة الإمامة، تعريف الماورديّ، وتعريف التّفتازانيّ، وتعريف ابن خلدون.

يقول الماورديّ (ت ٤٥٠هـ): (الإمامة موضوعة لخلافة النّبوّة في حراسة الدّين وسياسة الدُّنيَا»[١].

ويرى التّفتازانيّ (ت ٧٩٣هـ): «أنّها رئاسة عامّة في أمر الدّين والدُّنيَا، خلافة عن النَّبِيّ ﷺ»[٢].

ووافق ابن خلدون رأي الماورديّ، بقوله: «فهي في الواقع خلافة صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدُّنيَا»[٣].

---

(١) الأحكام السلطانيّة، للماورديّ، ص ٢.

(٢) نقلًا عن: كتاب نظرية الخلافة أو الإمامة، للدكتور صلاح الدين نوّار، ص ١٤.

(٣) مقدّمة ابن خلدون، ص ٣٣٨.

ومن أشهر تعريفات مدرسة أهل البيت عليهم السلام لنَظريَّة الإمامة، تعريف الشّيخ نصير الدّين الطّوسيّ، وتعريف العلّامة الحلّي:

عرّف النصير الطّوسيّ (ت٦٧٢ هـ) الإمامة، بقوله: «الإمامة: رياسة عامّة دينيّة مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينيّة والدنيويّة وزجرهم عما يضرُّهُمْ بحسبها»[١].

وعرّفها العلّامة الحلّي (ت٧٢٦ هـ)، بقوله: «الإمامة: رياسة عامّة في أمور الدّين والدُّنيَا لشخص من الأشخاص نيابةً عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله»[٢].

فالإمامة في واقعها تعني: المسؤولية والرئاسة:

- المسؤولية عن استمرارية تبليغ الأحكام الشّرعيّة، واستمراريّة المحافظة عليها، أي أنّ الإمام بيده (السُّلطة التّشريعيّة).
- رئاسة الدّولة الإسلاميّة ورعاية شؤون المسلمين، والدِّفاع عن قضاياهم، والعمل على حلّ مشكلاتهم، أي أنّ الإمام هو المسؤول الأوّل في (السُّلطة التنفيذية).

ومن مجمل هذه التعريفات يتّضح أنّ الإمامة لها بُعدان: أحدها دينيّ، والآخر: سياسيّ، ويتّضح كذلك اتّفاق الفريقين في أصل النَظريَّة.

والسّؤال هنا: هل طُبِّقَتْ نَظريَّة الإمامة ببُعدَيها الدينيّ والسّياسيّ أم لا؟

في ضوء ما تقدّمَ يتّضحُ أنّ الإمامة لم تُطبَّق في بُعديها إلّا في عهد

---

(١) قواعد العقائد، للغزاليّ، ص ٤٥٧.

(٢) الباب الحادي عشر، للعلاّمة الحلّي، ص ٤٦.

النَّبِيّ ﷺ وعهد الإمام عليّ عليه السلام.

غدير محمّد أم سقيفة أبي بكر:

إنّ عدم تطبيق البُعد السّياسيّ (المنصب التنفيذيّ الأوّل في الدّولة) فضلاً عن البُعد الدينيّ من مبدأ الإمامة في يوم السّقيفة وفق المنهج التي رسمه النَّبِيّ ﷺ يوم الغَدِير، هو الذي أدّى إلى تعدُّد آراء الفرق الإسلاميّة في طريقة تعيين الخليفة.

وما حصل في (بيعة السَّقيفة) في الواقع لا يعدو كونه خط آخر يقابل خط (بيعة الغَدِير).

- فذهب الإماميّة إلى تبنّي مبدأ النصّ، واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
- بينما تبنّى أهلُ السُّنَّة والإباضيّة مبدأ الشّورى، واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الشّورى، الآية: ٣٨.
- ورأت الزّيديّة أنّها أمر خفيّ.
- وذهبت الإسماعيلية إلى أنها محور المذهب والمجتمع.

ويَتّضِحُ ممّا تقدَّم:

أنَّ وظيفة الإمامة عند الإماميّة تشمل السُّلطتين: الدينيّة والسّياسيّة؛ ولأنَّ السُّلطة السّياسيّة - في رأيهم - هي من الدّين وليست اجتهادًا من النَّبِيّ؛ فالنَبيُّ لا يمكن أن يرجع إلى اجتهاد؛ لأنَّ الاجتهاد عرضة للخطأ، ولأنّ نتائجه ظنّيّة، والنَّبِيّ معصوم، والمعصوم لا يخطئ،

قالوا بوجوب نصب الإمام بالنّصّ أو التعيّين من اللّه تعالى، فكما أنَّ النَّبِيّ يُعَيَّنُ من قِبَلَ اللّه تعالى كذلك الإمام.

أمّا أهل السُّنَّة فلأنهم فصلوا بين السلطتين الدينيّة والسّياسيّة، عدُّوا الإمام قائمًا بوظيفة النَّبِيّ السّياسيّة فحسب؛ ولأنّ السُّلطة السّياسيّة ـ في رأيهم ـ تعتمد على الاجتهاد، قالوا: يتمُّ نصبه بواسطة اختيار الناس له.

نقل ابن القيَّم عن ابن عقيل، قوله: «السياسة ما كان فعلًا يكون معه الناس أقرب إلى الصّلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرّسول ولا نزل به وحي، ومن قال: (لا سياسة إلّا بما نطق به الشّرع) فقد غَلَطَ وغَلّطَ الصحابة»[1].

ميزات الإمام:

بالعودة إلى تعريف الماورديّ والبقية لمبدأ الإمامة يَتّضِح أنَّ الرجل الأوّل في الدّولة لا بُدَّ من أن يتمتع بميزتين أساسيتين:

الميزة الأُولى: الإحاطة التامّة بالشريعة؛ ليكون أهلاً لحفظها وحمايتها.

الميزة الثانية: الكفاءة الإداريّة؛ ليكون أهلاً لتنفيذ مبادئ الشريعة كما جاء بها النَّبِيّ ﷺ.

وإذا دقّقْنا النظر في المؤهِّلات العلمية لكافّةِ الصحابة، نجد أنَّ الميزتين لا تنطبقان إلّا على شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام، ما يعني أنّه

(١) الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة، لابن القيّم، ص ٧.

الشّخصُ الوحيد المؤهَّل بعد النَّبِيّ ﷺ لتبوُّء المنصبَين:

١. منصب حراسة الدّين (حامي الشّريعة أو راعي دستور الدّولة).

٢. منصب رياسة الدُّنيَا، (المنصب التّنفيذي الأوّل في الدّولة).

فمن ناحية البُعد الدينيّ (الفكريّ ـ المعرفيّ): فالإمام عليّ عليه السلام هو الأعلم بالشريعة بين الصحابة نتيجة تتلمذه على رسول اللّه ﷺ منذ نعومة أظفاره، والشواهد وفيرة جدّاً، ويكفينا قول عائشة: «عليّ أعلم أصحاب محمّد بما أُنْزِلَ على محمّد (ﷺ)»[1].

أمّا من ناحية البُعد السّياسيّ (المنصب التّنفيذيّ الأوّل): فالإمام عليّ عليه السلام هو الأكفأ من بين جميع الصحابة، فقد هيأه النَّبِيّ ﷺ لهذا المنصب عمليًّا عندما ولاه ﷺ إدارة شؤون الدّولة الإسلاميّة عند ذهابه ﷺ إلى غزوة تبوك، وعندما أرسله ﷺ إلى اليمن، وعندما كلَّفَهُ ﷺ بتبليغ أهل مكّة سورة براءة، وغيرها من المهمّات، ناهيك عن عهده إلى إلى مالك الأشتر الذي ينم عن عبقرِّيتهِ عليه السلام في علمي الاجتماع والإدارة.

بينما نرى أنّ أبا بكر في أول خُطبة له عندما تولّى منصب الخلافة، يقول: «وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم».

والمؤسف أنَّ الكثير من الباحثين يعتقد أنَّ المعارضين ـ لنَظريَّة الإمامة ـ نظروا إلى الشِّقِّ السّياسيّ من مبدأ الإمامة نظرة جاهليَّةً فأبَوْا أن تجتمع النّبوّة والخلافةُ في بني هاشم!!!

---

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحاكم الحسكانيّ، ج١، ص٢٧.

وإذا ما علمنا أنّ المعارضين لمبدأ الإمامة كما أراده رسول اللّه ﷺ كانوا من المنافقين، فلا معنى للقول بأنّهمْ نظروا نظرةً جاهليَّةً إلى مبدأ الإمامة.

ولهذا رأيناهم عندما صرّح رسول اللّه ﷺ بهذا الأمر في إحدى خُطبه بالحجّ قد امتعضوا في إشارة منهم إلى عدم قبولهم بما جاء به ﷺ من أوامر إلهيّة[١].

ولم يقابلوا تلكم الأوامر بالرّفض فحسب، بل تآمروا واتّفقوا على مخالفتها بالقوّة متوخّين بذلك اسقاطها وبأيِّ وسيلة كانت، وبلغ بهم الأمر أن حاولوا قتل النَّبِيّ ﷺ في عقبة هرشى[٢]، بعدما يئسوا من ثنيِهِ عن التبليغ النهائيّ لما أُنيط به من أوامر إلهيّة في منًى وفي غدير خُمّ.

---

(١) الغدير أم السقيفة، للمؤلّف، ص ٩٠، دار الولاء للنشر، بيروت ٢٠٢٢م.

(٢) عقبة هرشى: العَقَبَةُ هي: المَرْقَى الصَّعب من الجبال، وتسمّى (ثنيَّةَ هرشى) وبعضهم يكتبها (هرشا): وهي طرّيق ضيق بين جبلين أو حرّتين لا يتسع إلّا لمرور ناقة أو جمل واحد، وتقع هذه العقبة في منتصف الطريق بين مكة والمدينة، تُسمّى الحرة الشرقية: أمّ زرب، وتسمّى الغربية: القطينة.
والعقبة ليست بعريضة وهي مُزعجة للإبل في طلوعها ونزولها لحجارتها الضّخمة.
وذُكرت هذه العقبة في التراث العربي، قال الشاعر:

خُذْ أنفَ هَرشا أو قَفاها فإنَّهُ كلا جانبيّ هَرشا لَهُنَّ طريقُ

وبعضهم يقول: خُذْ بَطن هَرشى أو قَفاها.
وقال كثير:

عَفا رابِغٌ مِن أَهلِهِ فالظَواهِرُ فَأَكنافُ هَرشى قَد عَفَت فَالأَصافِرُ

قال الحربيّ في مناسكه: وعلى ثمانية أميال من الأبواء عقبة هرشا، وهي عقبة صعبة المنحدر سهلة المصعد... وفي أصل العقبة مسجد للنبيّ ﷺ.
قال في الدّررِ: هرشى ثنيّة في طريق مكّة، قريبة من الجُحفة يُرى منها البحر، ولها طريقان، فكلّ من سلكها كان مصيبًا غير خاطئ.

في تصوُّري: أنَّ التطبيق الخاطئ لمبدأ الإمامة هو الذي جاء بغير المؤهلين لاعتلاء المنصب التنفيذيّ الأوّل في الدّولة الإسلاميّة من أمويّين وعباسيّين ومن جاء بعدهم، وإلّا فكيف يصل الطُّلقاء من أمثال معاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم إلى أعلى منصب في الدّولة؟!!

وهذا ـ أعني التّطبيقَ الخاطئَ ـ أدّى خطوةً خطوةً إلى فصل أحكام الدّين عن أحكام السياسة، أو ما يُوسم بـ(فصل الدّين عن الدّولة).

وفي تصوُّري: أنّ سلوك هكذا منهج في البحث يجعلنا نقتربُ أكثرَ من معرفة حقيقة ما حصل من استبداد الحكام من جانب، ومعرفة شكل النّظام الإسلاميّ بعد الرّسول ﷺ من جانب آخر[1].

منهج دراسة مبدأ الإمامة:

إذا ما آمنّا بأنّ رسول اللّه ﷺ هو مُبلِّغ الرّسالة الخاتمة ومؤسّس الدّولة ورئيسها، فهذا يعني حتماً أن تكون وظيفته بالإضافة إلى تزكية الناس وتعليمهم الأحكام الشّرعيّة، إقرار الأنظمة التي تنظِّمُ شؤون الأُمّة السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة ...إلخ.

وفي ضوء تعريف الدّين الإسلاميّ القائل بأنه: (عقيدة، وعمل، ونظام)، وبتعبير أدقّ: «عقيدة إلهيّة ينبثق عنها نظام شامل للحياة»[2].

---

(١) أعني بالمنهج هنا: دراسة الأحداث التي وقعت في التّسعين يوماً الأخيرة من حياة رسول ﷺ وفق تسلسلها الزمني.

(٢) تعريف الشّهيد السّيد محمد باقر الصّدر للدينَ الإسلاميّ، يُنظر: الإسلام مبدأ، للعلاّمة الفضليّ.

فلابُدَّ من أنّ تكون دراسة مبدأ الإمامة (النظام الإسلاميّ)، وفق بُعدين:

الأوّل: البُعد التعليميّ: بما أنّ فريضة الإمامة تُشَكِّلُ الركيزة الأساسيّة في النظام الإسلاميّ فكان لزاماً على رسول اللّه ﷺ تبليغُها بأيِّ ثمن، باعتبارها:

١. أهمَّ وظائفه ﷺ.

٢. أعظم فريضة إسلاميّة.

الثاني: البُعد السّياسيّ: أحسب أنَّ هذا راجع للأسباب الآتية:

١. لكونه ﷺ هو مؤسّس الدّولة ورئيسها، فمن مسؤولياته تعيين نائب له مؤهَّل - مُلمّ بأحكام الشريعة وذي كفاءة إدارية - لتولّي الحكم من بعده.

٢. لوجود حزب معارض سِرِّيّ وقويّ، متمثل في منافقي قريش الطامعين والطامحين للاستيلاء على السُّلطة وبأيِّ وسيلة كانت.

٣. لوجود اليهود المعروفين بعدائهم وكيدهم للإسلام والمسلمين.

ولهذا فمن غير المنطقيِّ دراسة مبدأ الإمامة كحدث تعليميّ فحسب، ما دام الهدف هو معرفة شكل النّظام الإسلاميّ بعد النَّبِيّ ﷺ.

وفي ضوء حديث الثقلين[١] وما تقدَّم يتَّضحُ ضرورة وجود إمام معصوم في كلِّ جيل حافظ للشريعة وقرين للكتاب.

فنحن ننتظر ظهور الإمام المعصوم، ولأنّ إرادة اللّه تعالى اقتضت غيبته عليه السلام، فلا شكّ في أنه قد وضع لنا نظاماً نسير عليه في ظلِّ غيبته، وهذا ما سنتعرَّفُ عليه في المبحث القادم.

يقول الشّيخ محمّد أمين زين الدّين: «فليكن مستوراً إذا أوجبت عليه الظروف أن يستتر، فإن الاختفاء لا يضرُّ بشأن من شؤونه، إذا كان غيرهُ سبب هذا الاختفاء، كما لا يضرُّ بالشمس سترُها من وراء السحاب»[٢].

يقول الشاعر في شان الإمامة والإمام:

مِنْ نَبعِ أحمدَ إذ يَفِيضُ مَعِينُهُ ... بِهُدَى الإمامةِ سائغاً نَتَذَوَّقُ
بِظُهُورِ قائِدِنا وصَاحِبِ أَمْرِنا ... فَخْرِ الإمَامَةِ مَن لَهُ نتشَوَّقُ

---

(١) روى الترمذي في الجزء ١٣، ص ٢٠٠، من صحيحه عن زَيد بن أرقم، قولُهُ: قال رسول اللّه ﷺ: «إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي أحدُهما أعظمُ من الآخَر كتاب اللّه، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما»

(٢) مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهديّ والمهدوية، للشّيخ محمد أمين زين الدين، ص ٤٢، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت.

مسألة الحكم زمن الغيبة

(المَهديُّ مِن وُلدِي، تَكُونُ لَهُ غَيبَةٌ وَحَيرَةٌ
تَضِلُّ فِيها الأُمَم، يَأتي بِذَخِيرَةِ الأَنْبِياءِ،
فَيملَؤُها عَدلاً وَقِسطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً)

النَّبيّ الأكرَم ﷺ

لا شكّ في أنّ البحث في مسألة الحُكم في زمن الغيبة، ليس ترفاً علميًّا ـ كما قد يتصوَّرُ البعض ـ وإنّما هو بحثٌ في غاية الأهمّيّة؛ لتعلُّقِها بكلِّ شؤون الأُمّة في حاضرها ومستقبلها، ناهيك عن كونها من ضروريّات الدّين.

ضروريّة الحُكم الإسلاميّ:

لا شكّ في أنّ وجوب قيام الدّولة الإسلاميّة في زمن الغيبة من ضروريّات الدّين التي لا تحتاج إلى محاولة إثبات؛ لأنّ الدّولة جزءٌ من الدّين في الشريعة الإسلاميّة، والإسلام كما هو معلوم لا يعترف بفصل الدّين عن الدّولة.

يقول المُحدّث الفَقِيه الفيض الكاشانيّ (ت١٠٩١ هـ): «فوجوب الجهاد، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والتّعاون على البرِّ

والتقوى، والإفتاء، والحُكم بين النّاس بالحقّ، وإقامة الحدود والتعزيراتُ، وسائر السياسات الدّينيّة، من ضروريّات الدّين، وهو القطب الأعظم في الدّين، والمهم الذي ابتعث اللّه له النَّبِيّين، ولو تُرِكَتْ لعُطِلّتْ النّبوّة، وَاضمَحَلّت الدّيانة، وعمّت الفتنة، وَفَشتِ الضلالة، وشاعتِ الجهالة، وخَرِبَتْ البلاد، وهَلكَ العباد، نعوذ باللّه من ذلك»[١].

ويقول صاحب الجواهر: «وبالجملة... فالمسألة من الواضحات التي لا تحتاج إلى أدِلَّة»[٢].

ويقول السَّيد البروجردي: «اتّفَقَ الخاصّة والعامّة على أن يلزمَ في محيط الإسلام وجود سائس وزعيم يُديرُ أمور المسلمين، بل هو من ضروريّات الإسلام»[٣].

ويقول سماحة سيّدي الوالد ﷾: «ولعلّ ما يترتَّبُ على ترك امتثال هذا الوجوب من محاذير شرعية، يكفي في لفت النظر إلى ضروريّتِهِ الدّينيّة، وربما كان أهمَّها ما يلي:

- تعطيل التّشريع الإسلاميّ في أهمِّ جوانبه: وهو الجانب السّياسيّ، وحرمته من الوضوح بمكان؛ نظراً إلى أنّه تشريعٌ عُطِّلَ؛ وإلى ما ينجم عن تعطيله من ارتكاب المحارم، وانتشار الجرائم، وشيوع الموبقات، وأمثالها.

---

(١) مفاتيح الشّرائع، للفيض الكاشانيّ، باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

(٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للشّيخ النّجفيّ، كتاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ص ٦١٧.

(٣) البدر الزّاهر في صلاة الجمعة والمسافر، للشّيخ حسين منتظريّ، ص ٥٢.

- الخضوع للحُكم الكافر: وهو ممّا ينجم عن تعطيل التّشريع السّياسيّ الإسلاميّ أيضاً، وأفردتُهُ بالذكر هنا نظراً؛ لأهمّيّته ولوضوحه؛ لأنه ليس وراء عدم الخضوع للحكم الإسلاميّ ممّن يعيش في بقعة جغرافية سياسيّة، إلّا الخضوع للحكم الكافر؛ لأنّه لا ثالث للإسلام والكفر؛ إذ الحكم حكمان: حكم اللّه وحكم الجاهليّة.

ويُضيف سماحة سيّدي الوالد ﷺ: «إنَّ مَن يُتَوهَّمُ ذهابُهُ من الفقهاء إلى إنكار الوجوب، إنّما هو نتيجة سوء فهم لما يريده، إذ ربما كان ذلك الفَقِيه يقصد سقوط امتثال الوجوب لا إنكار الوجوب؛ وذلك لعدم القدرة على القيام بامتثاله بسبب وجود موانع سياسيّة أو غيرها. على أنه لا يُحتَمَلُ ذهاب فقيه إلى القول بإنكار الوجوب؛ لأنه قول بما يخالف الضرورة من الدّين، ولاستلزامه جواز الخضوع للحكم الكافر، وهو مُحَرَّمٌ بالضّرورة أيضاً»[1].

الحاكم الأعلى للدّولة الإسلاميّة:

إذا ما آمنّا بأنَّ الإمام المعصوم هو الحاكم الأعلى للدّولة الإسلاميّة.

وإذا ما آمنّا بأنَّ مسألة الحكم في زمن الغيبة من ضروريّات الدّين.

وإذا ما آمنّا بأنّها من الواجبات التي لا تزال قائمة، ولا نزال مكلّفين بها.

لابُدّ لنا من أن نسأل: ما هو شكل الحكومة؟

---

(١) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، ص ٧٤.

ومَن هو الحاكم الأعلى للمسلمين في ظل غيبة الإمام؟

وما هي تشكيلات الحكومة الإسلاميّة؟

وما هو المخطَّطُ العامّ للحكومة الإسلاميّة؟

يجيب سماحة سيّدي الوالد قدس سره، بقوله: لابُدّ من أن تكون الحكومة الإسلاميّة في زمن الغيبة، على الشّكل التّالي:

١. أن تكون حكومة دستوريّة.

٢. وأنَّ الفَقِيه العادل هو الحاكم الأعلى في الدّولة.

٣. وأن تُدارَ الدّولةُ من الاختصاصيّين العدول، وبإشراف الرّئاسة العادلة.

أمّا تشكيلات الحكومة فيرى قدس سره: أنّها عبارة عن وسائل وأساليب لإدارة ورعاية شؤون الأُمّـة، وهي موضوعات وليست أحكاماً؛ ولذلك لا يُنتظرُ من التّشريع أن يتكفلّها، وإنّما يتكَّفلُ وضع الأحكام المناسبة لها بوصفها موضوعات.

والمخطَّطُ العام للحكومة الإسلاميّة، يكون على النّحو التّالي:

- السُّلطة التّشريعيّة: وتعود إلى الفقهاء العدول وتحت إشراف الفَقِيه الأعلم.
- السّلطة التّنفيذيّة: وتعود إلى الأُمناء من أبناء الأمة ممّن تتوافر فيهم إمكانيّة القيام بمسؤولية التّنفيذ وضماناته الشّرعيّة.
- السّلطة القضائيّة: وتعود إلى الفقهاء أيضاً، ويرجع أمر تعيينهم إلى رئاسة الدّولة.

كتابات الإماميّة حول الدّولة الإسلاميّة:

كتابات الإماميّة حول شكل الدّولة الإسلاميّة في زمن الغيبة قليلةٌ جدّاً ومختصرة قبل قيام الجمهورية الإسلاميّة في إيران، وربما يعود ذلك إلى أنّ أغلب الفقهاء المعاصرين كانوا من القائلين بنَظريَّة الدّعاء.

يقول السَّيِّد الدكتور عادل الحسين[1]: «في النصف الثاني من القرن العشرين المُنصرم تناولت عدّة دراسات مفهوم الدّولة الإسلاميّة في الفكر الشّيعيّ من عدّةِ زوايا.

وهذه بعض الدّراسات التي كُتِبَتْ في الموضوع ذاتِهِ وفقاً لترتيبها الزمنيّ:

- الأُسس الإسلاميّة، للسَّيِّد الشَّهِيد محمّد باقر الصّدر، ١٩٥٨م.
- في انتظار الإمام، للشّيخ عبد الهادي الفضليّ، ١٩٦٤م/ ١٩٦٨م.
- الحكومة الإسلاميّة، للإمام السَّيِّد روح اللّه الخمينيّ، ١٩٦٩م.
- الإسلام يقود الحياة، للسَّيِّد الشَّهِيد محمّد باقر الصّدر، ١٩٧٩م.
- الدّولة الإسلاميّة، للشّيخ عبد الهادي الفضليّ، ١٩٧٩م.
- الخمينيّ والدّولة الإسلاميّة، للشّيخ محمّد جواد مغنيّة، ١٩٧٩م.

---

(١) باحث وأديب إسلاميّ من الأحساء.

• نَظريَّة ولاية الأُمّة، للشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين، ١٩٨٩م.

وتُعتبر الدراسات الثلاث الأولى هي اللبنة الأساس في تأصيل وبلورة مفهوم الدّولة الإسلاميّة في الفكر الشّيعيّ.

وتأتي الدّراسات الأُخرى اللّاحقة إمّا كمناقش، أو مُفسِّر، أو موسِّع لتلك الأصول والأُسس التي بُحِثَتْ مِن قِبَلِ كلٍّ من الشَّهِيد الصّدر والشّيخ الفضليّ والإمام الخمينيّ، رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين»[1].

(١) مجلّة الموسم، العدد ١٠٧، ص ٤٥٣.

الفصل الرابع:

دولة الإمام ودولة الفَقِيه

دولة الإمام.

دولة الفَقِيه.

دولة الإمام

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾

[سورة النصر]

دلّت العديد من الرّوايات الشّريفة على حتميّة قيام دولة الإمام المَهديّ عليه السلام، ومنها:

قول رسول اللّه ﷺ: (يَكُونُ فِي أُمَّتِي المَهدِيّ إِنْ طَالَ عُمْرُهُ مَلَكَ عَشرَ سِنِين، وَإِنْ قَصُرَ عُمْرُهُ مَلَكَ سَبعَ سِنِين أَوْ ثَمَاني سِنِين).

وتتميز دولة الإمام المَهديّ عليه السلام - دولة الإسلام - عن غيرها من الدول عبر التاريخ في عالميتها، بمعنى أنها تَعُمُّ أرجاء كوكب الأرض كُلَّها.

ويرى بعض الباحثين أنّ دولة الإمام عليه السلام ستكون (كونية) أي أنها ستشمل جميع الكواكب[1].

والناس في زمن غيبته عليه السلام أفضل أهل كلّ زمان، لأنهم على قدرٍ عالٍ

---

(١) يُنظر: كتاب (الطور المهدوي) للأستاذ عالم سبيط النيلي رحمه الله.

من الوعي والعلم بحيث أصبح إيمانهم بغيبة الإمام بمنزلة المشاهدة.

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «يَا أَبَا خَالِدٍ إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ القَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ والمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهُمْ مِنَ العُقُولِ وَالأَفْهَام وَالمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ المُشَاهَدَةِ وجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ المُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالسَّيْفِ أُولَئِكَ المُخْلَصُونَ حَقّاً وَشِيعَتُنَا صِدْقاً وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرّاً وجَهْراً»[1].

الدّولة العالميّة:

تؤكد مصادر التّشريع الإسلاميّ على وجوب تبليغ الرسالة الإسلامية إلى كلِّ أنحاء العالم باعتبارها الرسالة الخاتمة.

وإقامة الدّولة في زمن الغيبة ضروريّة كمقدمة لظهور الإمام عليه السلام، ليألف النّاس الحكم الإسلاميّ من جهة، ولتزيل الكثير من العقبات في سبيل تحقيق الدّولة العالميّة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «إذا قام القائم المَهديّ لا تبقى أرض إلّا نوديَ فيها شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»[2].

ومعنى ذلك أنّ الإسلام سيكون هو النّظام العالمي الوحيد، ما يعني أنّ العالم كُلَّهُ سيكون تحت مظلَّة راية واحدة، وعملة واحدة، ولا

---

(١) كمال الدين واتمام النعمة، للشّيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٦٥، ص ٢٣١.

وجود للحدود المصطنعة بين البلدان، والأهمُّ من هذا وذاك أنّه لن يكون هناك تمايز بين النّاس إلّا بالقدرات[١].

يقول الإمام الخامنئي: «لو لم تكن المهدويّة لكان معنى ذلك أنّ جميع مساعي الأنبياء وكلّ هذه الدّعوات والبعثات وهذه التّضحيات والجهود المضنية ستكون بلا فائدة وتبقى بلا أثر»[٢].

كيف ستتحقّق دولة الإمام؟

إذا ما دقّقْنا النَّظَرَ في النّصوص الـواردة في عالميّة دولة الإمام المَهديّ عليه السلام سنجد أنّها على ثلاث طوائف:

الطائفة الأُولى: هي الرّوايات التي يُفهم منها أنّ دولة الإمام عليه السلام ستتحقَّقُ على نحو الإعجاز، أي أنّ الإمام لن يكون بحاجة لمساعدة من أحد، وهي الرّوايات التي تقول: (يُصلحه اللّه في ليلة)[٣].

الطائفة الثانية: وهي الرّوايات التي يُفهم منها أنّ الإمام عليه السلام عندما يظهر سيقوم بنفس دور النَّبِيّ عليه السلام في تبليغ الرسالة، أي يدعو النّاس للإيمان بدعوته فيتحرّك بشكلٍ سرّيّ كما تحرَّكَ رسول اللّه صلى الله عليه وآله في بدء الدّعوة لمدَّةِ ثلاث سنوات (الفترة السّريّة) ثُمَّ أعلن الدّعوة.

---

(١) يبدو لي – واللّه أعلمُ – أنّ عملة البتكوين العالميّة الجديدة والتي أخذت بالانتشار بسرعة، وإسقاط الكثير من الدول تأشيرة الدّخول فيما بينها يشيران إلى إمكانيّة تحقّق هذا بسهولة عند الظّهور المبارك.

(٢) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ٢٠١١/٠٧/٠٩ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

(٣) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥١، ص ٨٢.

فالإمام المَهديّ عليه السلام سوف يتّصل بالأفراد ويدعوهم للإيمان بدعوته أو إلى الاشتراك معه في النّهوض بها وتطبيقها على أرض الواقع، وقد تطول هذه المرحلة وقد تقصر، ويبدأ حركته العلنيّة بعد أن يقوى عودها وتستطيع أنْ تصمُد وتجابِه وتقاوم حتّى تصلَ إلى الهدف، كما فعل الأنبياء السابقون وكما فعل جميع الدُّعاة والمُصلحين.

وهذه الطائفة من الرّوايات هي القائلة بأنّ عدد أنصاره عليه السلام بعدد أصحاب بدر (٣١٣ شخصاً)، وأيضًا الرّوايات التي تشير إلى أنّه عليه السلام عندما يريد الخروج سوف يتّصلُ بهؤلاء الأشخاص ويهيِّئُ معهم للحركة، ويعطيهم التّعليمات اللازمة في كيفيّة انطلاقها.

فلا مكان للمُعجزة هنا لا من قريب ولا من بعيد.

الطائفة الثالثة: وهي الرّوايات التي يُفهم منها أنّ الإمام عليه السلام يخرج وهناك دولة قد مهّدت له، متطلَّبات الدّعوة، فكريًّا، وسياسيًّا، وثقافيًّا، وعسكريًّا.

والسُّؤال الذي يفرض نفسه هنا.

أيُّ الطّوائف الثلاث هي الأجدر بأن يسير على نهجها المؤمنون؟

الجواب على السؤال يقتضي أنْ نُقارن بين هذه الرّوايات من حيثيتين: (الكثرة) و(الاعتبار):

فإذا ما قارّنا بين الطوائف الثلاث من حيث الكثرة سنجد أنّ الرّوايات التي تقول بالتَّمهِيد هي أكثر من الرّوايات التي تقول بالاعتماد على أنصاره بكثير، أمّا الرّوايات القائلة بأنه يخرج على نحو الإعجاز فهي قليلة جدًا.

وإذا ما قارّنا بين الطّوائف الثلاث من حيث الاعتبار سنجد أنّ الرّوايات التي تُشير إلى التَّمهِيد تُعَدُّ رواياتٍ مُعتبرةً وهي من الكثرة التي قد معها تصل إلى حدِّ الاعتماد عليها، بينما الرّوايات الأُخرى قد يؤخذ ـ من حيث الاعتبار ـ على أسانيدها بعض الملاحظات أو بعض الإشكالات كما يقولون[1].

والتّقدّم العلميّ والعسكريّ الحاصل في الجمهورية الإسلاميّة يجعل من فكرة (التَّمهِيد) أقربَ للواقع من فكرة (الإعجاز) أو (الدّعوة).

ويصف الشاعر دولة الإمام بقوله:

بدولةٍ مِن خُيوطِ الوَحي قَدْ نَسَجتْ ثوبَ الحياةِ فَلا زيغٌ وَلا صَدَدُ
وَقَـائـم تُـسـرِجُ الآفـاقَ طَلعتُهُ وَطَـوعُ إمرَتِه الأنحاءُ وَالأمدُ
يَقومُ بينَ يديهِ العَدلُ مَلحمةً وجُند مَنهَجه الإيمَانُ وَالرَّشَدُ[2]

قوانين دولة الإمام:

لكلّ دولة مُتحضِّرة في عالَمِ اليوم قوانين وضعها أفراد (سلطتها التّشريعيّة) لتنظيم شؤون الدّولة الدّاخلية وعلاقاتها الخارجيّة.

أمّا دولة الإمام المُرتقبة فسوف تكون قوانينها إلهية، وهذا هو الفارق بين دولة الإمام وبقية الدول.

ولعلَّ أهَمَّ المؤسسات في أنظمة الدول المتحضِّرة، هي: نظام العدالة

---

(١) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، مبحث دولة الإمام.

(٢) الأبيات لشاعر القطيف حسين آل جامع.

الاجتماعيّة، والنّظام الاقتصاديّ، بالإضافة للأنظمة التي تدير شؤون الدّولة: التّنفيذية، والتّشريعيّة، والقضائيّة.

وما دام الحديث عن دولة الإمام فلابُدّ من الإشارة إلى الطّريقة التي ستكون عليها هذه الأنظمة:

- نظام العدالة الاجتماعيّة: سَتُطَبَّقُ العدالة في دولة الإمام بدقةٍ عالية، فلا مكان لِلْعُنْصُرِيَّة في المجتمع بكلِّ أشكالها، ولا مكان للطّبقية فالنّاسُ متساوون في الحقوق والواجبات.

- النظام الاقتصاديّ: سيأخذ الجانب الاقتصادي في دولة الإمام شكلاً إسلاميًّا، تُراعى فيه جميع طبقات وشرائح المجتمع، فليس هو اقتصاداً رأسماليًّا احتكاريًّا، ولا اشتراكيًّا أثبت فشلَه.

- سُلطات إدارة الدّولة: ستكون التّعيينات في السلطات (التّنفيذية، والتّشريعيّة، والقضائيّة) وفق الأُطر الإسلاميّة، فلن يكون فيها مكان للمحسوبيّة والقرابة والوراثة وما شاكلها.

والإمام عليه السلام سيتولّى الرئاسة التّنفيذية والتّشريعيّة في الدولة باعتبارهما من وظائفه التّكليفيّة.

أمّا القضاء في دولة الإمام فسوف يكون على ما كان عليه في عهد النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعهد الإمام عليّ عليه السلام.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «فلما أفضتْ إليَّ - يعني الخلافة - نظرتُ إلى كتاب اللّه وما وُضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبَعتهُ وما استَّسن

النَّبِيّ ﷺ وسلم فاقتديته»[١].

فالإمام عليه السلام قد حدَّدَ المصدر، وهما: القرآن الكريم والسُّنّة المُطهَّرة.

الدّولة الكَونيّة:

يرى الأُستاذ عالم سُبيط النيليّ رحمه الله وغيره من الباحثين بأنّ دولة الإمام ستكون (دولة كونيّة) بمعنى أنّها ستعمّ جميع أرجاء الكون مستنداً في ذلك لما فهمه من بعض الرّوايات الشريفة والآيات الكريمة.

ولا يخفى ـ عليك عزيزي القارئ ـ أنَّ الكواكب في أيِّ مجموعةٍ شمسيةٍ تعمل كمنظومة واحدة وكلَّ كوكب يُؤَثِّرُ وَيَتَأَثَّرُ بالآخر، وأنَّ المجموعات الشّمسية في اَلمَجَرَّةِ الواحدة تعمل كمنظومة أيضاً، وهو ما يعني بالضرورة أنّ المجرَّات في هذا الكون الفسيح تعمل كمنظومة متكاملة.

وَلَا شَك فِي أَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُق هَذَا اَلكَوْنِ اَلعظِيمِ إِلَّا لِأَهْدَافٍ وَغَايَاتٍ.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

وكشف أسرار وطاقات الكواكب المُتناثرة في المجرّات هي أحد تلكم الأهداف.

قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ

---

(١) يُنظر: نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٨٣.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ سورة الرحمن، الآية: ٣٣.

ولا شك في أنّ اللّه تعالى قد سَخَّرَ للإنسان كُلّ ما في هذا الكون من طاقات.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ سورة لقمان، الآية ٢٠.

كما أنَّ هذا الكون الفسيح في تَمَدُّدٍ مُستمر ولا يعلَم مداه إلّا اللّه عزّ وجلّ.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

ولا شك أيضاً في أنّ الكواكب مأهولة بالمخلوقات التي لا تَنْفَكُّ عَن التَّسبِيحِ للّه تعالى.

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

وروي عَنْ الإمام الباقر عليه السلام في مقطع من حَدِيثٌ طَوِيلٌ: «لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اَللَّهَ إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا اَلعَالَمَ اَلوَاحِدَ أَ وَتَرَى أَنَّ اَللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ غَيْرَكُمْ؟

بَلَى وَاَللَّهِ لَقَد خَلَقَ أَلفَ أَلفِ عَالَمٍ، وَأَلفَ أَلفِ آدَمَ، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ اَلعَوَالِمِ وَأُولَئِكَ اَلآدَمِيِّينَ».

نُزُول الإمام:

لا يخفى أنَّ لكُلِّ لفظٍ في اللُّغة العربيّة معنًى خاصاً به، فلفظ (ظُهور) مثلاً يختلف عن لفظ (نُزول)، وهو ما استند له القائلون بكونيّة دولة الإمام.

سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن تأويل قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

قال: «يَنْزِلُ فِي سَبْعِ قِبَابٍ مِنْ نُورٍ، لاَ يُعْلَمُ فِي أَيِّهَا هُوَ، حِينَ يَنْزِلُ فِي ظَهْرِ الكُوفَةِ، فَهَذَا حِينَ يَنْزِلُ»(١).

والرّواية كما هو واضح تَتَحَدَّثُ عن (نُزول) ما يعني أنّ الإمام عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى قد يكون مُقيماً في أحد كواكب المجرّات، أي ليس بالضّرورة أن يكون متواجداً طوال الوقت في في مجرَّتنا وبالتحديد في كوكب الأرض، وهذا واردٌ إذا ما علمنا أنّ قوى الاستكبار العالميّ كانت ولا زالت تسعى للقبض عليه، واستهداف أمريكا واليهود والنواصب - في عصرنا الحالي - لِشَخصِهِ عليه السلام أصبحَ من الواضحات.

والقباب التي من نور ما هي إلّا إشارة إلى وسيلة النَّقْل المُتَطَوِّرَة جِدًّا التي لم يعهد النّاس مثلها، وَهُوَ أَمرٌ مَعْقُولٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، فَثَمَّةَ رِوَايَاتٌ شَرِيفَةٌ قَد أَشَارَت إِلَى التَّطَوُّرِ العِلمِيِّ الهَائِل الَّذِي يُحْدِثُهُ عليه السلام عِندَ خُرُوجِهِ.

---

(١) تفسير العياشيّ، ج ١، ص ١٠٣/ ٣٠١.

يقول المرجع الشّيخ ناصر مكارم الشيرازيّ: «أَكِيد لَا يَقْصِدُ اَلغُيُومَ اَلعَادِيَّة، لِأَنَّ اَلغُيُومَ لَيْسَتْ وَسِيلَةً لِلنَّقْلِ لِيَتِمَّ بِوَاسِطَتِهَا اَلسَّفَرَ إِلَى اَلْفَضَاءِ، لِأَنَّهَا تَسِيرُ بِالقُرْبِ مِن اَلْأَرْضِ، بَلْ هُنَا اَلإِشَارَةَ إِلَى وَسِيلَةٍ فَائِقَة اَلسُّرْعَةِ تَظْهَرُ فِي اَلسَّمَاءِ كَالسَّحَابِ اَلمُتَرَاكِم، وَصَوْتُهَا كَالرَّعْدِ، وَسُرْعَتُهَا كَالصَّاعِقَة، تَشُقَّ اَلسَّمَاءُ وَتَسِيرُ إِلَى اَلْأَمَامِ، قَدْ تَكُون أَشْبَهَ بِالصَّحْنِ اَلطَّائِرِ»[1].

وعَن عَبدِ الرَّحِيم أَنَّهُ قَالَ: ابتَدَأَنِي أَبُو جَعفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ ذَا القَرنَينِ قَد خُيِّرَ اَلسَّحَابَينِ فَاختَارَ الذَّلُولَ وَذَخَرَ لِصَاحِبِكُمُ الصَّعبَ، قُلتُ: وَمَا الصَّعبُ؟

قَالَ: مَا كَانَ مِن سَحَابٍ فِيهِ رَعدٌ وَبَرقٌ وَصَاعِقَةٌ فَصَاحِبُكُم يَركَبُهُ أَمَا إِنَّهُ سَيَركَبُ السَّحَابَ وَيَرقَى فِي الْأَسبَابِ أَسبَابِ السَّمَاوَاتِ السَّبعِ خَمسَةٌ عَوَامِرُ وَاثنين خَرَابٌ»[2].

والأسباب هنا كناية عن علم الإمام عليه السلام بأسرار الكون العلمية الفضائية منها وغير الفضائية.

ولهذا فالنّاس في زمان الإمام عليه السلام سوف يكونون على دِرَايَةٍ وَاسِعَةٍ جِدًّا مِن اَلعَلَمِ وَلَا يُقَارِنُونَ بِمَن سَبَقَهُمْ.

---

(١) جاء كلام الشيخ الشيرازيّ في سياق ردّه على سؤال وجّه له بشأن غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصّفار، ج ٨، ص ٤٢٨.

علم الإمام المَهديّ:

روى القُطبُ الراونديّ بسنِده عن الإمام الصّادقِ عليه السلام قالَ: «العلمُ سبعةٌ وعشرونَ جُـزءاً، فجميعُ ما جاءَت به الرسلُ جُـزءان، فلم يعرِف الناسُ حتّى اليوم غيرَ الجُزأين، فإذا قامَ القائمُ أخرجَ الخمسةَ والعشرينَ جُزءاً فبثّها في الناسِ، وضمَّ إليها الجُزأين، حتّى يبثّها سبعةً وعشرينَ جُزءاً»(١).

وإذا ما علمنا أنّ اَلتَّطَوُّرَ العلميّ وَالتِّقْنِيَّ الهائل المُعاصر يعتمد النّظام الرقميّ - يعتمد على القيمتين ١ و٠ -، وهذا النّظام هو الذي أحدث الثّورة العلمية الدقيقة، وكما نلاحظ فهذا النّظام يعتمد على قيمتين في كلِّ عملياته، فلا يُستبعد أن تكون هاتين القيمتين هما المقصودتان بالحرفين في الرّواية المُتَقَدِّمَة.

ما يعني أنّ بقية القيم الرقمية، أيْ اَلتَّطَوُّرَ العلميّ الشامل سيكون على يد صاحب العصر عليه السلام.

والرّواية عن الإمام الصادق عليه السلام تُشير لهذا المعنى: «إِنَّ قَائِمَنا إِذَا قَامَ مَدَّ اللّهُ (عزَّ وجلَّ) لِشِيعَتِنا فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ حَتَّى [لا] يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القَائِمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمْ فَيَسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ»(٢).

وَرُبَّمَا تَكُونُ هَذِهِ إِشَارَةٌ لِتِقْنِيَّةٍ مُتَطَوِّرَةٍ أَكْثَرَ مِنْ تِقْنِيَّةِ وَسَائِلِ الِاتِّصَالِ الحَدِيثَةِ.

---

(١) الخرائجُ والجرائح: للقُطب الراونديّ، ج ٢، ص ٨٤١، وانظر: مُختصر بصائر الدّرجات، للحسن بن سليمان الحلّي، ص ١١٧.

(٢) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

يقول الشاعر:

سَعَادَتُنَا إِذْ نَقْتَدِي بِذَوِي اِلعَبَا إلى مَن بهِ شعَّ المُبارَكُ شَعبانُ
بِتَمْهِيدِنَا نَرْتَاد دِينًا بِنُورِهِ يُحفِّزُنا كفءُ النيابة أكوانُ

وللمزيد حول هذا الموضوع، يراجع كتاب (الطّور المهدويّ) للأستاذ عالم سُبيط النيليّ رحمه الله.

دولة الفَقِيه

(وأمّا الحوادث الواقعة فارجعُوا فيهَا إلى رواةِ حديثِنَا، فإنّهُم حُجّتِي عليكُم وأنا حُجّةُ اللّهِ عليهم).

الإِمَام المَهديّ عليه السلام

بعد أن دار الحديث حول شكل الدّولة الإسلاميّة في ظلِّ وجود الإمام المعصوم، سيدور الحديث في هذا المبحث - بشكلٍ مختصر - حول ما سمَّيتُهُ (دولة الفَقِيه) وأعني به إدارة الفقيه المجتهد للدّولة الإسلاميّة في زمن الغيبة.

نَظريَّة ولاية الفَقِيه:

إذا ما دقَّقْنا النّظر في نَظريَّة ولاية الفَقِيه المُطَبَّقة في الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية سنجد أنّها تُمثل التّطبيق العمليّ لمبدأ الانتِظَار؛ لأنّ (المبدأ) في أحد تعاريفه - كما تبيَّنَ معنا -: (عقيدة، ومنهج، ونظام).

فالفَقِيه الذي يقف الآن على رأس النّظام الإيرانيّ استمدَّ صلاحيَّتَهُ الدّينيّة من كونه امتداداً موضوعيًّا للإمام المعصوم، فهو فَقيهٌ مجتهدٌ مُلمٌّ بالبُعدين الدّينيّ والسّياسيّ لمبدأ الإمامة، ويملك نظرة شاملة

للحياة، ومُلمٌّ بحضارات الأُمم وخصوصاً الحَضَارَة الغربية المُعاصرة وخططها المتغيرة للنيل من نظام الدّولة الإسلاميّة.

وهو مُجاهد منذ شبابه، وإداريّ ناجح بكلّ المقاييس، بدليل نجاحه في رئاسة الدّولة، وما وصلت إليه الجمهورية الإسلاميّة من تقدّم علميّ في كلِّ المجالات في عهده شاهد على كلّ ذلك.

ويصف الشاعر نائب الإمام، بقوله:

ولنـــا بنائبـــهِ الفَقِيـــه المقتـــدى الـــخـــامـــنـــئي عِـــــزةٌ وتـــألُّـــقُ
فأطِـــلْ إلـــهَ العالميـــنَ بقـــاءَهُ ســـنداً لنهضـــةِ مُنقـــذٍ يترفّـــقُ

والمنهج المتّبع في الجمهورية هو ذاته المنهج الذي رسمه الإمام المنتظر عليه السلام في التّوقيع المُبارك القاضي برجوع النّاس للفقيه المجتهد الواسع المَدارك، الذي يملك القدرة على إدارة دفّة الدّولة في ما يخدم مصالحها.

ودستور الجمهوريّة ينصُّ على أنَّ نظام الجمهورية يستمدُّ أحكامه وتعاليمه من النّظام الإسلاميّ.

الخلاف حول النّظريّة:

كما انقسم فقهاء الإماميّة حول مبدأ الانتِظَار، فقد انقسموا أيضاً حول نَظريَّة ولاية الفَقِيه إلى فريقين:

- فريق يرى وجوب تطبيق مبدأ الإمامة ببُعديه (الدّينيّ والسّياسيّ) في كُلِّ شؤون الحياة؛ لأنّه يرى ـ حسب اجتهاده ـ أنَّ أحاديث

الأئمّة ومقاصد الشّريعة بمجملها تدلّ على حتميّة هذه الوظيفة وبديهيَّتها للمجتهد الكُفء.

- وفريق يرى وجوب تطبيق (البُعد الدّينيّ) من مبدأ الإمامة، وأما في (البُد السياسي) فرأيهم أنّ الولاية تكون في الأمور الحِسبيّة،، فهذا الفريق ـ حسب اجتهاده ـ لا يرى أنّ أحاديث الأئمّة تدلّ على هذا البُعد في زمن الغيبة. وهو ما عليه مشهور الفقهاء[1].

مَراحِل تَبلور نَظريَّة ولاية الفَقيه نظريًّا وعمليًّا:

إذا ما تأمّلنا النّظر في التّوقيع المُبارك[2] الصّادر عن الإمام المَهديّ عليه السلام سنجد أنّه بمثابة التّأصيل النّظريّ لولاية الفَقِيه.

وفي ضوء هذا التّأصيل، وإذا ما تتبَّعنا نَظريَّة ولاية الفَقِيه ـ نظريًّا وعمليًّا ـ منذ عصر الغيبة الصُغرى وحتّى يومنا هذا، سنجد أنّها قد مرّت بعدّةِ مراحل، على النحو التالي:

مَرحَلَة السُّفَرَاء الأربَعَة:

وهي تُمثل بداية ظهور نَظريَّة ولاية الفَقِيه عمليًّا، وتمثّلت في نوّاب الإمام الأربعة، وهم:

١. عثمان بن سعيد العمريّ، من سنة ٢٦٠هـ، وحتّى سنة ٢٦٥هـ.

---

(١) للمزيد حول الموضوع، يُنظر: المدرسة الشيعيّة في ظلال العلاّمة الفضليّ، كاظم الناصر، ج ٢، ص ٨٠.

(٢) التوقيع المبارك: (وأمّا الحوادثُ الواقعةُ فارجعُوا فيهَا إلى رواةِ حديثِنَا، فإنّهُم حُجّتِي عليكُم وأنا حُجّةُ اللّهِ).

٢. محمّد بن عثمان العمريّ، من سنة ٢٦٥هـ، وحتّى سنة ٣٠٥هـ.

٣. الحسين بن روح النوبختيّ، من سنة ٣٠٥هـ، وحتّى سنة ٣٢٦هـ.

٤. علي بن محمّد السمريّ، من سنة ٣٢٦هـ، وحتّى سنة ٣٢٩هـ

مَرحَلَة الشّيخ المُفيد (ت ٤١٣هـ):

يُعَدُّ الشّيخ المُفيد قدس سره أوّل مَن أشار إلى نَظريَّة ولاية الفَقِيه وإنْ لم يذكرها بعنوانها المعروف اليوم.

يقول الشّيخ المُفيد قدس سره في كتابه (المُقنِعة): «فأمّا إقامة الحدود فهو إلى سُلطان الإسلام المنصوب من قِبل اللّه تعالى وهم أئمّة الهُدى مِن آل محمّد عليهم السلام ومن نَصَبُوه لِذلك من الأُمراء والحُكام، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان، ومن تأمّر على النّاس من أهل الحقّ بتمكين ظالم له وكان أميراً من قِبله في ظاهر الحال؛ فإنّما هو أمير في الحقيقة من قِبل صاحب الأمر الذي سَوَّغهُ ذلك وأذن له فيه دون المتغلِّب من أهل الضّلال»[1].

مَرحَلَة العلّامة الحلّيّ والشّهيد الأوّل:

- العلّامة الحلّي (ت ٧٢٦هـ): تمثّلت هذه المرحلة في تبنّي الفَقِيه ابن مُطهّر الحلّي قدس سره لنَظريَّة ولاية الفَقِيه، فيرى: أنّ

(١) المُقنِعة، للشّيخ المفيد، ص ٨١٠-٨١٢، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ط ٢، ١٤١٠هـ، قُم.

للفقهاءالحُكم بين الناس، وإقامة الحدود، وأنّ تعطيل الحدود فيه مفاسد عدّة[١].

- الشّهيد الأوّل (ت ٧٨٦هـ): طُبقت نَظريَّة ولاية الفَقِيه عمليًّا ـ مَرَّةً ثانيةً ـ في القرن الثامن الهجريّ، على يد الشّيخ محمّد بن مكّي الجزّينيّ العامليّ صاحب كتاب (اللُمعة الدّمشقيّة) والمعروف بالشَّهِيد الأوّل.

يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره في معرض تحليله لأسباب استشهاد الشّيخ العامليّ: «أمّا الإدانة ـ حقيقةً ـ فكانت لأنّه كان يقول بمبدأ ولاية الفَقِيه، وكوّن له تحت مظلَّتِها مرجعيَّةً كبيرة في ربوع الشام... وبدفع قوي من هذه المرجعيّة تحرك في ربوع الشام لتجميع فلول الشّيعة، وجمع أمرهم، وإقامة سُلطة سياسيّة شرعيّة لهم، فجبى الأموال وأعدّ الرجال، واتّصل بحكومات الشيعة في وقته سِرّاً وعلانية».

مَرحَلة الشّيخ الكركيّ العامليّ (ت ٩٤٠هـ):

طُبِقَت النّظريّة عمليًّا ـ مَرَّةً ثالثةً ـ في العصر الصفويّ وعلى يد الشّيخ عليّ الكركيّ العامليّ المعروف بالمُحقِّقِ الثاني والمُحقِّق الكركيّ، ويبدو أنه أوّل من طرح ولاية الفَقِيه العامّة بشكل صريح.

يقول المحقّق الكركيّ قدس سره: «اتفق أصحابنا ـ رضوان اللّه عليهم ـ على أنّ الفَقِيه العدل الإماميّ الجامع لشرائط الفتوى، المُعبر عنهُ

---

(١) تذكرة الفقهاء، لابن مُطهّر الحلّي، ج ١، ص ٤٥٥.

بالمُجتهد في الأحكام الشّرعيّة، نائب من قبل أئمّة الهُدى – صلوات اللّه وسلامه عليهم – في حال الغيبة في جميع ما للنيابة فيه مدخل... فيجب التحاكم إليه والانقياد إلى حكمه»[١].

ويقول عن مسألة ولاية الفَقِيه: «لابُدّ من قبول حكومة المُستضعفين، ولابُدّ من العمل من أجلها، وإنّ المرجع الجامع للشّرائط لابُدّ أن يكون حاكماً للمسلمين، ولابُدّ أن تكون القيادة تحت تصرفه»[٢].

مَرحَلَة الفُقهاء الأربَعة:

وكانت في القرن الثالث عشر الهجريّ، وعلى يد أربعة من كبار فُقهاء الإماميّة، وهم:

- الشّيخ أحمد النراقيّ (ت ١٢٤٥هـ): يُعتَبَرُ كتابُ الشّيخ النراقيّ (عوائد الأيام) أوّل كتاب فقهي يتعرّض بالبحث لنَظريَّة ولاية الفَقِيه المُطلقة بشكلٍ مستقلّ ومنهجيّ.

فقد خَصّص العائدة رقم (٥٤) من كتابِهِ لبحث هذه المسألة.

يقول الشّيخ النراقيّ قدس سره: «إذن يمكننا القول – والتوفيق من اللّه إنّ كليّة ما للفَقِيه العادل توليّه وله الولاية فيه أمران:

أحدهما: كُلّ ما كان للنّبيّ والإئمّة – الذين هم سلاطين الأنام وحصون الإسلام – فيه الولاية وكان لهم، فللفَقِيه أيضاً ذلك، إلّا ما أخرجه الدّليل عن إجماع أو نصّ أو غيرهما.

---

(١) رسائل الكركيّ، ج ١، ص ١٤٢، مكتبة المرعشيّ النجفيّ، ١٤٠٩هـ، قُم.

(٢) الدّين والسياسة في الدولة الصفويّة، رسول جعفريان، ص ٣٢ و٣١٢.

والآخر: كُلّ فعل متعلّق بأمور العباد في دينهم أو دنياهم، ولابُدّ من الإتيان به ولا مفرّ منه، إمّا عقلاً (أعمّ من العُرف والعادة) من جهة توقّف أمور المعاد أو المعاش لواحد أو جماعة عليه، وإناطة انتظام أمور الدّين أو الدُّنيَا به، أو شرعاً من جهة ورود أمر به أو إجماع، أو نفي ضرر أو إضرار، أو عسر أو حرج، أو فساد على مسلم، أو دليل آخر، أو ورود الإذن فيه من الشارع ولم يجعل وظيفته لمعيّن واحد أو جماعة ولا لغير معيّن - أي واحد لا بعينه - بل علم لا بُدّيّةُ الإتيان به أو الإذن فيه، ولم يُعلَم المأمورُ به ولا المأذون فيه، فهو وظيفة الفَقِيه، وله التصرّف فيه، والإتيان به»[1].

- الشّيخ مير فتّاح حسين المراغيّ (ت ١٢٥٠هـ): بحث الشّيخ المراغيّ ﷺ النّظريّة في ثلاثة بحوث مستقلّة من كتابه الفقهيّ الاستدلاليّ (العناوين). درس في أحدها موضوع ولاية الفَقِيه، مثبتاً فيه الولاية العامّة للحاكم الشرعي (الفَقِيه).

- الشّيخ محمّد حسن النّجفيّ (ت ١٢٦٦هـ) المعروف بصاحب الجواهر: بحث الشّيخ النّجفيّ ﷺ نَظريَّة ولاية الفَقِيه في موسوعته الفقهيّة الاستدلاليّة الكبيرة في باب المكاسب اَلمُحَرَّمَة.

- الشّيخ مرتضى الأنصاريّ (ت ١٢٨١هـ): بحث الشّيخ الأنصاريّ ﷺ النّظريّةَ في باب البيع من مؤلّفِهِ الشّهير (المكاسب).

---

(١) عوائد الأيام، للشّيخ النراقيّ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

مَرحَلَة الأبطال الثلاثة:

بدأت هذه المرحلة في النّصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجريّ وعلى يد ثلاثة من أبرز فقهاء الإماميّة، وهم:

- الشَّهِيد الصّدر، في مدونة (الأُسس الإسلاميّة) التي طرحها عام ١٩٥٨م.
- العلّامة الفضليّ، في كتابه (في انتظار الإمام) الصادر عام ١٩٦٨م.
- الإمام الخمينيّ، في كتابه (الحكومة الإسلاميّة)، الصادر عام ١٩٦٩م.

ولم يكتف هؤلاء الفقهاء الأبطال بطرح رؤاهم حول ولاية الفَقِيه نظريًّا، وإنّما تبنَّوا النّظريّة عمليًّا من خلال مقاومة الشّهيد الصّدر والعلّامة الفضليّ للنّظام البائد في العراق من خلال قيادتهما لحزب الدّعوة الإسلاميّة.

البابـ الثالث :

الانتِظَار أمل

توطئة البابـ الثالث.

الفصل الأوّل : عوائق الانتِظَار العمليّ الفكريّة.

الفصل الثانيْ : أجيال الانتِظَار.

الفصل الثالث : تجديد الفكر وحُجيّة العُلمَاء.

الفصل الرابع : نَظَريتا الانتِظَار.

توطئة الباب الثالث

(اِنتِظَارُ الفَرَج شمعة الأَمَل)

(بِنَا فُتِحَ اَلأَمرُ وَبِنَا يُختَم، وَبِنَا اِستَنقَذَ اللَّهُ النَّاسَ في أَوَّلِ الزَّمَان، وَبِنَا يَكُونُ العَدل فِي آخِرِ اَلزَّمَان)[1]

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

انتظار الفَرج هو حُلُمُ الأنبياء والأوصياء، هو دعوة النَّبِيّ محمّد ﷺ، وصبر السَّيدة الزّهراء عليها السلام، وجهاد الإمام عليّ عليه السلام، وحكمة الإمام الحسن عليه السلام، وتضحية الإمام الحُسين عليه السلام.

وانتظار الفَرج: هو وعد اللّه عزّ وجلّ للبشريّة بتحقيق العدالة في الأرض، وهو الرئّة التي يتنفس من خلالها المستضعفون في الأرض نسيم الحُرِّيَة والعدل والمساواة، وهو الذي يمدّهم بالطّاقة الهائلة للتّغيير.

ولهذا كلّه:

سيبقى انتظار الفَرج هو الفاصل بين المبدأ وعدمه، والقوّة التي تهزُّ عروشَ الطُّغاة وأسيادهم في كلِّ زمانٍ ومكان، والشّوكة في عيون

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥١، ص ١١٣.

أذنابهم من الفقهاء، والإعلاميّين المأجورين، والمُثَّقفين المُزيَّفين.

وسيبقى انتظار الفَرج هو المُلهم لقادة فكر الانتِظَار في كشف خُطط المُنافقين الضَّالينَ المُضِلّينَ، وَالزَّالّينَ المُزِلّينَ[١].

وسيبقى انتظار الفَرج هو باعث اليقين بحتميّة انتصار الحقّ على الباطل مهما علا شأنه.

وسيبقى انتظار الفَرج هو الأمل الذي يدفع الفقهاء الموطِّئين إلى مجابهة فكر الإحباط والتجهيل بفكر التّفاؤل والتّنوير.

يقول الإمام الخامنئيّ: «لم تزرع الأديان الإلهيّة والسماويّة أملاً واهياً في نفوس البشر، إنّما عبّرت عن حقيقة واقعة.[٢] »

يقول الشّيخ الآصفيّ: «إنّ الانتِظَار من العوامل التي تمدّ الإنسان بالحركة، فإنّه يبعث الأمل في نفسه، والأمل يمنح الإنسانَ القدرة على المقاومة والحركة.

إنّ الغريق الذي ينتظر وصول فريق الإنقاذ، يقاوم أضعافَ ما يقاوم الغريق الذي يفقد الأمل من الإنقاذ.

وإنَّ الإيمان (بوراثة الصَّالحين للأرض) و(إمامة المُستضعفين المؤمنين) وأنَّ (العاقبة للمُتّقين) يمنح الصَّالحين والمُتّقين ثقةً وقوةً، ويثبّت أقدامهم على أرض المعركة، ويمنحهم قدرةً على مواجهة

---

(١) هكذا وصف الإمام عليّ عليه السلام فئة المُنافقين في إحدى خُطبه.

(٢) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٨ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

الصّعاب، وتحدّي الجبابرة والمُستكبرين في أشقّ الظروف وأقساها، ويَحُول بينهم وبين الانهيار والهزيمة النفسيّة في ظروف المحنة الصّعبة»[١].

ويقول الشّيخ حسن الصّفار: «قضيّة الأمل من القضايا المُهمّة التي تحتاجها الأُمّة اليوم فقد عانت من بثِّ روح الهزيمة واليَأس في النفوس، وبالخصوص بعد أن صنعت القوى الكبرى هذا الكيان الصهيونيّ المحتلّ لأرضنا في فلسطين وأمدّوهم بالسّلاح وحاول إعلامهم أن يُقنِعَنَا بأنّ الصهاينة قُوَّةً لا تُقْهَرُ وأنّ المسلمين لا يستطيعون مقاومتها ولا محاربتها، فمن أجل ذلك لا تستطيع الأمة إلّا الرّكوب في قطار السلام المصطنع والتّفاوض معها.

وبالفعل فقدَ الكثير من أبناء الأُمّة الأمَل وتَسلل اليَأس في نفوسهم وصاروا يردِّدون: ليس لنا قدرة على حرب إسرائيل، الخيار الوحيد أن نستجيب للسلام، إسرائيل قَدَرٌ لا بُدّ أنْ نستسلم له، وعقدوا مؤتمرات سَمَّوها مؤتمرات سلام وهي في الواقع مؤتمرات استسلام، ولكن ثبت أنّ ذلك لم يكن إلّا إشاعات يريدون منها تخدير الأُمّة وتضليلها لتنزعَ ثقة الأُمّة بنفسها.

وهنا يأتي دور العقيدة بالإمام المَهديّ التي توقِدُ في النّفوس الأمَل.

وقد ثبت أنّ إسرائيل قوّة مُزيفة، وأنّها تُقهر.

فالمقاومة الإسلاميّة في جنوب لبنان التي كانت تحمل قلوباً عامرةً

---

(١) الانتظار الموجّه، للشّيخ الآصفيّ.

بالأمل وتتطلَّعُ لصاحب العصر والزمان كانت واثقةً بالنصر العظيم الذي حقَّقَتهُ»[١].

فكلّ عمل إصلاحيّ كما يوقِد شُعلة الأمَل في نفوس النّاس، لابُدّ من أن يتعرَّضَ إلى عوائِق فكريةّ واجتماعيةّ، ولابُدّ من أن تتعرَّضَ مفاهيمهُ للتّسطيح، ورموزه للتّسقيط.

والانتِظَار – كعمل إصلاحيّ – لم يشذَّ عن هذه القاعدة، وربما كانت العوائق التي تعرَّضَ ويتعرَّضُ لها أكبرُ بكثير من أيّ حركة إصلاحية معاصرة؛ لأنّ أعداء الأمل المنشود عددهم مهول، وأساليبهم ملتوية، ووسائلهم متعددة، ولا يمكن معرفتها بسهولة، فهم كمن يدسُّ السَّمّ في العسل.

ولهذا ارتأيت أن أُخصَّصَ الفصلَ الأوّلَ من هذا الباب لبيان صراع الحَضَارَة الإسلاميّة (مبدأ الانتِظَار) مع الحَضَارَة الغربية، الذي اشتدّ مع ظهور الحركتين الإسلاميّتين المُباركتين للشّهيد السّيد محمّد باقر الصّدر في العراق، والإمام روح اللّه الخمينيّ في إيران، وما تبعهما من حركات موطِّئة لظهور الإمام المنتظر عليه السلام فكريًّا وسياسيًّا.

وأن أُخصِّصَ الفصلين الثاني والثالث لعوائق الانتِظَار العمليّ الفكريّة والعالميّة.

---

(١) من محاضرة للشّيخ حسن الصّفار ألقاها في أحد مآتم البحرين، ليلة الخميس ١٥/٨/١٤٢٨هـ.

الفصل الأوّل:

عوائق الانتظار العمليّ الفكريّة

اختطاف الهويّة.

صناعة التفاهة.

صناعة الجهل.

التّخدير الفكريّ.

ثقافة اليأس.

ظاهرة الغلوّ في الأئمّة.

ظاهرة التّقديس الأعمى.

لا لليأس نعم للأمل.

اختِطَافُ الهَويّة

سبق أنْ أشرت إلى أنَّ لمبدأ الإمامة بُعدين: (دينيّ وسياسيّ)، وأنَّ مبدأ الانتِظَار من لوازم وصميم مبدأ الإمامة السياسيّ، ولأنَّ مبدإ الانتِظَار بما يُمَثِّلُهُ مِن رُؤْيَةٍ نَهضَوِيَّةٍ ثَورِيَّةٍ تَدعُو إِلى التَّوْطِئَةِ للقائد المُخلّص عليه السلام وإقامة الدّولة وفق أحكام وتَعاليم الإسلام، فقد أخذ الغرب واليهود وأذنابهما من العُملاء حول اَلعَالَم في محاربة فكرة المَهديّ بِشَتَّى الوسائل؛ لأنَّ الحديث عن المَهديّ المُنتظر في واقعه حديث عن الثَّوْرَةِ ضِدَّ الظُّلم وَاستِردَاد الحُقُوقِ.

وهكذا حديث قطعاً سيجعل الشُّعوب تَعي ما يُخطط له ويقومُ به الغرب واليهود من مُؤامرات لِلسَّيْطَرَةِ على عقولها وثَرواتِها.

ويأتي نشر ثقافة اَلخُرَافَة وَالتَّجْهِيل (اختِطَافُ الهَويَّة) من قبل الغرب في أوساط المؤمنين بِقَضِيَّةِ المَهْدِي بِمَثَابَةِ الغَزْو الفِكرِيِّ.

وتوجد مُنَظَّمَات عالميّة كبرى هدفها الرئيسي هو اختطاف هويّة النّاس أفرادًا ومجتمعات وعلى جميع الصُّعُد، ومنه ما أصبح معروف للنّاس كَالمَاسُونِيَّةِ وَالصَّهْيُونِيَّة، ومنها ما هو غير معروف كالمُنظّمة الكورية الجنوبية التي كشف عنها الباحث الأمريكي اليهودي الدكتور ستيفن حسان (Steven Hassan).

والحديث عن مفهوم اختطاف الهويَّة واسع جدّاً ولا يمكن الإلمام به إلّا بالاطلاع على ما كتبه أمثال الدكتور ستيفن حسّان(١).

وَصِنَاعَتَا اَلتَّفَاهَة وَالجَهْل، وَثَقَافَتَي التَّخْدِير الفِكرِيَّ وَاليَأس، وَظَاهِرَتِي الغُلُوَّ وَالتَّقدِيس الأعْمَى مَا هِيَ إِلَّا مَصَادِيق لِمَفهُوم اختِطَاف الهويَّة.

ولهذا خصّصتُ هذا الفصل لتسليط شيئًا من الضوء على الصناعتين والثقافتين والظاهرتين باعتبارها من أبرز عوائق الانتظار العمليّ الفكريّة.

(١) للمزيد حول الموضوع بالإمكان مراجعة مؤلفات الباحث ستيفن حسان التالية:

Combatting Cult Mind Control.

Freedom of Mind: Helping Loved Ones Leave Controlling People, Cults, and Beliefs.

The Cult of Trump: A Leading Cult Expert Explains How the President Uses Mind Control.

صِنَاعَة اَلتَّفَاهَة

لم ولن ينفكَّ أعداء الإنسانيّة عن اختراع الوسيلة تلو الأُخرى في سعيهم لصرف أذهان النّاس عن الاهتمام بالشَّأن العامّ، ومن أحدث تلكم الوسائل هو ما بات يُعْرَفُ بـ (نِظَام اَلتَّفَاهَة).

وعن نِظَام اَلتَّفَاهَة يقول الفيلسوف الكندي المُعاصر آلان دونو (بالفرنسية: Alain Deneault): «إنَّ اَلتَّفَاهَةَ قد بسطت سُلْطَانُهَا عَلى كَافَّةِ أَرجَاءِ العَالَمِ، فَالتَّافِهُون قَد أَمسَكُوا بِمَفَاصِلِ اَلسُّلْطَةِ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى مَوَاقِعِ اَلقَرَارِ، وَصَارَ لَهُمْ اَلقَوْل اَلفَصل وَالكَلِمَة اَلأَخِيرَة فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالخَاصِّ وَالعَامِ».

فهو نظام سيطرَ فيه التَّافِهُون على مُعظم مناحيّ الحياة، وصارت السِّيَادَة فِي اَلمُجْتَمَعَاتِ لِلسَّخَافَةِ وَالتَّفَاهَةِ، وَأَصْبَحَ اَلتَّافِهُونَ هُمْ اَلمُثُلُ اَلعُلْيَا فِي اَلمُجْتَمَعِ بَدَلاً عَن اَلمُفَكِّرِينَ وَالعَبَاقِرَة.

وَعَالم اَليوم قَائِمٌ على هذا اَلنِّظَام، فَهُنَاكَ مَصَانِع لِلتَّفَاهَات اَلدِّينِيَّةِ، وَالإِجتِمَاعِيَّة، وَالثَّقَافِيَّة، واَلسِّيَاسِيَّة، وَأُخرَى لِلفُنُونِ والرياضات اَلتَّافِهَة، وَحَتَّى اَلمَجَال اَلأَكَادِيمِيِّ لَم يُسَلِّمْ مِن تَغَلْغُلِ اَلتَّفَاهَةِ فِيهِ.

ففي المجال الاجتماعيّ أصبحت قيمة النّجاح تعني الكسب السّريع للمال فقط، بغض النّظر عن طُرق ووسائل الكسب، وهذا ما يُؤَكِّدُهُ مَا

يُطْلَقُ عَلَيهِم بِمَشَاهِير اَلتَّوَاصُل اَلِاجتِمَاعِيِّ أَوْ (الفَاشِينْسْتَاتْ) ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وإنْ كان بشكلٍ ضمنيّ.

لقد وجد هؤلاء أنّ أسهل طرق كسب المال هي صِنَاعَة اَلتَّفَاهَة من خلال ما يَطرَحُوه مِنْ مُحْتَوًى لَا قِيمَةً فِكْرِيَّةً لَهُ بَتَاتًا في صَفَحَاتِهِم على مَوَاقِعِ اَلتَّوَاصُلِ اَلِاجتِمَاعِيِّ، وَهِيَ اَلَّتِي قَادَتهُمْ إِلَى عَالَمِ اَلشُّهْرَةِ وَالأَضْوَاءِ، وَمَلَايِين مِنْ اَلمُتَابِعِين اَلتَّافِهِين!!

أمّا عالم الثّقافة المُعاصر فهو مَلِيءٌ بِتَفَاهَاتٍ لا حصر لها، فالرّائج اليوم في عالم الكتب - على سبيل المثال - هي الرّوايات بكلِّ أشكالها، وقوائم الكتب الأكثر مبيعاً تكشف عن ذلك، وجولة قصيرة في أيِّ معرض للكتاب نجد أنّ إقبال الشباب والشابات منصب على هذا اللون من الكتب.

والأمر ينسحب إلى عالم الفن، وهذا ما نُلاحظه بوضوح فيما تَبُثُّهُ مَجْمُوعَةُ نَتْفَلَكْسْ اَلسِّينَمَائِيَّةَ على قنواتها من أفلام مضمونها العامّ يدعو لِلمِثْلِيَّةِ، مُتَّكِئِينَ في ذلك على دعم المؤسسات السّياسيّة والدّينيّة على حدٍّ سواء.

والكنيسة أَقَرَّتْ قَانُون اَلمِثْلِيَّة، فَالبَابَا فَرَنْسِيسْ يَرى أَنَّ مِن حَقِّ اَلمِثْلِيِّين اَلحُصُول على حِمَايَةٍ قَانُونِيَّة.

وَلَا نُبَالِغُ إِذَا قُلنَا إِنَّ اَلتَّفَاهَةَ اِكتَسَحَتْ عَالَمَ اَلفَنِّ، فَأَصْبَحَ كُلُّ مُنْتِجٍ فَنِّيٍّ تَافِهٍ لَا يُقَدَّمُ وَلَا يُؤَخَّرُ، هُوَ مَن يَكْتَسِح دُورَ اَلسِّينَمَا.

كما شملتْ التّفاهة القنوات الفضائيّة اَلمُوَجَّهَةَ، فهذه القنوات ما هي إلّا لون من ألوان صِنَاعَةِ اَلتَّفَاهَة وعددها المهول خيرُ شاهد.

وفي المجال السّياسيّ فيمكن مُلاحظة صِنَاعَةِ اَلتَّفَاهَة في حسابات ما يسمّى بـ(الذُباب الإلكتروني) المهولة في مواقع التواصل الاجتماعيّ التي تهدف إلى تسقيط كُلَّ اَلرُّمُوز اَلدَّاعِيَةِ لِلحُرِّيَّةِ وفي المقابل رفع الساسة الفاسدين في أذهان النّاس.

أمّا في المجال الرّياضيّ فحدِّث ولا حرج، فقد أصبحت رياضة كرة القدم (معبودة الجماهير) ـ على سبيل المثال ـ صِنَاعَةٌ تَافِهَةٌ تَدِرُّ المليارات على أصحابها.

فَالشَّبَابُ اليَوْم مُنْشَغِل بِمُتَابعة اَلدَّوْرِيَّاتِ اَلأُورُوبِّيَّةِ اَلخَمْسِ اَلكُبْرَى فَضْلاً عَنْ اَلدَّوْرِيَّاتِ اَلمَحَلِّيَّةِ وَالْبُطُولَاتِ اَلقَارِّيَّةِ وَالعَالَمِيَّةِ، غَيْرَ آبِهٍ بِمَا يُحَاكُ ضِدَّهُ مِنْ مُؤَامَرَاتٍ.

وَصَدَقَ مَن قَالَ: ذَهَبَ وَقْتُ اَلقَلَم وَجَاءَ وَقْتُ اَلقَدَم.

فبدل أنْ يَتِمَّ تَكْرِيم العَبَاقِرَةِ بـ (القَلَم اَلذَّهَبِيّ)، يَتِمّ تَكرِيم التَّافِهِين بـ(الحِذَاء اَلذَّهَبِيّ)!!

وَبَدَل أَنْ يَتِمَّ تَكْرِيم اَلشَّيْخ اَلسُّبْحَانِي بـ (الكِتَاب اَلذَّهَبِيّ) يَتِمّ تَكرِيم اللاعب مِيسِّي بـ (الكُرَة اَلذَّهَبِيَّة)!!

وأمَّا على اَلمُستوى الدِّينِيِّ فَإِذَا مَا نَظَرنَا لِلمُجتَمَعَاتِ اَلمُتَدَيِّنَة نَجِد أَنَّ صِنَاعَةَ اَلتَّفَاهَة فِيهَا رَائِجَة جِدًّا، فَالبِدَع وَالخُرَافَات فِي عَالَمنَا اَلشِّيعِيِّ ـ عَلَى سَبِيلِ اَلمِثَالِ ـ وَبِالخُصُوصِ فِي (اَلشَّعَائِر اَلحُسَيْنِيَّة) و(القَضِيَّةُ اَلمِهْدَوِيَّة) مُنْتَشِرَةً بِشَكْلٍ رَهِيب، فَكُلّ عَام يُطِلُّ عَلَيْنَا صُنَّاعُ اَلتَّفَاهَة بِبِدْعَةٍ جَدِيدَةٍ على أَنَّهَا مِن اَلشَّعَائِرِ اَلحُسَيْنِيَّة، وَالضَّرْبُ عَلَى اَلمَاءِ بِالحِذَاءِ مِنْ اَلبِدَعِ اَلمُسْتَحْدَثَةِ هَذَا اَلعَام، وَقِطَعًا لَن تَكُونَ اَلأَخِيرَةَ!!.

أَمَّا بِالنِّسبَةِ لِصِنَاعَة اَلتَّفَاهَة فِي اَلقَضِيَّةِ اَلمِهْدَوِيَّة فَيَكفِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ كَثرَةً اَلمُدَّعِينَ لِلمِهْدَوِيَّة فِي اَلعَصْرِ اَلحَدِيثِ وَمَا يَطرَحُوهُ مِن خُرَافَات.

فَنَحْنُ نَظَرِيًّا وَعَمَلِيًّا نَعِيشُ فِي عَصْرِ اَلتَّفَاهَة أَوْ عَصْر اَلرُّوَيْبِضَةِ!!

وهو ما حَذرنا منهُ رسول اللّه ﷺ في الحديث الشّريف الذي رواه أنس بن مالك: (سيأتِي على الناسِ سنواتٌ خدّاعاتٌ؛ يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائِنُ، ويخَوَّنُ فيها الأمينُ، وينطِقُ فيها الرُّويْبِضَةُ.

قِيلَ: وما الرُّويْبِضةُ؟

قال: الرجُلُ التّافِهُ يتكلَّمُ في أمرِ العامّة)[1].

والنّظام الرأسماليّ الغربيّ هو الذي يقف وراء عالَم التَّفاهة بِرُمَّتِهِ وَيُدَعِّمهُ سِيَاسِيًّا، وَعَسْكَرِيًّا، وَإِعْلَامِيًّا.

والهدف من وراء صِنَاعَةِ اَلتَّفَاهَة هو مسخ هويّة الأفراد، وهدم كيان الأسرة، عن طريق كسر القيم والمُعتَقَدات والثّقافات والأخلاق في المجتمع، وجعل الحياة بلا ضوابط ولا موانع، سواء كانت على شكل تعاليم دينيّة أو أعراف مُجتمعيّة أو قيم أخلاقيّة، والدفع بالمُجتمعات للانقياد الأعمى نحو عالَم التَّفاهة.

فبدل أنْ تسود الحِكمَة والعِلم والأخلاق في المجتمع، صارت السّيادة للخُرافة والسَّخافة والسَّفاهة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، الحديث رقم: (٤٠٣٦).

والحقيقة أنَّ ما مكَّن نظام التَّفاهة من الانتشار هو غياب الوعي الفرديّ والمجتمعيّ.

وعالَم التَّفاهة بهذا المعنى هو - بلا شكّ - لون من ألوان اختِطاف الهويّة، وأحد أكبر عوائِق الانتِظَار العمليّ.

وللأسف فقد ساد نظام التَّفاهة، وسيطر على أغلب بُلدان العالَم.

وَمَا يَدعُونَا لِلأَمَلِ هُوَ أَنَّ اَلدُّوَلَ وَالحَرَكَات اَلمُمَهِّدَةَ لِظُهُور اَلقَائِم المُنْتَظَر عليه السلام لَم تَنخَدِع بِهَذَا اَلنِّظَام فَحَسْب، وَإِنَّمَا تَعْمَل جَاهِدَةً على مُجَابَهَته عَن طَرِيقِ فَضْحِ أَهْدَافِ مُؤَسِّسِيهِ وَنَشْر اَلوَعْيِ بَينَ اَلنَّاس.

صِنَاعَة الجَهْل

قد يبدو هذا العنوان للوهلة الأُولى غريباً بعض الشيء، إلّا أنّه واقع حاصل في المُجتمع.

لقد أصبحت صِنَاعَة الجَهْل مع مرور الزّمن عِلماً من العلوم!!

فقد قام الباحث: روبرت بروكتور (Robert Proctor) بتعريف (عِلم الجَهْل Agnotology) بأنّه: العِلم الذي يدرس صِناعة ونَشر الجَهْل بطُرق علميّة رصينة.

وظهر علم الجَهْل في بادئ الأمر تجاريًّا، ففي سبعينيات القرن الماضي لُوحِظَ اِنْتِشَار دَعَايَاتِ شَرِكَاتِ اَلتَّبَغ اَلَّتِي تَهْدِفُ إِلَى تَجْهِيلِ اَلنَّاسِ بِمَخَاطِرِ اَلتَّدْخِينِ .

ففي وثيقة داخلية تمَّ نشرها عام ١٩٧٩م من أرشيف إحدى شركات اَلتَّبَغ الشّهيرة تَبَيَّن أنَّ أبرز استراتيجيّة لنشر الجَهْل كان عن طريق إثارة الشكوك في البحوث العلميّة الطبيّة التي تربط اَلتَّدْخِين بمرض السّرطان.

ومن حينها انطلق لوبي اَلتَّبَغ في أمريكا برعاية أبحاث علميّة مزيّفة هدفها تحسين صورة اَلتَّبَغ اجتماعيًّا.

وتبدأ عمليّة التَّجهيل لأيِّ سلعة أو فكرة بالتَّشكيك في الحقائق

الواضحة أولاً، ثُمّ في مَرْحَلَة تالية يتمّ نقل المُتّشكك إلى حالة الرّفض التامّ للحقيقة.

ومن ثُمّ يصبح عقل المُتلقي جاهزاً لاستقبال المعلومات الجديدة، وهي بالطبع معلومات غير صحيحة حول السلعة أو الفكرة.

فالجَهْل في هذه الحال ليس انعدام المعرفة فحسب، وإنّما مُنتج، يَتِمَّ صُنْعُهُ وَتَوْزِيعُهُ لِأَهْدَافٍ تِجَارِيَّة، وَسِيَاسِيَّة، وَفِكْرِيَّة غَيْرُهَا.

ووفق أساسيات علم الجَهْل، فإنَّ التَّضليل يستند على ثلاث ركائز:

١. بَثُّ الخَوْف: عَن طَرِيقِ صُنْعِ أَعْدَاءٍ وَهْمِيِّين لِتَحْشِيدِ اَلرَّأيِ العَامّ وَتَخْوِيفِ اَلمُجْتَمَع مِن اَلقَدَرِ اَلمُظْلِم اَلَّذِي يَنْتَظِرُهُم إِذَا لَمْ يُشَارِكُوا فِي الأمر.

٢. بَثُّ اَلإِعْلَانَاتِ اَلخَادِعَة: بِهَدَفَ تَلمِيعِ صُورَةِ المُنْتَج اَلضَّارّ بِالإِنسَانِ صِحِّيًّا وَفِكْرِيًّا.

٣. بَثُّ المَعلُومَات اَلمُتَضَارِبَة: لِجَعلِ اَلإِنسَان لَا يَقْدِر على اَلتَّفْرِقَةِ بَينَ اَلغَثِّ وَالسَّمِين أَو اَلحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَلَعَلَّ أَخْطَرَ مِثَال لِصِنَاعَةِ اَلجَهْل مِن نَاحِيَةٍ فِكْرِيَّةٍ هُوَ اَلتَّعْلِيم اَلضَّعِيف اَلفَائِدَة اَلَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى اَلحِفْظِ لَا عَلَى اَلفَهْم وَالِابْتِكَارِ وَحَلِّ اَلمَشَاكِلِ أَوْ تَحْلِيل أَسْبَابِهَا، وَبِمَعنًى آخَرَ جَعَلَ اَلطَّالِب أَو اَلْمُتَلَقِّي بِلَا ذِهْنِيَّةٍ عِلمِيَّةٍ.

فَعِلمُ اَلجَهْل بِاخْتِصَار هو: عِلمُ تَغيِيرِ المَفَاهِيمِ وَتَسْطِيحِهَا.

وهذا هو مَا يَقُوم بِهِ الغَرْب فِي حَرْبِهِ اَلفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ ضِدَّ شُعُوبِ اَلعَالَمِ اَلثَّالِثِ.

وفِكرَة الانتِظَار وَاحِدَةً مِن الأَفكَارِ التِي عَمِلَ الغَرب على حَرفِ مَفهُومِهَا مِن كَونِهَا عَقِيدَة وَمَنهَج رَسْمهُ الإِمَام المَهدِيّ عليه السلام لِاتبَاعِهِ لِلسَّيرِ وفق هَديِهِ فِي ظِلِّ غَيبَتِهِ إِلَى فِكرَةٍ تُرَاثِيَّةٍ أَوْ فُلكُلُورِيَّةٍ يُحْتَفَلُ بِهَا فِي الخَامِسِ عَشَر مِن شَعْبَان مِن كُلِّ عَامٍ وَحَسَب.

فَبَدَلاً أَنْ تَرْتَقِيَ فِكرَة الانتِظَارِ بِعُقُولِ اَلنَّاسِ وَتَجْعَلُهُمْ يُطَالِبُونَ بِحُقُوقِهِم اَلمَسلُوبَة وَيُنْشِدُونَ الحُرِّيَّة وَالعَدَالَة، جَعَلَتْهُمْ ثَقَافَة اَلتَّجْهِيل خَانِعِين وَكَأَنَّ الأَمْرَ لَا يَعْنِيهِمْ وَلَا يَعنِي مُستَقبَلَ أَبنَائِهِمْ اَلبَتَّةَ.

وَأَيًّا يَكُن فَمِن رَحِمِ مَدرَسَةِ الخُرَافَة وَالتَّجهِيل خَرَجَتْ ثقافتا اَلتَّخدِيرِ، واليأس، وظاهرتي الغُلُوّ، وَالتَّقْدِيس.

ثقافة التّخديرُ الفكريّ

(أُبَشِّرُكُم بِالمَهدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اِختِلاَفٍ مِنَ اَلنَّاسِ وَزَلاَزِل،فَيَملأُ الأَرضَ قِسطاً وَعَدلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلماً وَجَوراً)[1]

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

مرَّت على الأُمّة الإسلاميّة قرون عديدة من الزّمن عاشت في مجملها تجاهلاً وإقصاءً مُتعمَّداً لفكر أهل البيت بوجهٍ عامّ ومبدأ الانتِظَار بوجهٍ خاصّ.

أمّا اليوم وبفضلٍ من اللّه تعالى وبفضل الثّورة الإسلاميّة المُباركة وبفضل الحركات المُوطِّئة بقيادة العُلَمَاء الواعين العاملين فقد أصبح العالم كُلُّهُ يتحدَّث عن فكر أهل البيت بشكلٍ عامّ ومسألة المَهديّ بشكلٍ خاصّ.

ولا يشكّ أحد في أنّ موعد ظهور الإمام المَهديّ عليه السلام من الأمور الغَيْبِيَّة التي لم يُطلِع اللّهُ (عزّ وجلّ) عليها أحد.

ولا يشكُ أحدٌ أيضاً في حتميّة ظهوره يوماً ما؛ ليرفع الظُّلمَ والجور ويُحقِّقَ القسط والعدل.

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥١، ص ٨١.

ولهذا اسْتَعَرَتْ حرب أعداء العدل والحرّيّة من الحكومات العربيّة العميلة للغرب ضد الموطِّئين لظهور المُخلِّص، فأخذوا بالتّضييق عليهم بالسّجن والنفي تارَةً والقتل تارَةً أُخرى، كما أخذت حربهم أشكالاً فكريَّةً أيضاً، ولعلّ أخطرها ما بات يُعرفُ بالتّخدير الفكريّ.

ولعلَّ أحد أخطر ألوان التّخدير الفكريّ الماكرة هو تسطيح المفاهيم الإسلاميّة، أي حرفها عن المعنى المراد منها، وذلك عبر بثِّ المعلومات المكذوبة والمدسوسة في الرّوايات الشريفة، وغيرها من الطُّرق والأساليب الملتوية.

والمفاهيم الإسلاميّة التي سُطِّحت كثيرةٌ جدّاً، ومن أبرزها: مفهوم الصّحابة ومفهوم المهاجرين، فقد صوروا للنّاس أنَّ هاتين الفئتن مقدّستان ولا يجوز نقد تصرفات أصحابهما بتاتاً[1].

واستمر التّظليل هكذا حتّى صارت مع مرور الزمن من المُسلّمات، وبهذه الطريقة الماكرة تمكّن الحُكّام المُستبدين وأذنابهم من الفقهاء من تخدير عقول النّاس وسلبهم أهمَّ ميزة تُفرِّقُهُمْ عن المخلوقات الأُخرى.

ومن أمثلة هذا اللون من التّخدير الفكريّ على المستوى الشّيعيّ هو تسطيح مفهوم مبدأ الانتِظَار عبر التّركيز على أنَّ المُراد منه هو الصبر والدُّعاء بتعجيل الفَرج فقط.

إنَّ التركيز على أنَّ مبدأ الانتِظَار يعني الدعاء بتعجيل الفَرج فقط، وتكرار قراءة دُعاء الفرج في كُلّ الأوقات والمناسبات الدّينيّة دون

---

(١) الغَدير أم السّقيفة، للمؤلّف، دار الولاء للنشر، ٢٠٢١م، بيروت.

أي عمل، يجعل من الانتِظَار عامل تخدير بدل أن يكون عامل تحفيز للمُطالبة بنيل الحقوق.

ويجعله بمثابة أمنية عظيمة للمؤمنين على أمل أن تَتَحَقَّق باستجابة اللّه تعالى لدُعائهم.

يقول السَّيِّد علي فضل اللّه في إحدى خُطب الجُمعة: «وهي فكرة من نتاج الطَّواغيت ابتدعوها لتخدير المُستضعفين والمقهورين، بهدف إقناعهم بقبول الواقع المرير الَّذي يعيشونه، وشلِّ إرادتهم عن النّهوض والتَّغيير، وتثبيت حالة العجز والاستكانة والجمود، وأنَّ هناك من سيأتي لينتشلهم من واقعهم، وأنَّ عليهم ألا يتعبوا أنفسهم بالعمل لبلوغ ذلك.

ثُمَّ إنَّ من يلتزم الإمام المَهديّ، لا يمكن أن يكون قاعداً أو خائفاً أو ذليلاً، بل لا بُدَّ من أن يكون حاضراً في كُلِّ قضايا العدل في الحياة، وألا يكون مُتنكِّراً له، لكونه يقف إلى جانب من يملأ الأرض عدلاً ويعيد الحقَّ إلى نصابه، وإلّا لن يكون من جنده وأنصاره والممهِّدين له.

إنَّ إيماننا بالإمام المَهديّ عجل الله فرجه الشريف ينطلق من إيماننا بالوعود الإلهيَّة الّتي تكرَّرت في القرآن الكريم في أكثر من آية، وأكَّدت أنَّ الباطل لن يستمرَّ عندما يتحرَّك عبادُ اللّه الصَّالحون، ويقومون بدورهم في مواجهة الظّلم والطّغيان، ويصنعون من الضَّعف قُوّة».

وَمِن أسَالِيبِ اَلتَّخدِيرِ الفِكْرِيِّ المَاكِرَةِ هُوَ تَرْكِيز الإعلَام على أَنَّ نَظَرِيَّة اَلدُّعَاء هِيَ أَصَحُّ اَلنَّظَرِيَّتَيْن، فتراهم يرفعون من شأن رموز هذه النّظريّة

بمناسبة وبغير مناسبة، وفي المقابل يقوم هذا الإعلام بتسقيط رموز نَظريَّة التَّمهِيد وقادتها بوسائل إعلامهم المتعدّدة رغم نجاح هؤلاء القادة الباهر والملموس وعلى كلّ الصُّعُد.

ومن أساليب التّخدير الماكرة أيضاً، ربط بعضٍ رجال الدّين كلّ حدث يحصل في العالَم بعلامة من عَلَامَات اَلظّهُورِ وَبِشَكلٍ يَكَاد يَكُون يَومِيًّا سَوَاءٌ كَانَ هَذا عَن قَصْدٍ أَو عَن غَيْرِ قَصد.

وَلِهَذَا عَلَينَا أَنْ نَعِيَ جَيِّدًا هَذِهِ اَلأَسَالِيبِ اَلمَاكِرَةِ وَأَنَّ لَا نَنخَدِعُ بِمَا يُرَوِّجُ لَهُ أَعْدَاءُ اَلحُرِّيَّةِ وَالعَدَالَةِ وَأَنْ نُصغِيَ لِعُقُولِنَا فَهِيَ اَلَّتِي تُمَيِّزُنَا عَن بَاقِي اَلمَخلُوقَات.

فَإِذَا اِسْتَمَعْنَا لِعُقُولِنَا وَتَخَلّصنَا مِمَّا يُخَطِّطُهُ لنا الغَرْب، سَنَرَى ـ بِلَا شَكٍّ ـ فَائِدَةِ الانتِظَار فِي حَيَاتِنَا اَليَومِيَّة وَفِي مُسْتَقبَلِنَا وَفِي آخِرَتِنَا.

ثَقَافَة اليَأس[١]

عندما يتحدَّثُ هذا العالِمُ أو ذلك الخطيب عن الإمام المَهديّ المنتظر عليه السلام في جمعٍ عامّ أو في وسائل الإعلام، ويخلط حديثه بالحَسرات والدُّموع على الإمام الغائب عليه السلام ويصوّره بالرّجل المُشرَّد التّائه التّعيس الذي يَتَنَقَّل خَائفاً في الصّحاري والقِفار، لا يعرف كيف يتّقي حرّ الصّيف أو برد الشّتاء. فإنَّ المُستمع البسيط سوف يخرج من مجلسه بمشاعر الانكسار والهزيمة النفسيّة، وتتصاغر عنده العقيدة المهدويّة؛ لتتحوّل إلى صورة مأساوية عن التّشرّد والضّياع والبؤس، وتتضاءل في ذهنه صورة المنقذ العظيم للبشرية، لتصل إلى شكل المسكين الجائع بملابس رثّة ونظرات خائفة.

وحين ترتكز هذه الصّورة وتترسّخ بحسرات ودموع المُتحدِّث، فإنَّ مفهوم (الانتِظَار) سيتلاشى من الأساس، وستنهار فكرة الإنقاذ والعدالة المنشودة والأمل الكبير.

قبل أكثر من نصف قرن من الزمن، أصدر العلّامة الشّيخ عبد الهادي الفضليّ ـ رحمه اللّه ـ، كتابه الرّائع (في انتظار الإمام)، وكان الكتاب يضع الشّيعيّ أمام مسؤوليته في زمن الغيبة، فيفتح أمامه الآفاق

(١) الموضوع بكاملهِ للدكتور سليم الحسنيّ، بتصرُّفٍ قليل.

الكبيرة للعمل الاجتماعيّ والسّياسيّ والثقافيّ، ويُفجّر في داخله عوامل التحرُّك والفعل المؤثّر، ويجعله شريكاً مباشراً في المشروع المهدويّ.

وقد انتشر كتاب الدكتور الفضليّ انتشاراً واسعاً، وأسهم في توعية أجيال متتالية على أصالة التّشيّع ودوره في الحياة والمجتمع، وأثره في صناعة الانسان الذي يسعى لبناء الدّولة العادلة، وتحقيق العدالة في الواقع.

وبعد فترة وجيزة من صدور كتاب (في انتظار الإمام) كتب الإمام الشَّهِيد محمّد باقر الصّدر (بحث حول المَهديّ) تناول فيه الظَاهِرَةُ المهدويّة من جوانبها العلميّة والعقليّة، وقدّم للجيل الإسلاميّ صورة راقية عن فكرة المُنقذ وغيبته وعن واجب المسلمين في زمن الانتِظَار، في نتيجة تضع الشّيعيّ أمام مسؤوليّاتهِ في التحرّك والعمل، ليكون بمستوى الانتماء لمدرسة المَهديّ وأهل البيت عليهم السلام.

كما طرح الشَّهِيد الصّدر الثاني موسوعته الشّهيرة عن الإمام المَهديّ، وبحث فيها الجوانب الأساسيّة المرتبطة بالإمام المنتظر، بدءًا من الظّروف ما قبل ولادته، وصولاً الى ما بعد ظهوره المُرتَقب وكيف سيكون عليه شكل المستقبل.

وفي نتاج ضخم من الكتابات والمُحاضرات واللقاءات والأحاديث، تحدَّثَ السَّيِّد محمّد حسين فضل اللّه، عن العقيدة المهدويّة، وعن دور الإنسان في زمن الانتِظَار، فصنع أجيالاً من الشباب الذي يعيش همّ العمل الإيجابيّ، كان منهم شباب المُقاومة المُضحّي من أجلِ دولته وبلاده ومجتمعه.

عندما نعقد مُقارنة بين منهج المدرسة الفكريّة التي قادها رموز التّشيّع الأصيل، وبين منهج ثقافة اليَأس الذي أشرت إليه في صدر المقال، فإنَّنا نُصابُ بصدمة النتيجة على الواقع الاجتماعيّ في البلاد الإسلاميّة بعامّة والعراق بخاصّة.

فالأُولى وهي التي استندت إلى أفكار أهل البيت عليهم السلام الصحيحة توشك أن تضيع وتتلاشى، بينما تنتشرُ وتتوسَّعُ المدرسة الثانية التي ينتمي إليها الكثير من العُلمَاء والخُطباء والمُثقَّفين المُعتاشين، وهي المدرسة التي جعلت أئمّةَ أهل البيت قوماً مُشرَّدين خائفين مُلاحَقين، لم يتركوا لنا سوى التّعاسة والبُؤس والبُكاء واليَأس.

لقد أسقطت مدرسة اَلخُرَافَة وَالتَّجْهِيل، تراثاً هائلاً من النتاج الشّيعيّ على مستوى المعارف الإسلاميّة والفكريّة، وبشكلٍ لا نظيرَ له من بين المسلمين على مدى قرون من الزّمن.

والأخطر من ذلك، أنَّ دور أئمّة أهل البيت قد جرى تحريفه من إحياء الدّين والسُّنَّة النّبويّة، وتحويله إلى بُكائيات وهزائم وانكسارات.

في ظلِّ هذا التّدهور الفكريّ والجَهْل بمدرسة أهل البيت وتَعَمُّد التّجهيل والتّشويه لمدرستهم، كيف يمكن بناء الإنسان والمجتمع والدّولة على أُسسها الصّحيحة؟

إنّ هذا المنهج التّشويهي لعقيدة التّشيّع وأصالته، هو الذي يجعل المواطن الشّيعيّ عاجزاً عن المُطالبة بحقوقه، وقاصراً عن إجبار السّياسيّين الفاسدين على احترام حياته وحاضره، فينهبون قُوته وقُوت عياله، لأنّهم أدركوا أنّ الخُرافة والجَهْل والتّخلف، حجبت

عنه فكر ومعالِم مدرسة أهل البيت الحقيقية، ومن يفقد هذه المعالِم، يُصْبِح كَائِنًا تَائِهًا يسهل التلاعب به وبمشاعره وإرادته، وهذا ما حدث ويحدث.

يقول الإمام الخامنئيّ: «اعلموا أنّ أيّ صوت يستهدف اليوم إشاعة اليَأس في نفوس أبناء الشعب فهو صوت موجّه من العدوّ؛ سواءٌ أعَلِمَ أم لم يعلَم، وأيُّ قلم يخطُّ كلمة على الورق على طريق انتزاع الآمال من قلوب الشعب، فهذا القلم مُسخّر للأعداء سواءٌ أعَلِمَ صاحبه أم لم يَعلم»(١).

«لا تسمحوا لليَأس أن يُسيطر على قُلوبكم، فانتظروا الفرج واعلموا أنَّ هذا الفرج سيتحقّق، وهو مشروطٌ بأن يكون انتظاركم انتظاراً واقعيًّا، وأن يكون فيه العمل والسّعي والاندفاع والتحرّك»(٢).

---

(١) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ١٦/ ٠٢/ ١٩٩٧ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

(٢) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ٢٠/ ٠٩/ ٢٠٠٥ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

ظَاهِرَةُ الغُلُوّ

(إنّا وَاللّه عبيدٌ مخلوقون لنا ربٌّ
نَعبدهُ، وإنْ لم نَعبدهُ عَذّبَنا)[١]

الإمَام الصّادق عليه السلام

بعد أن تحدّثنا عن لونين من ألوان ثقافات التّجهيل التي تؤدّي إلى تخدير النّاس وإشاعة اليَأس في نفوسهم، يأتي الدّور للحديث حول ظَاهِرَةُ الغُلُوّ.

الغُلُوّ مُعجميًّا: هو الارتفاع ومجاوزة الحدِّ للشيء، سواءٌ أكان في المُعتقدات الدّينيّة أم غيرها.

واصطلاحاً: مجاوزة الحدّ المفترض للمخلوق والارتفاع به إلى مقام الألوهيّة.

وورد لفظ الغُلُوّ في القرآن الكريم في آيتين، نُهِيَ فيهما أهلُ الكتاب عن الغُلُوِّ في الدّين:

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ سورة النّساء، الآية ١٧١.

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٤٧، ص ١٢٥.

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ سورة المائدة، الآية ٧٧.

الغُلُوّ في الأئمّة:

الغُلُوّ في الأئمّة عليهم السلام هو: مجاوزة الحدود والارتفاع بهم عليهم السلام إلى مقام الألوهيّة.

وَالرِّوَايَات وَفِيرَة فِي نَهْيِ اَلنَّاسِ عَن تَأْلِيهِهم، أَوْ رَفعِهِم عَن مَقَام العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، أَو تَفْوِيضِ أَمْرِ اَلخلقِ إِلَيْهِمْ، أَو اَلقَوْل بِأَنَّهُمْ أَنْبِيَاء، وَنَحْوهَا مِن اَلتَّعْبِيرَاتِ التِي يَظهَرُ مِنْهَا تَجَاوُز حُدُودِ مَقَامَاتِهِمْ التِي ثَبَتَتْ لَهُمْ عليهم السلام، وَلِهَذَا سَنكْتَفِي بِذِكْرِ ثَلَاثِ رِوَايَاتٍ فَقَطْ:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «يهلك فيَّ اثنان ولا ذَنبَ لي: مُحِب مُفْرِطٍ وَمُبْغِضٍ مُفْرِطٍ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اَللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِمَّنْ يَغْلُو فِينَا وَيَرْفَعُنَا فَوْقَ حَدِّنَا كَبَرَاءَةِ عِيسَى اِبْنْ مَرْيَمْ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ مِنْ اَلنَّصَارَى.

قال اللّه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾. سورة المائدة، الآية: ١١٦ ـ ١١٧.

ثُمَّ قال: فَمِنْ اِدَّعَى لِلأَنْبِيَاءِ رُبُوبِيَّةً، وَادَّعَى لِلأَئِمَّةِ رُبُوبِيَّةً أَوْ نُبُوَّةِ أَوْ لِغَيْرِ

اَلْأَئِمَّةِ إِمَامَةً، فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءً فِي اَلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[١].

ورُوِيَ عن أَبي عَبدِ اللَّه عليه السلام قولُهُ يَوماً لِأَصحَابِهِ: «لَعَنَ اللَّهُ المُغِيرَةَ بنَ سَعِيدٍ وَلَعَنَ يَهُودِيَّةً كَانَ يَختَلِفُ إِلَيهَا يَتَعَلَّم مِنها السِّحرَ وَالشَّعبَذَةَ وَالمَخَارِيقَ!

إِنَّ المُغِيرَةَ كَذَبَ عَلَى أَبِي عليه السلام فَسَلَبَهُ اللَّهُ الإِيمَانَ، وَإِنَّ قَوْماً كَذَبُوا عَلَيَّ، مَا لَهُمْ، أَذَاقَهُمُ اللَّهُ حَرَّ الحَدِيدِ!

فَوَ اللَّهِ مَا نَحنُ إِلَّا عَبِيدَ الَّذِي خَلقنَا وَاصطَفَانَا مَا نَقْدِرُ عَلَى ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ، إِنْ رُحِمْنَا فَبِرَحْمَتِهِ وَإِنْ عُذِّبْنَا فَبِذُنُوبِنَا، وَاللَّهِ مَا لَنَا عَلَى اللَّهِ مِن حُجَّةٍ وَلَا مَعَنَا مِنَ اللَّهِ بَرَاءَةٌ، وَإِنَّا لَمَيِّتُونَ وَمَقبُورُونَ وَمُنشَرُونَ وَمَبعُوثُونَ وَمَوقُوفُونَ وَمَسؤولُونَ...»[٢].

وممّا خرج عن صاحب الزّمان عليه السلام ردًّا على الغُلاة من التّوقيع جواباً لكتاب كُتِبَ إليه على يدي محمّد بن عليّ بن هلال الكرخيّ: «يا محمّدُ بنَ عليّ، تعالى اللّه ـ عزّ وجلّ ـ عمّا يصفون سبحانه وبحمده ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يَعلَم الغيب غيرهُ كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وأنا وجميع آبائي من الأوّلين آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى وغيرهم من النَّبِيّين، ومن الآخرين محمّد رسول اللّه وعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وغيرهم ممّن مضى من الأئمّة صلوات اللّه عليهم

---

(١) عيون أخبار الرّضا، للصدوق، ج ٢، ص ٢١٧، الباب ٤٦، ح، ١.

(٢) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٢٥، ص ٢٨٩.

أجمعين إلى مبلغ أيّامي ومنتهى عصري عبيد اللّه عزّ وجلّ.

يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾.

يا محمّدُ بنَ عليّ، قد آذانا جهلاء الشّيعة وحمقاؤهم ومن دينهُ جناحُ البعوضة أرجحُ منه.

وأُشهِدُ اللّهَ الّذي لا إله إلّا هو وكفى به شهيدًا ومحمّداً رسوله، وملائكته، وأنبياءه، وأولياءه. وأُشهِدُكَ وأُشهِدُ كلّ من سمع كتابي هذا أنّي بريء إلى اللّه وإلى رسوله ممّن يقول: إنّا نعلم الغيب أو نشارك اللّه في ملكه أو يُحِلّنا محلًّا سوى المحلّ الّذي نصبه اللّه لنا وخلقنا له أو يتعدّى بنا عمّا قد فسّرته لك وبيّنته في صدر كتابي.

وأُشهِدُكُمْ أنّ كلّ مَن نتبرّأ منه فإنَّ اللّه يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياءه، وجعلتُ هذا التّوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانةً في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحدٍ من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التّوقيع الكلّ من الموالي لعلّ اللّه عزّ وجلّ يتلافاهم فيرجعون إلى دين اللّه الحقّ وينتهوا [ينتهون] عمّا لا يعلمون منتهى أمره ولا يبلغ منتهاه، فكلّ من فهم كتابي ولم يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فلقد حلّت عليه اللّعنة من اللّه وممّن ذكرت من عباده الصّالحين»[1].

---

(١) الاحتجاج، للشّيخ الطبرسيّ، ج ٢، ص ٢٨٨.

لماذا الغُلُوّ في الأئمّة:

دأب بعض فرق الشّيعة على الغُلُوّ في الأئمّة عليهم السلام من خلال إضفاء الصّفات الإلهِيَّة عليهم!!

والزّعم بأنّ زمام الكون بأيديهم، أي أنَّ باستطاعتهم إفناء معسكر الكُفر بكلمة منهم، بل إزالة الكرة الأرضيّة عن الوجود وتدمير الكون بأكمله إذا أرادوا!!

والسؤال: لماذا كُلّ هذا الغُلُوّ في الأئمّة؟ وما هو الهدف منه؟

في السابق كان البعض يعزو الغُلُوّ في الأئمّة إلى قلّة وعي بسطاء الشيعة، أمّا الآن ونحن نعيش في عصر العِلم والمعلومات فلا أحسبُ أنّ لهذا السبب دورًا في الغُلُوّ وتزايده بين أوساط شريحة كبيرة جدّاً من الشيعة.

وأخالُ أنّ استمرار هذا الغُلُوّ المتزايد تقف وراءه أيادٍ مرتبطة بأجهزة المُخابرات البريطانيّة على وجه التّحديد.

والغُلُوّ - بلا ريب - هو أحد أسلحة الغرب الفتّاكة التي استطاع من خلالها النّفوذ إلى عقول أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لتحقيق مآربهِ الخبيثة، وأهمُّها:

١. تسطيح فكر أهل البيت عليهم السلام في أذهان المسلمين.
٢. شلّ حركة الانتِظَار ووأدها وهي في المهد.
٣. مصادرة فكرة الانتِظَار برمَّتها من أذهان الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

ومَن يتتبع ما يُطرح على السّاحة الفكريّة والإعلاميّة حاليًّا يجد أنَّ

تيار الغُلُوّ قد نشط كثيراً بعد قيام الثّورة الإيرانيّة التي أظهرت الوجه المُشرق لفكر أهل البيت عليهم السلام في جميع أبعاده، وإذا عُرف السببُ بطُل العجبُ كما يعبِّرون.

حرب من الداخل:

لقد عمل أعداء الإسلام منذُ فجر التّاريخ الإسلاميّ على خطّين في حربهم ضدّ الإسلام والمسلمين: حرب سياسيّة يقودها الحُكّام الطُّغاة، وحرب فكريّة يقودها الفقهاء الأذناب.

والحرب ضد مبدأ الانتِظَار في حقيقتها ضد مبدأ الإمامة، فكما حورب هذا المبدأ يوم السّقيفة وما بعد السقيفة، يُحارب اليوم مبدأ الانتِظَار من أعداء الخارج المعروفين، ومن أعداء الداخل الشّيعيّ المُغالين.

يقول الشاعر:

كَمْ مِن مُغالٍ فيكُم لَم يَعتَقِد ... فِي ما يَقول وَدينُهُ الدّينارُ
مِثل المُغيرة وظَّفتهُ طُغمَةٌ ... خَابت وَسعيُ الخَائبينَ بوارُ

ولكن على الرّغم من الدعم الهائل - من وسائل الإعلام - الذي يحظى به تيار الغُلُوّ وحركاته ورموزه فإنَّ عُلماءنا الأعلام بفكرهم الواعي وجهادهم المُخلص وقفوا وما زالوا يقفون لهم بالمرصاد، يَذُبُّونَ عن اَلدِّينِ والمَذهَب وَيُمِيتُونَ البِدَع ويدافِعُون عن شريعة سيد المُرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

ظَاهِرَةُ اَلتَّقدِيس

تُعَدُّ ظَاهِرَةُ التَّقدِيس من الظّواهر اَلمُتَفَشِّيَة في المجتمع الإسلاميّ الشّيعيّ بِشَكلٍ وَاسِعٍ وَفِي كُلِّ اَلْمَجَالَاتِ، وَمَا يَهُمُّنَا هُنَا هُوَ اَلتَّقدِيس اَلأَعمَى لِرِجَالِ اَلدِّين.

وأخالُ أنَّ السبب يعود إلى جهل الكثير من النّاس بالفرق بين العقيدة وعلم العقيدة.

والفرق بين الاثنين هو كالفرق بين الفكرة (Idea) وعلم الفكرة (Ideology).

وبالتّحديد هو الفرق بين (الدّين): اَلمُتَمَثِّل بالفكر الإلهيّ، و(علوم الدّين) التي هي: القواعد وما يرتبط بها ممّا يتوصل إليها العَالِم الدّينيّ أو يستعيرها من حقلها المعرفيّ لدراسة الفكر الدّينيّ الإلهيّ.

فنحنُ في الشّريعة الإسلاميّة ندرس آيات القرآن الكريم وروايات السُّنَّة الشّريفة في ضوء القواعد العلميّة، لنستنبط منها أحكام العقيدة وأحكام التّشريع وأحكام الأخلاق.

وهذا يعني - وبوضوح - أنَّ عندنا فكراً إلهيًّا تمثَّلَ في الآيات والرّوايات، وهي مَادَّة اَلدِّرَاسَة، وعندنا قواعد وضوابط علميّة هي وسائل وآليات لدراسة تلكم المادّة الدّينيّة.

ومن الطّبيعي أن يكون هناك فرق بين مادّة الدراسة وآليات الدّراسة.

فالفرق بين الاثنين هو أنّ (الدّين) فكر إلهيّ، و(علوم الدّين) فكر بشريّ.

وتمثيلاً نقول: إنَّنَا ندرس النصّ الشّرعيّ: (آيةً وروايةً)، كتركيب لغوي من خلال قواعد علم النّحو العربيّ وضوابط علوم البلاغة العربيّة، وربّما درسناه من خلال مبادئ ومفاهيم علوم أخرى مُلابسة لها.

وهذه العلوم هي من وضع العُلمَاء، أي أنّها نتاج فكريّ بشريّ، وهذا من البداهة بوضوح.

وهكذا سائر العلوم، التي منها علم الكلام (Theology)، ذلكم العِلم الذي يدرس العقيدة الإسلاميّة وفق معطيات قواعده ومؤدَّيات مبادئه.

وعلى أساس من هذه التّفرقة بين الدّين وعلوم الدّين، إننا ـ كمسلمين ـ نقدِّسُ الإسلامَ بصفته ديناً إلهيًّا، ونحترم علوم الدّين؛ لأنّها الوسائل التي عن طريقها نحاول معرفة الفكر الدّينيّ الإلهيّ، ولكن لا نقدِّسُها؛ لأنّها مسائل اجتهادية قد تُصيبُ الحقيقة وقد تُخطئها.

وبتوضيح أكثر: أنَّ الفكر الدّينيّ الإلهيّ من المعصوم وهو اللّه تعالى ووصل إلينا عن طريق المعصوم وهو الرّسول محمّد ﷺ، لا خطأ فيه، ولأنّه كذلك وجب علينا أنْ نقدِّسُهُ.

وبعكسِهِ علوم الدّين، فلسنا بمُلزمين بتقديسها؛ وذلك لأنّها فكر بشريّ اجتهاديّ، وهو قد يُصيبُ الواقع وقد يُخطئه، ولكن علينا أن

نحترمَها؛ لأنّها نتاج نستفيد منه في فهم الفكر الدّينيّ[١].

وهذا المفهوم ينعكس على تقديسنا للأفراد، فالأنبياء والأئمّة ـ بلا شك ـ هم من المعصومين، أي لا يخطئون الواقع فيكون تقديسنا لهم طبيعيًّا جدّاً.

أمّا العُلمَاء أو الفقهاء بما أنّهم مجتهدون قد يُصيبون الواقع وقد يُخطئون، فلهم منّا الاحترام فحسب.

إنَّ عدم استيعاب النّاس للفرق بين العقيدة وعلم العقيدة أدّى إلى تقديسهم لشخص رجل الدّين وأخذ ما يقوله في أيّ مسألة دينيّة كانت على أنّه هو الدّين!!!

وهذا اللون من التَّقدِيس ـ بلا شك ـ يجعلنا لا نُميز بين العُلمَاء العاملين المُمهدين وسواهم من العُلمَاء.

---

(١) الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة مستلّ من: كتاب (قراءات في التراث الإسلامي)، للعلّامة الفضليّ، حول تجديد علم الكلام، ص ٣٢، موسوعة العلّامة الفضليّ، دارة الغريّين للدّراسات، بيروت ٢٠١٨م.

لا لليَأس نعم للأمل[١]

(أُبَشِّرُكُم بِالمَهدِيِّ يُبعَثُ فِي أُمَّتِي)

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

عُرِّفَ اليَأس بأنّهُ: إحباط يُصيبُ الرّوحَ والعقلَ معاً، فيفقد الإنسان الأمل في إمكانية تغيُّر الأحوال والأوضاع والأمور من حوله.

واليَأس من الأمور التي نَهت عنها الشّريعة الإسلاميّة، فلا يجوز للمُسلم أنْ ييأس من روح اللّه عزّ وجلّ، وعلى الموطِّئين بالخصوص أن لا ييأسوا من طول الانتِظَار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (...انتظروا الفَرج، ولا تيأسوا من روح اللّه ...»[٢].

ووردت كلمة (يأس) بمختلف صيغها في القرآن الكريم (١٣) مرَّةً، ومنها:

---

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من مقال لسماحة سيّدي الوالد (قس) بعنوان: (لماذا اليَأس)، ينظر: رأي في السياسة، للعلّامة الفضليّ، ص ٣٠٦.

(٢) الخصال، للشّيخ الصدوق، ص٦١٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١] سورة يوسف، الآية: ٨٧.

والآية الكريمة حين تُدرجُ (من ييأس من روح اللّه تعالى) في عداد الكافرين، على أنّ المراد من الكفر ـ هنا ـ معناه العامّ، وليس الخاصّ الذي يقابل الإسلام.

ومن الآية الكريمة استفاد فقهاء المُسلمين حُرمة اليَأس، وَعَدُّوه من الكبائر التي يُفَسّق صاحبُها.

ويشكِّلُ اليَأس ـ اليومَ ـ عقبةً ضمن سلسلة العقبات في طريق التوطِّئة أو التَّمهِيد لظهور الإمام المَهديّ عليه السلام، حيث استولى على كثير من النّفوس فأقعدها عن التوطّئة والتَّمهِيد، لشعورهم بالعجز أو الضعف أمام القوى الكبرى.

يقول الإمام الخامنئيّ: «إنّ الإيمان بالمَهديّ الموعود يملأ القُلوب بنور الأمل، ولا معنى لهذا اليَأس الذي يستحوذ على الكثير من النُخب في هذا العالَم»[٢].

يقول الشّيخ حسن الصّفار: «العدوُّ يريد أن يُوقع الهزيمة النفسية ببثّ اليأس والقنوط فى نفوس أبناء الأُمّة، وإذا ما سيطر اليأس والإحباط على النفوس فإنّ الأُمّة لا تستطيع المُواجهة والمُقاومة؛ لذلك لابُدّ

---

(١) رَوْح اللّه: رحمته.

(٢) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٢ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

من وجود جذوة الأمل في النفوس»[١].

يقول الطغرائيّ في لامية العجم:

أُعلـلُ النفـسَ بالآمـالِ أرقبُهـا مَا أضْيَقَ العَيشَ لولا فُسحَةُ الأمَلِ

الفَرق بين اليَأس والأمَل:

من القَصص القرآنية التي سلَّطتْ الضوء بشكلٍ واضح على الفارق الكبير بين اليَأس والأمل قصّة طالوت وجالوت.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ سورة البقرة، الآيات: ٢٤٩ ـ ٢٥٢.

تشير الآيات الكريمة إلى فئتين من قوم طالوت:

- فئة آمنت بنصر اللّه ولم تيأس من رحمتِهِ.

---

(١) من محاضرة للشّيخ حسن الصّفار ألقاها في أحد مآتم البحرين، ليلة الخميس ١٤٢٨/٨/١٥هـ.

- وفئة أخرى أصابها اليَأس من أنْ تنتصر.

وذلك لأنَّ جالوت وجنوده كانوا قُوّة هائلة لا تقوى الفئة القليلة – بحسب زعمها – على أن تغلبهم.

وينتهي القرآن في استعراضه لهذَا الموقف من الحادثة: إلى أنَّ الفئة الراجية، الفئة المؤمنة بنصر اللّه تعالى، الفئة التي لم يستول عليها اليَأس، كانت هي الغالبة – مع قلّتها –حيث هزَموا جنود جالوت بإذن اللّه وقتلَه داوود.

طالوت والمَهدِيّ:

تشير الرّوايات إلى أنّ عدد أصحاب الإمام المَهديّ عليه السلام بعدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النّهر.

رُوِيَ عَن أَبِي الطُّفَيلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ المَهديّ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَيْهَاتَ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبعًا، فَقَالَ: ذَاكَ يَخرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهَ اللَّهَ قُتِلَ، فَيَجمَعُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ قَومًا قُزَعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَينَ قُلُوبِهِم لَا يَستَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدخُلُ فِيهِم عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدرٍ، لَمْ يَسْبِقهُمُ الأَوَّلُونَ وَلَا يُدرِكُهُمُ الآخِرُونَ، وَعَلَى عَدَدِ أَصحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ ...»[1].

---

(١) المُستدرك على الصّحيحين، للحاكم النيسابوريّ (المتوفّى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج ٤، ص ٥٩٦، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٠م.

فكرة اليَأس:

تدور أحداث قصّة طالوت بكاملها حول لونٍ من ألوان الصّراع الأزليّ بين الحقّ والباطل، غير أنّها أكّدت نقطةً بارزةً في الصّراع، تلك هي: (فكرة اليَأس).

وقد يُتَساءل: لأيِّ شيءٍ أكّدت القصّةُ (فكرة اليأس) بالذات؟!

الجواب: لكي نأخذ من الموقف الفاصل فيها: العبرة، وكيف يكون تقرير المصير، وكيف أعاقَ اليَأس فئةً عن الجهاد والعمل؟

وكيف يعمل اليَأس في نفوس، وكيف يعمل الأمل في غيرها؟

والتّجربةُ التي يمرّ بها الموطِّئونَ الآن، حيثُ أصبحت تؤتي أُكلَها في انتشار مبدأ الانتِظَار وفي استجابة الأُمّة لدعوتهم إليه، حافزٌ آخر يدفعنا إلى العمَل دفعًا، وبرهان ثانٍ على أنَّ (التّوطئة والتَّمهِيد) هو الخيار الأصوب.

فالإيمان باللّه وعدم اليَأس يُضيء الطريق أمام الموطِّئين الذين يخوضونَ غمار المعركة التّاريخيّة بين الحقّ والباطل.

ويقول السّيد موسى الصّدر: «إنّ فكرة الانتِظَار، انتظار الفرج، تشوّهت عندنا، وانحرفت في نفوسنا، فأصبحنا اتّكاليّين، نترك العمل والسعي بانتظار مجيء صاحب الزَّمان. هذا التشويه آفة جميع القيم، ووسيلة لعدم الاستفادة من جميع المُثُل.

والحقيقةُ أنَّ فكرة الانتِظَار أدّت دوراً كبيراً في حياة هذا المذهب، لأنّ الأمل هو الحياة في المستقبل، إنّ الأمل هو طريق المستقبل، وهو

صلة الإنسان بالمستقبل، فالإنسان الذي يعيش حالة اليَأس، هو إنسان يجعل بينه وبين المستقبل سدّاً، لا يمكن تجاوزه.

واليَأس يعني الجمود، والجمود ـ حقيقةً ـ يعني الوقوف والموت، وهو يخالف معنى الحياة المتقوّم بالحركة في كلّ لحظة وثانية.

إذن، الأمل هو عبارة عن الطريق المفتوح، واليَأس يعني الاستسلامَ للوضع الحاضر.

ولا أقول: إنّ الذي يئِس من مستقبله يموت الموتة الطبيعية. لا!

هو يموت الموتة الحقيقيّة، ليس الموتة الطبيعيّة. لماذا؟

لأنَّ الإنسان اليائس من المُستقبل سوف يعيش حياةً لا فائدة منها غير الاهتمام بالمَأكل والمَلبس. إنَّ التاريخ يكشف بوضوح، أنّه قد مرّ علينا كما مرّ على الأُمم السابقة، من فترات طويلة من المِحن والبَلاءات والتّهديدات، ولولا الأمل بمجيء صاحب الزَّمان، وبالفرج الإلهيّ، لو لم يكن هذا الأمل لكنّا مُتنا وذُبنا.

ولكنّ أملنا بكلام الرّسول ﷺ: (لو لم يبقَ منَ الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللَّهُ ذلِكَ اليومَ حتَّى يَبعثَ فيهِ رجلًا منِّي).

لقد اتّضح وتكرَّس الأمل فينا، لأنّنا لا نشكّ بصدق الرّسول وبقول النّبيّ.

إذن، أملنا هو الذي أبقانا، وهو الذي حفظنا، وهو الذي جعل بيننا وبين المُستقبل خطًّا وطريقًا، فالأمل نبع من هذه العقيدة»[1].

---

(١) من كلمة للإمام السّيد موسى الصّدر في بلدة (اليموّنة) اللبنانيّة، بمناسبة ولادة الإمام =

وأخيراً.

يقول السّيد الخامنئيّ: «إنّ المؤمنين بظهور وليّ العصر ووجود وليّ العصر (أرواحنا فداه) لا يُصابون أبداً باليَأس وفقدان الأمل، ويعلمون جيّداً بأنَّ الشمس ستُشرِقُ حتماً وستزولُ حينها هذه الظُّلمات والمَظالم»[1].

= المهديّ عليه السلام، تسجيل صوتيّ من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدراسات.

(١) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ١٠/ ٠٥/ ٢٠١٧ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٥، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

الفصل الثاني :

أجيال الانتِظَار

أجيال الانتِظَار.

تجديد الفكر وحُجيّة العُلمَاء.

أجيال الانتِظَار

(يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ المَشرِقِ، فَيُوَطِّئُونَ لِلمَهدِيِّ)

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

لا تختلف ثَورة الإمام المَهديّ عليه السلام المُرتقبة عن ثَورة رسول اللّه ﷺ ضِدَّ الظُّلم وَالجَهْلِ، لا من حيث (الإعداد والتّوطِئة) ولا من حيث (النُصرة والأنصار).

يقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: «إنَّ الثّورة لا تتمُّ في مواجهة العُتاة والطُّغاة والأنظمة الحاكمة من دون إمداد غيبيّ وإسناد وتأييد من جانب اللّه بالتأكيد.

والنّصوص الإسلاميّة تؤكّد وجود هذا الإمداد الإلهيّ وتصف كيفيته، إلّا أنَّ هذا المدد الإلهيّ أحد طرفي هذه القضيّة والطرف الآخر هو دور السُّنَن الإِلهِيَّة في التاريخ والمجتمع في تحقيق هذه الثّورة الكونية وتطويرها وإكمالها»[1].

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

---

(١) الانتظار الموّجه، للشّيخ الآصفيّ.

أي أنَّ اللّه تعالى قد أجرى في الكون قوانين مُطَّرِدَةٍ لَا تَتَغَيَّر.

ويضيف الشّيخ الآصفيّ قدس سره: «شأن هذه الثّورة شأن دعوة رسول اللّه ﷺ إلى التّوحيد، والحركة التي نهض بها ﷺ لتحقيق التّوحيد في حياة الناس.

فقد كانت هذه الحركة موضع الإمداد الإلهيّ الغيبيّ بالتأكيد.

ونَصَرَ اللّه تعالى رسولهُ ﷺ بالملائكة المُسوّمين والمردِفين والرّياح، وجُند لم يروهم، ونَصَرهُ على أعدائه بالرُّعب، ولكنّ اللّه تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يُعِدَّ العُدَّةَ لهذه المعركة المصيريّة.

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ سورة الأنفال، الآية ٦٠.

وتمّت مراحل هذه المعركة بموجب سُنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع، ينتصر فيها رسول اللّه ﷺ على أعدائه حيناً وينتكس حيناً آخر، ويستخدم الجُند والمال والسلاح في هذه المعركة، ويُخطّط لها، ويفاجئ العدوّ بوسائل وأساليب جديدة للقتال، ويفاجئُهُ في الزّمان والمكان، ولا يعارض شيئًا من ذلك الإمدادُ الغيبيّ الإلهيّ لرسوله ﷺ الذي لا نشكّ فيه، وهما وجهان لقضيّة واحدة.

ولا تشذّ الثّورة الكونيّة التي يقودها حفيدهُ الإمام المَهديّ عجل الله فرجه الشريف عن الدّعوة والثّورة التي قادها هو ﷺ، من قبل، بأمرٍ من اللّه تعالى.

ومن جملة هذه السُّنَن التي لابُدّ منها، في هذه الثّورة الكونيّة:

- (الإعداد) و(التّوطِئة) قبل الظهور المُبارك.
- و(النّصرة) و(الأنصار) حين ظهور الإمام عليه السلام.

ومن دون هذين العُنصرين لا يمكن أن تتمَّ ثورة بهذا الحجم الكبير في تاريخ الإنسان»[١].

ثُمَّ أشار قدس سره إلى وجود طائفتين من النّصوص تُشيران إلى فئتين من المُمهّدين لظهور الإمام المَهديّ عليه السلام.

الطائفة الأُولى: النصوص المتعلِّقة بـ (الموطِّئين)، وهم الجيل الذي يُعِدُّ الأرضَ والمجتمع لظهور الإمام عجل الله فرجه، وثورته الكونيّة الشاملة.

وهذا الجيل بطبيعته يسبق ظهور الإمام عليه السلام.

الطائفة الثانية: النّصوص التي تخصّ (الأنصار)، وهم الجيل الذي ينهض بهم الإمام عليه السلام. ويقود بهم الثّورة على الظالمين.

فنحن بين يديّ جيلين:

- **جيل الموطِّئين**: وهم الذين يمهّدون الأرض لظهور الإمام عليه السلام.
- **جيل الأنصار**: وهم الذين ينهض بهم الإمام عليه السلام.

أولاً: جيل الموطِّئين في النصوص الإسلاميّة:

يقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: «تضافرت طائفة من النصوص الإسلاميّة، من الفريقين (الشّيعة والسُّنَّة)، عن جيل الموطِّئين الذين يوطّئون الأرض لدولة الإمام المَهديّ عجل الله فرجه، وقد حدّدت هذه النصوص عدداً من الأقاليم الإسلاميّة المعروفة لهذا الجيل، وأهمُّ هذه الأقاليم التي

---

(١) الانتظار الموّجه، للشّيخ الآصفيّ.

تخصُّ جيل الموطّئين هي: المشرق وخراسان (ويظهر أنّ المشرق هو خراسان) وقُمّ، والرّي، واليمن، وفي ما يلي النّصوصُ الخاصّة بجيل الموطِّئين في هذه الأقاليم.

١. الموطئون في المَشرق:

- روى الحاكم في المُستدرك على الصّحيحين، وابن ماجة في سُننه، واللفظ للثاني: عَن عَلقمَةَ، عَن عَبدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحنُ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِن بَنِي هَاشِم، فَلَمَّا رَآهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغرَورَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجهِكَ شَيئًا نَكرَهُهُ؟

فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيتٍ اختَارَ اللَّهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيتِي سَيَلقَوْنَ بَعدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأتِيَ قَومٌ مِن قِبَلِ المَشرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الخَيْرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيُقَاتِلُونَ فَيُنصَرُونَ فَيُعطَونَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِن أَهْلِ بَيتِي فَيَملَؤُهَا قِسطًا كَمَا مَلَئُوهَا جَوْرًا فَمَن أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَليَأتِهِمْ وَلَوْ حَبوًا عَلَى الثَّلجِ».

وفي المستدرك زيادة «فإنّها رايات هُدى، يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي»[1].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كَأَنِّي بِقَوْمٍ قَدْ خَرَجُوا بِالمَشْرِقِ

(١) يُنظر: سُنن ابن ماجة، الحديث رقم ٤٠٨٢. والمستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٦٤.

يَطْلبُونَ الحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، ثُمَّ يَطْلُبونَهُ فَلا يُعْطَوْنَهُ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ وَضَعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوهُ فَلا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَقُومُوا، وَلا يَدْفَعُونَها إِلّا إِلى صَاحِبِكُمْ. قَتْلاهُم شُهَدَاءُ، أَمَا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لاسْتَبْقَيْتُ نَفْسِي لِصَاحِبِ هذَا الأَمْر»[١].

٢. الموطِّئون من خراسان:

- عن محمّد بن الحنفية، والرواية موضوعة، ولكن يبدو أنّها عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ثُمَّ تخرج راية من خراسان يهزمون أصحاب السفيانيّ حتّى تنزل ببيت المقدس توطِّئ للمهدي سلطانه»[٢].
- عن ثوبان مولى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، قال: (إذا رأيتُمُ الرَّاياتِ السُّودَ قد جاءَت مِن قِبَلِ خُراسانَ، فأتوها، فإنَّ فيها خَليفةَ اللَّهِ المَهديَّ)[٣].

٣. الموطِّئون من (قُمّ) و(الرّيّ):

روى المجلسيّ في بحار الأنوار: عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأوّل (الإمامُ الكاظم ـ عليه السلام) قال: «رجلٌ مِن أهل قُمّ يدعو النّاس إلى الحقّ، يجتمعُ معهُ قومٌ كزُبَر الحديد، لا تُزِلُّهُمُ الرّياحُ

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ٢٣٤.

(٢) عصر الظهور، للشّيخ الكورانيّ، ص ٢٠٦.

(٣) المُستدرك على الصّحيحين، كتاب الفتن والملاحم، للحاكم النيسابوريّ، ج ٤، ص ٥٠٢. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين ولم يخرجاه.

العواصف، ولا يملّون مِن الحرب، ولا يجبنون، وعلى اللّه يتوكّلون، والعاقبة للمُتّقين»[١].

وإلى هذا المعنى أشار الشّيخ أحمد القفطان في إحدى قصائده:

تَقِـلُّ رِجَـالاً كالحدِيـدِ قُلُوبُهـا بأعيُنِهـا تَرنُـو لأعدائِهَـا شَـزرَا

٤. الموطِّئون من اليمن:

رُويَ عن الإمام الباقر عليه السلام في شأن قيادة اليماني قبل ظهور الإمام: «وَلَيس فِي الرَّايات رَايَةٌ أَهْدَى مِن رَايةِ اليَمَانيّ، هي رايةُ هُدًى لأَنَّهُ يَدعُو إِلَى صَاحِبكُم»[٢].

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٦٠، ص ٢٠٦.

(٢) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ٢٣٢.

صفات جيل (الموطِّئين):

من أبرز صفات جيل الموطِّئين:

أولاً: الصلابة والقوّة والاستحكام:

فهو جيل صعب، شديد المراس، يوطّئ الأرض لظهور الإمام، ويواجه وحده طواغيت الأرض.

وقد فسّر الإمام الصادق عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بهذا الجيل، وتصفهم الرواية بهذا الوصف العجيب: (قلوبهم كزُبر الحديد، لا تُزِلُّهُمُ الرّياحُ العواصف).

إنّها قلوب ومن طبيعة القلوب اللين والرّقّة، ولكنّ هذه القلوب تتحوَّل في مواجهة الطُّغاة والعتاة إلى زبر من الحديد لا تلين ولا ترقُّ.

إنّ الصّلابةَ والقُوّة من خصائص الأجيال التي يحمّلها اللّه تعالى مسؤولية التغيير، والثّورة، من خصائص الأجيال التى يضعها اللّه تعالى في منعطفات التاريخ الكبرى لِنَقل الناس من مَرْحَلَة إلى مَرْحَلَة، وهذا الجيل يحمل هذه الخصائص.

- **التحدّي والتمرّد:**

وهي مهمّة هذا الجيل، فهو يتحدّى النّظامَ العالميَّ المستبدَّ ويتمرَّدُ

عليه، وما أدراك ما النظام العالميّ وكيف صمّم على خدمة القوى الكبرى، ومن دار في فلكها والاحتفاظ بمراكز القُوّة والمواقع الاستراتيجيّة لها في مختلف مناطق الأرض.

إنّها مسؤولية شاقّة وعسيرة ودقيقة يتعهّد بها هذا النظام على مستوى العالَم كلّه، وليس على مستوى منطقة أو إقليم من الأرض فحسب.

إنّ هذا النظام يتكوّن من مجموعة من المعادلات والموازنات السّياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة والإعلاميّة الدقيقة، ومن أنظمة أعضاء الأُسرة الدولية ومن مجموعة من الخطوط الحمراء والخضراء والصفراء في ما بين هذه الأنظمة وهذه المجموعة من الاتفاقات والتنازلات وتنظيم الأدوار واقتسام الموارد والأسواق ومصادر الثروة ومناطق النفوذ.

إنّ هذه المجموعة المعقّدة تمكّن القوى الكبرى من السيطرة على الوضع العالمي، كما تمكّن العتلة الصغيرة ـ العصا الضّخمة من حديد تُستخدم في أعمال الهدم والحمل ـ، أي الإنسان، من حمل الأثقال الكبيرة بحركة خفيفة. ولذلك فإنّ النظام العالميّ قبل سقوط الاتحاد السوفيتيّ، وبعد ذلك، يبقى أمراً يحترمُهُ الجميع، لأنّ هؤلاء يستفيدون منه كلٌّ بمقدار حجمه وقُوّته.

وهؤلاء الشباب من جيل الموطّئين يخترقون ببساطة ومن دون تردّد هذه الخطوط الحمراء، ويغيّرون هذه المعادلات والموازنات التي يتفاهم عليها الجميع ويتلقَّونَها بالقبول والاحترام، ويُفسدون على هذه الأنظمة والمؤسسات الدوليّة استقرارها وتوازنها وهيبتها الدوليّة.

ولا سبيل لها على هؤلاء الشباب، ولا تستطيع أن تتحمَّلهُمْ ولا تتمكَّنُ من أن تدفعهُمْ.

فإنّ أكثر قُوّة هذه الأنظمة وهيبتها الدوليّة في مواجهة أنظمة ومؤسسات من مثلها، وأقوى ما تملك من السلاح هو القتل، والسّجن، والتعذيب، والمطاردة.

وهؤلاء لا يخافون ولا يرهبهم شيءٌ من ذلك.

والوصف الموجود في الرواية دقيق في وصف هذا الجيل: (لا تُزِلُهُمُ الرّياحُ العواصف، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون وعلى اللّه يتوكّلون والعاقبةُ للمُتّقين).

إنّ الذي لا يجبن لا يملّ الحرب، ولا تُزِلُهُ الرِّياحُ العواصف بطبيعة الحال.

وقُوّة هؤلاء وميزتهم أنّهم لا يجبنون، وهذه هي مشكلتهم في حساب الأنظمة والقوى الكبرى.

هذه هي بعض ملامح جيل التحدي الذي برز في مواجهة الأنظمة والقوى الكبرى في العراق وإيران وأفغانستان ولبنان وفلسطين والجزائر ومصر والسودان، وأخيراً في الشيشان والبوسنة والهرسك.

وعجيب أمر هذا الجيل، يَسبُّ جلّاديه ويشتمُهُمْ، وهو في قبضتهم وتحت سلطانهم وسياطهم، يصبّون عليه العذاب صبّاً فلا ينثني أبناؤه، ولا يلينون ولا يئنون ولا يصرخون.

وإنّ أحدهم ليقول لجلّاديه، وهم يعذبونه بما لا يعلم إلاّ اللّه من فنون

التعذيب: «سوف أُبقي في نفسك حسرة أن تسمع منّي صرخة تألُّم أو أنين أو توجّع»!!

وردود الفعل العالميّة تّجاه هذا الجيل، كما تُصرّح به هذه النصوص، ردود فعل غاضبة وساخطة؛ لأنّ هذا الجيل يعرّض هذه المعادلات والموازنات لهزّات عنيفة وحقيقية؛ ولذلك فإنّ ردود الفعل العالميّة تّجاهه تتّسم بالغضب والسّخط دائماً.

رُويَ عن أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا ظهرت راية الحقّ لعنها أهل الشرق وأهل الغرب. أتدري لم ذلك؟

قلت: لا.

قال: للذي يلقى النّاس من أهل بيته قبل ظهوره»[1].

وأهل بيته قبل ظهوره، عادةً، هم الموطِّئون الذين يُثيرون المتاعب لهذه الأنظِمَة والمؤسَّسات ويسلبونها استقرارها وراحتها.

ورُويَ عن ثقة الإسلام الكُلينيّ في الكافيّ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، قولهُ: «قوم يبعثهم اللّه قبل خروج القائم فلا يدعون واتراً لآل محمّد، إلّا قتلوه».

وردود الأفعال العالميّة، المذكورة في هذه النصوص، تشبه إلى حدٍّ كبير ردود الأفعال العالميّة اليوم تّجاه الصحوة الإسلاميّة التي يسمّونها

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ٦٣.

بـ (الأُصوليّة الإسلاميّة)، وينعتونها بالإرهاب وبأقسى النعوت»[١].

ثانياً: جيل الأنصار في الرّوايات الإسلاميّة:

يَتَمَيَّز أفراد جيل الأنصار بمزايا وقيّم يتفرّدون بها.

يقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: ونحن سوف سنستعرضُ النّصوص الواردة في نموذج واحد فقط من هذا الجيل، وهو: شباب (الطّالقان) وهذه الرّوايات وردت بأسانيد الفريقين: السُّنَّة والشّيعة وطرقهم.

شباب الطّالقان:

روى المُتّقي الهنديّ في (كنز العمّال) والسّيوطيّ في (الحاوي) في أنصار الإمام من (الطالقان): (ويحاً للطّالقان، فإنّ للّه عزّ وجلّ بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضّة، ولكن بها رجال عرفوا اللّه حقّ معرفته وهم أنصار المَهديّ)[٢].

وروى المجلسيُّ في بحار الأنوار: (كنزٌ بالطالقان ما هو بذهبٍ ولا فضّةٍ، ورايةٌ لم تُنشر مُذّ طُويتْ، ورجال كأنّ قُلوبهم زُبرُ الحديدِ لا يشوبها شكٌّ في ذات اللّه أشدُّ من الجمر، لو حملوا على الجبال لأزالوها.

لا يقصدون برایاتهم بلدةً إلّا خرّبوها، كأنّ خيولهم العقبان، يتمسّحون بسرج الإمام يطلبون بذلك البركة، ويحفّون به ويقونَهُ بأنفسهم في الحروب، يبيتون قياماً على أطرافهم ويُصبحون على خيولهم، رُهبان

---

(١) الانتظار الموّجه، للشّيخ الآصفيّ.

(٢) كنز العمّال، للمُتّقي الهنديّ، ج٧، ص ٢٦.

بالليل ليوث بالنهار، هم أطوَعُ من الأَمة لسيّدها، كالمصابيح، كأنّ في قلوبهم القناديل وهمّ من خشيته مشفقون، يدعون بالشهادة ويتمنون أن يُقتلوا في سبيل اللّه.

شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرّعبُ أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصرُ اللّه إمام الحقّ)[1].

بقي أنْ أُشير إلى أنَّ الرّوايات تُشير إلى أنَّ غالبية أصحاب الإمام المُنتظر عليه السلام من الشباب.

رُويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أصحابُ المَهديّ شَبابٌ لا كُهولَ فِيهِم إلّا مِثلُ كُحْلِ العَينِ)[2].

أولي الأيدي والأبصار:

من صفات المؤمنين التي ذُكِرتْ في القرآن الكريم، صفتا: (القُوّة) و(البَصيرة).

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ سورة ص، الآية: ٤٥.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى﴾: أي أُوْلِي القُوّة في أمر اللّه تعالى.

وجاء في تفسير قوله تعالى: و(الأبصَارِ): أي أن يكون المؤمن قَوِيَّ الإِدْراكِ، ثاقِبَ الفِكْرِ، وتكون أفعاله عَنْ خِبْرَةٍ واقْتِناعٍ، وعن عقيدة

---

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ٣٠٧.

(٢) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٥٢، ص ٣٣٤.

راسخة، ولابُدّ أن يتوخى مرضاة اللّه تعالى في ما يقوم به من عمل.

يقول الشّيخ الآصفيّ قدس سره: «لابُدّ للبَصيرة من قُوّة، ومن دون القوّة تضيع البصيرة وتخمد ولا يحمل البصيرة إلاّ المؤمن القوي، فإذا ضعف فقد البصيرة، ولابُدّ للقُوّة من بصيرة، فإنّ القُوّة من دون بصيرة تتحوَّل إلى لجاج وعناد واستكبار»(١).

وإذا ما تأمّلنا الرّوايات السابقة سنجد أنّ أنصار الإمام المَهديّ عليه السلام يملكون القوة والوعي والبصيرة والعزم النافذ تماماً كأُوْلِي الأيدِي وَالأبصَار.

روى الصّدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «التّاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقِّ، المُظهر للدّين، والباسط للعدل.

قال الحسين عليه السلام: فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، وإنَّ ذلك لكائن؟

فقال عليه السلام: إي والذي بعثَ محمّداً صلى الله عليه وآله بالنّبوّة واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غَيبة وحَيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ اللّه جلّ جلاله ميثاقَهُمْ بولايتنا وكتب في قُلوبهم الإيمان وأيَّدَهُمْ بروحٍ منه»(٢).

---

(١) الانتظار الموجّه، للشّيخ الآصفيّ.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، للشّيخ الصّدوق، ص٣٠٤.

الفصل الثالث :

تَجدِيدُ الفِكْر الدِّينِيِّ وَحُجِّيَّة العُلمَاء

- ضروريّة تجديد الفكر الدّينيّ.
- حُجيّة العُلمَاء.

ضَرُورِيَّة تَجدِيد الفِكر الدِّينِيّ

لا يخفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وأنَّ الشّريعة هي المنهج الذي يسير عليه المُرسَل من اللّه عزَّ وجلّ في تبليغ رسالته.

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ سورة المائدة، الآية: ٤٨.

ولا يخفى أنّ تتابع نزول الشّرائع السماويّة منذ شريعة النّبيّ نوح عليه السلام وحتّى الشّريعة المحمّدية الخاتمة جاء كنتيجة طبيعية لِسُنَّةَ التّطور في الحياة.

ولا يخفى أنَّ النصّ الدّينيّ (القرآن الكريم والرّوايات الصّحيحة) هو النصّ المُقدس الوحيد والثابت الذي لا يتغيّر بتغيّر الزّمان والمكان.

ولا يخفى أنَّ الفكر الدّينيّ (أقوال العُلمَاء) لا قُدسيةَ له بتاتاً وليس من الثوابت التي لا تتغيّر، وبما أنَّ أقوالهم اجتهادات خاصّة قد لا تلُامس الحُكم الواقعيّ، فهي قابلة للنقد والإشكال عليها.

ولا يخفى أنّ مبدأ الإمامة في الفكر الشّيعيّ - في بُعده الدّينيّ - هو

الذي حفظ استمرارية الشريعة المحمّدية، باعتبار كون حماية الدّين إحدى وظائف الإمام.

ولا يخفى أنَّ التوقيع المُبارك لإمام العصر «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ...»، هو الذي حفّز العُلمَاء على الاجتهاد في كُلِّ ما يتعلَّق بالفرد والأُسرة، والمجتمع والدّولة.

وإذا ما تعلَّقَ اجتهاد العُلمَاء بالتّطوّر العلميّ العالمي بصفةٍ عامّة وفي ما يخصُّ تنظيمات الدّولة:

- السّياسيّة وعلاقاتها ببقية الدول.
- والاقتصاديّة ومصادر الطاقة بكلِّ أشكالها، وإنتاجها، واستثماراتها، وتوزيعها.
- والتّعليميّة وتطويرها.
- والعسكريّة بكُلِّ فروعها.

فهو بلا شكّ يُعتبرُ لوناً من ألوان التّجديد في الفكر الدّينيّ.

ولهذا كُلِّهِ لابُدّ من أن يكون الفَقِيه عارفاً ومُلمًّا بكلِّ مجالات الحياة في زمانه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «العَالِمُ بِزَمَانِهِ لا تهجمُ عليه اللوابس».

ويبدو أنَّ بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً عند الإماميّة يعود إلى هذا السبب.

وتجديد الفكر الدّينيّ أصبحَ ضرورةً نظراً لما شابَ الكثيرَ من المفاهيم الإسلاميّة من تسطيح وتشويه متعمَّد، ومنها مفهوم الانتِظَار،

كما أنَّ الكثير من البدع والخرافات قد تغلغلت وبقُوّة في المُجتمعات الإسلاميّة، وإذا ما عرفنا كُلّ هذا نُدرك ضرورة التجديد، ونُدرك أيضاً أهَمّيَّة وخطورة منصب النّيابة العامّة باعتبارها الحامي للدّين.

ونُدرك أيضاً حقيقة القول بأنَّ الإمام عليه السلام عند ظهوره سوف يأتي بدينٍ جديد!!

رُويَ عن الإمام عليّ عليه السلام قولُهُ: «واللّه لكأنّي أنظر إليه بين الرُكن والمقام يُبايع النّاس على كتابٍ جديد على العربِ شديد، وَيلٌ لِطُغاة العَرب من شَرٍّ قد اقتَرَب»(١).

وعليه:

لابُدّ من ألّا تتوقف عملية التّجديد في الفكر الدّينيّ أبداً، وأن تكون برعاية ودعم مباشر من الفَقِيه المتصدّي للنّيابة العامّة، الذي يجب أن يكون مُلمًّا بكلِّ ما يحصل من تغيُّرات مجتمعيّة أو فكرية في مجتمعه والمنطقة والعالم، وأن يكون شجاعاً لا يهاب أحد في عمليّة التّجديد المجتمعيّ والفكريّ.

---

(١) يُنظرُ: عصر الظهور، للشّيخ الكورانيّ، ص ٧٤.

حُجّيّة العُلمَاء
(تَعيُّنيّة لا تَعيينيّة)

(مَثَلُ الإِمَام مَثَل الكَعبَةِ إِذ تُؤتَى وَلَا تَأتِي... أَمَا وَاللَّهِ لَو تَرَكُوا الحَقَّ عَلَى أَهلِهِ وَاتَّبَعُوا عِترَةَ نَبِيِّهِ لَمَا اختَلَفَ فِي اللَّهِ تَعَالَى اثنَانِ وَلَورِثَهَا سَلَفٌ عَن سَلَفٍ وَخَلَفٌ بَعدَ خَلَفٍ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا التَّاسِعُ مِنْ وُلدِ الحُسَين)[1].

السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاء عليها السلام

لا يخفى أنَّ مبدأ الانتِظَار أصبح بشكلٍ أو بآخر أحد مسؤوليّات مراجع الدّين الإداريّة باعتبارهم المُتصدّين لأرفع مقام في عالَم الشّيعة اليوم وأعني به ـ النّيابة العامّة ـ.

فلا توجد عند الشّيعة جهة مسموعة الكلمة غير المرجعيّة الدّينيّة، فهي وحدها التي تملك قُوّة وقدرة التّأثير، وهي وحدها التي إن قالت الكلمة الآمرة تحوّلت إلى واقع يمشي على الأرض.

ولا يخفى أيضاً أنّ المرجعية هي الموّجه الرئيسي لشكل الانتِظَار (الإيجابيّ أو السلبيّ).

---

(١) كفاية الأثر، ص ١٩٧.

ولا شكّ في أنَّ رجوع النّاس إلى الفَقِيه العالِم العامل في زمن الغيبة من الأمور المنصوص عليها شرعاً.

جاء في التوقيع المُبارك لإمامنا المُنتظر عليه السلام: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعُوا فيهَا إلى رواةِ حديثِنَا، فإنّهُم حُجّتِي عليكُم وأنا حُجّةُ اللّهِ عليهم». أي أنَّ الفُقهاء العاملين الواعين هم المرجع للأُمّة، وهم قادة الأمل والعمل.

والسُّؤال:

مَن هُم رواة حديثنا المعنيّون في التّوقيع المُبارك؟ وما هي صفاتهم؟

لا يُعقل أنّ يكون كلُّ مَن دَرَسَ علم الفقه ولبس الزَّيَّ الدّينيّ حُجّةً، خصوصاً وأنَّ الناس لا قدرة لهم على التَّمْيِيز بين الفَقِيه العامل وبين سواه من الفُقهاء، ناهيك عن معرفة ذوي الارتباطات والأجندات المختلفة الذين اتخذوا اللباس الدّينيّ مطيَّة لهم لتمرير مكائدهم للإسلام والمسلمين.

وعليه؟

فإنّ (رواة حديثنا)، هم: الفقهاء المجتهدون المثاليّون، والمؤهلون إداريًّا، العارفون بحضارات الأُمم القديمة كالحضارات التي ذكرها القرآن الكريم من قبيل حضارة عاد، وثمود، والروم، والفرس، والفراعنة...إلخ، والحضارات المُعاصرة من قبيل الحَضَارَة الغربيّة والصينيّة والهنديّة ...إلخ.

والمُلمّون بكُلّ شؤون الحياة، فليس كُلّ فقيه - مهما بلغت مُدّةُ دراستِه - يملكُ هذه الصّفات.

المُجتَهدُ المِثاليّ:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ سورة الزّمر، الآية ١٨.

إذا ما تدبَّرنا مضمون الآية الكريمة نجد أنّها مدحت أُولي الألباب الذين يبحثون عن الأصوب والأحسن من القول الذي ينتفعون به في مسيرتهم.

وإذا ما تأمّلنا التّوقيع المُبارك نجد أنَّ الفَقِيه الذي أعطاه الإمام عليه السلام الحُجّيّة العلميّة هو الفَقِيه المُجتهد القادر على معرفة الأصوب والأحسن من القول، أي الفَقِيه المُجتهد المُلم بكلِّ شؤون الحياة، وليس أيَّ فقيه، وبعبارة مختصرة: المُجتهد المثاليّ.

وإذا ما تصدّى الفَقِيه لقيادة المُجتمع، فلابُدّ حينئذٍ من أن يكون مُلمًّا بالعلوم التي لها علاقة بقيادة الأُمّة وليس بعلمِ الفقه فقط، لأنَّ أحاديث الأئمّة عليهم السلام تشمل جميع شؤون الحياة.

وَإِنْ تَعَذَّرَ على الفَقِيه القائد الإلمَام بِهَذه العُلُوم فَيَجِبُ عليهِ حِينئِذٍ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالمُتَخَصِّصِينَ بِهَذِهِ العُلُوم كَمُسْتَشَارِينَ.

النّيابة العامّة:

بعد أن عرفنا بعض مؤهلات المُجتَهد المثاليّ المُتصدّي للشّأن العامّ (القائد)، يأتي الدور للحديث عن النّيابة العامّة للإمام.

فنقول: يجب أن تكون النّيابة العامّة تَعَيُّنِيَّة لا تَعِينِيّة، أي أنَّ على الفَقِيه المتصدّي للنّيابة العامّة أن يُثبت للنّاس كافّة أنّه أهل للنّيابة من خلال

عطائه الفكريّ الإبداعيّ وكفائته الإدارية، لا من خلال شهادة الفقهاء الآخرين له باجتهاده فقط.

ولا يصحُّ أن يُعيّن أو يُختار النائب العامّ عن الإمام من قبل مجموعة من الفُضلاء فحسب، لأنَّ النيابة العامّة مسؤوليّة كبيرة ومنصب خطير جدّاً، يتعلَّقُ بكُلّ شؤون الأُمّة أفراداً ومجتمعات.

وعليه.

فهذا المنصب هو للفقيه المُجتَهد المثاليّ - المُبدع المُتميّز بفكره وعطاءه، الكفؤ إداريًّا وصاحب النّظرة الثاقبة لما يدور في العالم من أحداث، العارف بخداع السّياسيّين، ومكر المُنافقين -.

ولأنَّ الحياة المُعاصرة مليئة بأجهزة المخابرات التي لا همَّ لها سوى النيل من الدّين الإسلاميّ وقيمه الفكريّة والأخلاقيّة، فالأمّة بحاجة إلى فقيه خبير بأهداف أعداء الخارج وكيد مُنافقي الداخل على حدٍّ سواء.

يقول المرجع الشّيخ إبراهيم جنّاتي في بحثٍ - قيّم جداً - بعنوان: (خصائص المجتهد المثاليّ): «لا يمكن للمسلمين أن يقبلوا بأن تنحصر أفكار ورؤى ونظرة المجتهد وتتحدَّد ببعض جوانب الحياة أو تتأطَّر ضمن مكان ومجتمع خاصّ ومعيّن، بل لابُدّ أن تكون نظرته غير محدودة وشمولية وتتسع لتشمل كلّ العالَم، مثلُهُ مثلُ الحكومة الإسلاميّة ذات الطابع العالميّ.

كذلك ينبغي أن تكون الآراء والنّظرات الفقهيّة موجّهة ومستدلّه طبقاً للمصادر الشّرعيّة المُعتبرة ويستسيغها أبناء العالم وأن تُعرَضَ بشكلها

الشموليّ العالميّ، وألّا تُطرَحَ بشكل غير موجّه وضعيف؛ لأنّها قد تكون لها آثار وعواقب لا تتناسب مع الحكومة الإسلاميّة»[1].

وهذا باختصار هو الإطار العامّ لشخصيّة النّائب العامّ للإمام عليه السلام في غيبته.

الصفات العامّة للفقيه الحُجّة (القائد أو المرجع):

١. أن يكون فقيهاً، مُجتهداً مثاليًّا من خلال ما يطرحه من بحوث ودراسات تُثبِتُ اجتهاده الفقهيّ وسعة اطلاعه، لا من خلال تزكيته من قبل الفقهاء المحيطين به فقط.

٢. أن يكون مُلمًّا بالشؤون السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة العالميّة.

٣. أن يكون مُتابعاً لما يُطرَحُ من نظريّات فكريّة على مستوى العالَم.

٤. أن يكون إداريًّا ناجحاً ويُتقن استعمال لغة عصره.

٥. أن يكون منتخَباً بطريقة ما.

وإذا ما تولى الفَقِيه المجتهد المثاليّ أعلى منصب في الدّولة أو المرجعية العُليا، فلابُدّ حينئذ من تمتعه بذهنية علمية وقّادة يستطيع من خلالها رسم السياسات العامّة للدولة أو المجتمعات الشّيعيّة التي تقع تحت إدارته.

---

(١) خصائص المُجتهد المثاليّ، للشّيخ إبراهيم جنّاتيّ، ص ٢٥.

ولا شكّ في أنَّ هذه الصفات تنطبق على الكثير من فُقهاء الأُمّة العاملين، من قبيل: الإمام الخمينيّ، والسّيد الخامنئيّ، والشّهيد مُطهّري، والشّهيد بهشتيّ، والشّيخ محمّد رضا المُظفر، والشّهيد الصّدر، والسّيد التّقي الحكيم، والعلّامة الفضليّ يُعدون من أبرز مصاديق الفَقِيه الحُجّة. وغيرهم ممّن لا اطلاع لنا بنتاجهم الفكري.

وأخيراً:

نظراً لكُلِّ ما تقدّم فالأفضل أنْ يقتصر لبس الزَّيّ الدّينيّ الشّيعيّ المتعارف عليه اليوم على الفَقِيه المُجتهد التعيُّنيَّ فقط.

وبهذا نقطع الطريق على كُلِّ مَن يروم نشر الخُرافة والبدع من خلال لبسه لهذا الزَّيّ.

الفصل الرابع:

نَظَرِيَّات الانتِظَار

نَظريَّة الدُّعاء ومُخرجَاتها.

نَظريَّة التَّمهِيد ومُخرجَاتها.

نَظريّة الدُّعاء

(أَفضَل أَعمَال أُمَّتِي انتِظَار الفَرج)

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

ترتكز نَظريَّة الدُّعاء على مجموعة من التّوصيات يتوجَّب على المُكلّف الالتزام بها والعمل بمقتضاها في زمن الغيبة، وأهمُّها:

١. ضرورة انتظار الفَرج وعدم اليَأس.

٢. أن يكون مُستعدّاً لظهور القائم عليه السلام بالتّبصّر واليقين وحسن الطّاعة.

٣. أن يكون المُنتَظِر موالياً للأئمّة ومتبرِّئاً من أعدائِهم.

٤. أن يكون من أهل الوَرع والاجتهاد في العمل الصالح ويُصلح نفسه قبل غيره.

٥. أن يكون مُطمَئناً إلى أنّ أعماله تُعرض على رسول اللّه ﷺ والأئمّة عليهم السلام، فلا يفعل إلّا ما يسُرُّهُمْ ويُرضيهم.

٦. أن يكون مُحارباً لنفسه ومُجاهداً لشهواته وصابراً في مرضاة اللّه تعالى.

٧. أن يكون مُمتثلاً لأوامر اللّه ورسوله ﷺ والأئمّة عليهم السلام ولا سيما إمام الزمان الذي يأمرنا بطاعة وكلائه والسّير على نهجهم.

٨. أن يكون متأسّياً برسول اللّه ﷺ، ومتخلّقاً بأخلاق اللّه تعالى، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ). سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٩. أن يتَّصِفَ بكلِّ صفات النصير للإمام عليه السلام حتّى يتسنّى له ادِّعاءُ أَنّه من أنصاره عليه السلام.

١٠. إقامة الشعائر التي تحيي ذكر الإمام المَهديّ عليه السلام.

نصائح المرجع السَّيِّد السيستانيّ (حفظه اللّه) للمؤمنين في عصر الغيبة:

نَشَرَ الموقع الرسميّ لمكتب المرجع الدّينيّ الأعلى سماحة السَّيِّد عليّ السيستانيّ (دام ظلُّه)، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٤٣هـ الموافق ١٨ مارس ٢٠٢٢م، مجموعة من النصائح للمؤمنين بمناسبة المولد المبارك للإمام المنتظر عليه السلام.

وجاء ذلك في معرض ردِّ مكتب سماحته على سؤال وجَّهَهُ جَمع من المؤمنين.

نصّ السّؤال:

تحلُّ بعد أيام ذكرى ولادة الامام المَهديّ (عجلّ اللّه فَرجهُ الشّريف) في النصف من شعبان، وفي هذه المناسبة العطرة يُرجى بيان ما يراه

سيِّدُنَا المَرجعُ الأعلى من وظائف لشيعة أهل البيت عليهم السلام في زمان غيبته سلام اللّه عليه؟

نصّ الجواب:

بسمه تعالى:

«إنَّ على المؤمنين (أعزّهم اللّه تعالى) أنْ يستحضروا دائماً أنَّ الإمام المَهديّ عليه السلام هو الإمام المنصوب عليهم من عند اللّه سبحانه في هذا العصر، ولكن الحكمة الإلهِيَّة اقتضت غيبته عن الأنظار إلى أنْ يُؤّذن له في الظهور.

ولذلك فإنَّ عليهم مُضافاً إلى واجب معرفته والإذعان به والمودّة له:

- أنْ يُكثروا من الدُّعاء له في خلواتهم ومجالسهم ويهتمّوا بالشّعائر التي تُحيي ذكره وذكر آبائه عليهم السلام وما جرى عليهم بأيدي الظالمين.

- وليستحضروا عناءَهُ عليه السلام في غيبته لما يراه من المَظالم والمَفاسد في كُلِّ مكان وشوقه إلى أن يكون ظاهراً، ليُصلِحَ ما انحرف عن دين اللّه ويُقيمَ العدل بين عباده.

- وليعلموا أنّهم جميعاً محلّ اهتمامه وعنايته، وهو أرأف بهم من آبائهم وَأُمَّهَاتُهُمْ وَيُهِمُّهُ أُمُورَهُم وَأَحْوَالَهُم، ويتعهَّدُهُم بالدُّعاء والرّعاية، وينبغي أن يتوسّلوا بجاهه في قضاء الحوائج ورفع المشكلات.

- وليكونوا مُنتظرين لقدومه داعين للفرج عنه وعن الأُمّة بظهوره

مستعدّين له بمزيدٍ من التّبصّر واليقين وحُسن الطّاعة.

- وليهتمّوا اهتماماً كبيراً بطاعته ونيل رضاه وتجنُّب معصيته وسخطه، فإنَّ طاعته هي طاعة اللّه سبحانه ورضاه من رضاه تعالى، كما أنَّ في معصيته وسخطه معصيةَ اللّه وسخطه. وإنّما تحصل طاعته عليه السلام بالحفاظ على الإيمان والاعتقاد الحقّ وتعلُّم الوظائف الشّرعيّة التي أمر بها اللّه سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمّة الطّاهرون عليهم السلام من آبائه، ثُمَّ العمل بها والمواظبة عليها، وتزكية النفس وتهذيبها وفقَ ما جاء عنهم، والاتّعاظ بمواعظهم والاهتداء بهديهم.
- وليسْعَ كُلُّ امرئ منهم إلى أن يكون بسلوكه وأخلاقه وهديه زيناً لهم ولا يكون شيناً عليهم، فيلتزم بتعاليم الشّرع الشّريف من أداء الفرائض وترك المآثم والفواحش، والتّحلّي بمكارم الأخلاق، مثل الصّدق وحسن الخُلُق وكفِّ الأذى عن الآخرين والعفاف في القول والمظهر والسّلوك وإعانة الضّعفاء والفقراء واليتامى والمُضطرّين، والإحسان إلى الوالدين وصِلة الأرحام، فإنَّ فيها رضا اللّه سبحانه ورسولِهِ صلى الله عليه وآله ومَسَرَّةَ الإمام عليه السلام وفي ذلك خيرُ الدُّنيَا والآخرة.
- وليتعاون المؤمنون في زمان الغيبة بما يقتضيه الولاء في ما بينهم بالبر والتقوى وليتواصوا بالحقّ والصبر وليحذروا عن التّشتّت والتّفرقة والتباغض.
- وليرع الأغنياء الذين وَسّعَ اللّه تعالى عليهم الفُقراء والمُحتاجين والمُستضعفين والمُضطرّين بأداء ما عليهم من الحقوق

الشّرعيّة وسائر ما تستوجبه حالات الاضطرار وتقتضيه شريعة الإحسان، فإنَّ مَن أعان أحداً من أوليائه عليه السلام كان ذلك عوناً له عليه السلام في ذلك؛ لأنَّ هؤلاء كُلَّهُمْ عياله، ولكن شاء اللّه سبحانه غيبته حتّى حين.

- وليحذروا عن الوقوع في الشّبهات المُضلّة والفتن المُهلكة التي تتّفق في غيبته، وأشدُّها ما أضرّ بالعقيدة فزلّ صاحبها عن الدّين أو ضلّ عن الولاء لهم عليهم السلام. ومن جملة ذلك:

١. الوقوع في فخّ من يدّعي النّيابة الخاصّة أو يزعم الاتصال الخاصّ وينقل عنه عليه السلام تعليماتٍ خاصّةً، فإنّ هؤلاء قُطّاعُ طرق لعقائد الشيعة في رجوعهم إلى أهل البيت عليهم السلام، بل الواجب (الذي لا شك فيه في هذا المذهب كما جرت عليه سيرة المؤمنين جميعاً طيلة اثني عشر قرناً من غيبته) ما أوصى به عليه السلام أولياءَهُ وشيعته من الرّجوع في ما اشتبه عليهم من أمور الدّين إلى الأمثل فالأمثل من الفقهاء العدول المُتقين من شيعتهم المُقتفين لآثارهم وهديهم، فإنهم حُجّته عليهم وهو حجّة اللّه على النّاس جميعاً.

٢. كما أنَّ من البدع المُهلكة الدّعوة إلى الرّجوع إلى كُلِّ ما نُسِبَ إلى الأئمّة عليهم السلام من دون معرفة واختصاص ولا تنقيح وتمحيص، ليتبوأ الجاهلون بالآثار وأصول تمحيصها وتنقيحها مقام العُلمَاء العاملين المتخصِّصين في شأن ذلك.

٣. كما أنَّ من البدع المُهلكة إنكارَ ثوابت الدّين وقواعده أيًّا كانت الشبهة الباعثة عليه، ومن صَعُبَ عليه العمل بشيء من

التعاليم فلا يندفعنّ بذلك إلى إنكارها أو التّشكيك فيها، فإنَّ على العاصي إثماً واحداً وعلى المُنكر والمشكِّكِ إثمين.

- وليحذروا عن مزاعم توقيت الظهور أو ما بمنزلتها أيًّا كان زاعمها؛ لما ورد من النّهى المؤكد عن مثل ذلك وتكذيب من ادّعاه، وتشهد عليه التجارب المتكررة حيث صدرت هذه المزاعم كثيراً في التاريخ، ثُمَّ استبان كذبها والوهم فيها.
- وليعلم المؤمنون أنَّ مِن أحسن انتظارَهُ عليه السلام بمراعاة ما تقدَّم، كان ذلك دليل صدقه في ما يتمناه من إدراك الإمام عليه السلام والانصياع لأمره والنصرة له، ومن تمنّى ذلك صادقاً فهو إن لم يكتب له اللّه سبحانه إدراكه وفق مقاديره فهو محشور مع من أدركه وأطاعه ونصره، مُثابٌ بمثل ثوابه وذلك فوزٌ عظيم».

وكما نلاحظ فهي توصيات عامّة لا وجود فيها لأيِّ بندٍ يُشيرُ إلى أيِّ لون من ألوان التَّمهِيد لظهور الإمام المنتظر عليه السلام.

مُخرجات نَظريَّة الدُّعاء:

من المعلوم أنَّ النّظريّة تسبق التّطبيق، ولا يُعرف مدى صُوَابِيتَهَا إلّا بعد أن تُطبّق على أرض الواقع، ويتمُّ هذا من خلال دراسة نتائج ومُخرجات النّظريّة وعلى ضوء تلكم النتائج يتمُّ الحُكم على نجاح أو فشل النّظريّة.

وإذا ما أمعنّا النّظر في نتائج نَظريَّة الدُّعاء نجدُ أنّها قد أنتجت لنا ثقافة (التّخدير) وثقافة (اليَأس) وهما ـ بلا شكّ ـ بعيدتان كُلّ البُعد عن المُراد الحقيقي من مفهوم الانتِظَار كما اتّضحَ معنا خلال الدّراسة.

ولأنّها لم تتبنَّ مفهوم الانتِظَار العمليّ فلا نجد أيَّ أثر للنَظريَّة على أرض الواقع وخير شاهد ما هو حاصل في العراق، فعدم تبنّي المؤسسة الدينيّة ـ رغم تهيؤ الظروف المناسبة لها بعد سقوط النّظام البائد ـ لمفهوم الانتِظَار العمليّ أدّى إلى ما يلي:

١. سَيْطَرَة تَيَّار كبِير مِن اَلسِّيَاسِيِّين غَيْرِ المُؤَهَّلِين على مَفَاصِل اَلدَّوْلَة.

٢. وانتشار آفة الفساد بكُلِّ أشكاله وفي كُلِّ وزارات الدّولة.

٣. وتعاطي ما لا يقلّ عن نصف الشّباب العراقي المخدَّرات بحسب بيانات وزارة الداخليّة.

٤. ظهور عدد غير قليل من الحركات المهدويّة المشبوهة.

٥. تفشّي ظَاهِرَة الانحلال الأخلاقيّ في المجتمع.

وما دام الحال هكذا فمِن المنطقيّ والطبيعيّ أن تتمَّ إعادة التّفكير في النّظريّة.

نعم، بعض أفراد هذه النّظريّة من المؤمنين الصّالحين وعلى قدرٍ كبيرٍ من التّقوى والورع، ولكن هذه القيم بدون عمل إصلاحي لن يكون لها أثر في المجتمع، وكما قيل: أثرُ الصالح يكون على نفسه، وأثر المُصلح ينعكس على المجتمع.

وعدم تبنّي هذه النّظريّة مبدأ إصلاح المُجتمع أدّى إلى تسلط الطُّغاة والفاسدين على رقاب المُتّقين وغير المُتّقين في جميع أرجاء الأرض وعلى مدى أكثر من ألف عام.

يقول الشَّهِيد مُطهّري قدس سره: «وهذا اللون من الفهم لمسألة ظهور المَهديّ، وهذا النّوع من الانتِظَار للفرج لا يرتبط على الإطلاق بالموازين الإسلاميّة والقرآنية؛ إذ إنه يؤدّي إلى تعطيل الحدود والأحكام الإسلاميّة»[1].

(١) نهضة المهديّ في ضوء فلسفة التّاريخ، الشّهيد مطهّري، ص ٦٧.

نَظريَّة التَّمهِيد

(يخرج على حينِ غفلةٍ من النّاس وإقامة من الحقّ
وإظهار من الجور، يفرح لخروجه أهلُ السّماء
وسُكّانُها، ويملأُ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً)

الإمام عليّ عليه السلام

التَّمهيد لغةً: التّهيئة، فيقال: مَهَدتُ الفِراشَ مَهداً بَسَطتُه ووَطَّأتُه أو هيَّأتُه.

وفي الاصطلاح: جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، قولُهُ: «إنَّ العملَ الصالح ليذهب إلى الجّنة فيُمهّد لصاحبه كما يَبعثُ الرجل غُلامه فيفرش له، ثُمَّ قرأ: (وأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمهَدُونَ)[1].

وعليه، فالمعنى اللّغوي لمُفردة التَّمهِيد هو ذات المعنى القرآنيّ والروائيّ.

وفي ضوء هذا المفهوم نستطيع القول بأنَّ التَّمهِيد، يعني: تهيئة الأنفُس والأرضيّة المناسبة لظهور الإمام المُنتظر عليه السلام.

---

(١) مأخوذ من مفهوم الآية ٤٤ في سورة الروم.

أدّلة وجوب التّمهيد:

سنذكر في المقام ثلاث روايات شريفة أشارت إلى وجوب التَّمهِيد:

- رُوي عن النَّبيّ ﷺ قولهُ: (يَخرُجُ رجُلٌ يوطئ أو يُمَكِّنُ لآلِ محمَّدٍ كما مَكَّنَتْ قُرَيشٌ لرَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَجَبَ عَلَى كلِّ مُؤْمِن نصرُهُ) أو [قال: إجابَتهُ][1].

- ورُوي عنه ﷺ أيضاً: (يَخرُجُ قَومٌ مِن قِبَلِ المَشرِقِ، فَيُوَطِّئُونَ لِلمَهدِيِّ سُلْطَانَهُ)[2].

- وروي عنه ﷺ أيضاً: «يَأتِيَ قَومٌ مِن قِبَلِ المَشرِقِ مَعَهُم رَايَاتٌ سُود، فَيَسأَلُونَ الخَيرَ فَلَا يُعطَونَهُ فَيُقَاتِلُونَ فَيُنصَرُونَ فَيُعطَونَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقبَلُونَهُ حَتَّى يَدفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِن أَهلِ بَيتِي فَيملَؤُهَا قِسطًا كَمَا مَلَؤوهَا جَورًا، فَمَن أَدرَكَ ذَلِكَ مِنكُم فَليَأتِهِم وَلَو حَبوًا عَلَى الثَّلجِ»[3].

يقول سماحة سيّدي الوالد ﷾: «والروايتان: الأولى والثالثة، صريحتان في ذلك حيث تفيدانه بمنطوقهما.

أمّا الثانية، فالذي يبدو لي: أنَّنا نستطيع استفادة ذلك منها من مدح النَّبيّ ﷺ للموطِّئين للإمام المنتظر عليه السلام.

ويُستفاد من الرّواية الثالثة أيضاً: أنّ التّوطِئَةَ لظهور الإمام المُنتظر عليه السلام

---

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر، للمقدسيّ، ص ١٣٠.

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠٨٨) في سننه، والطبرانيّ في المعجم الأوسط (٢٨٥)، والبزار في مسنده (٣٧٨٤).

(٣) كتاب الغيبة، للنُعمانيّ، ص ١٧٤.

تكون بالعملِ السّياسيّ، عن طريق إثارة الوعي السّياسيّ، والقيام بالثّورة المُسلَّحة.

ولا أظنُّ أنَّ التّوطِئَةَ لظهور إمام مُصلح يؤسس مُجتمعاً جديداً، وقيام دولة جديدة، تُفيد معنًى غير العمل السّياسيّ:

- إمّا بإثارة الوعي السّياسيّ وحده، حيث لا يُقتَدَرُ على الثّورة المُسلَّحة.
- وإمّا مع الثّورة حين يكون مجالها.

وعلى أساس ما تقدَّم ننتهي إلى النتيجة التالية وهي: أنَّ الانتِظَار ليس هو التسليم، وإنّما هو واجب آخر يضافُ إلى قائمة الواجبات الإسلاميّة»[1].

فانتظار الفَرج لا يكون بالاتِّكال على الغيب وحسب، ولا الترقّب بلا عمل وحركة، وإنّما هو جهاد وعمل رساليّ مع الخطّ الإلهيّ في الثبات على المبدأ والتّمهيد للمُنقذ المُنتظر مهما طال الزمن وكثُرت البلايا.

كما أنَّ العدالة المُنتظرة لا تتأتّى عبر الموعظة والنصيحة فقط.

يقول الإمام الخامنئيّ: «إنّ الذين يتوهّمون أنّ على الإسلام أن ينزوي وعلى رجاله التّوسُّل بمنطق النّصح فقط إنّما هم يردِّدون عن علم أو جهل ما تصبو إليه دوائر السُّلطة العالميّة وتريده، فدوائر الهيمنة الاستكباريّة لا يرهبها أن يقبع زعماء الإسلام في زوايا العالم

(١) في انتظار الإمام، للعلاّمة الفضليّ، ص ٧٠.

ويُبادروا بين الفينة والأخرى لإصدار بيان أو تصريح - كما يفعل أحبار المَسِيحيّة في إصدار بيان وإسْداء موعظة التفوه بكلمة في أيّ من القضايا - فهم يعلمون بأنَّ ذلك لا يُشكِّل خطراً بالنسبة إليهم، بل إنّهم يرهبون ويخافون أن يستيقظ المُسلمون ويقيموا حكومةً واحدةً وأن يتجسّد الإيمان الدّينيّ لدى أبناء الأُمّة في إطار نِظام واحد ودولة واحدة وحكومة واحدة»[١].

مشروع التَّمهِيد:

لا شكّ في أنّ تهيئة الأرضيّة المُناسبة لعملية التّغيير الكبرى ليست بالأمر السّهل في ظلِّ سيطرة قوى الاستبداد على العالَم، وهم في الواقع جبهة سياسيّة واحدة، رغم كُلّ التناقضات القائمة في ما بينهم، وهي جبهة تملك كُلّ مُقَوِّمات القُوّة: (المال) و(السُّلطة) و(الإعلام).

ولكن هذا الاستبداد لم يفُتَّ في عضد القائمين على مشروع التَّمهِيد، فلم يهابوا هذه القُوّة ولم يتقاعسوا عن أداء واجبهم التّكليفيّ.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «رُدُّوا الحَجَرَ مِن حَيث جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إِلّا الشَّر»[٢].

ومشروع التَّمهِيد يرتكز في إعداد كوادره على عدد من الأمور، ومنها:

- التربيّة الإيمانيّة الجهاديّة لِكافَّة أفراده، وهذا ما تَفْتَقِدُهُ الجبهة المُقابلة.

---

(١) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٢ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

(٢) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٥.

- تَنمِية الوَعي السّياسيّ لكوادره المتقدِّمة، فألاعيب قوى الاستكبار كثيرة ومتلوِّنة ومتغيِّرة.
- فهم واقع المُجتمع الذي يتحرَّكُ فيه المُمهّدون (مكوناته، توجُّهاته، عقيدته، ارتباطاته، همومه، مُشكلاته، وتطلعاته ...إلخ).
- استعمال الأسلِحة الحديثة وتطويرها.
- امتلاك اقتصاد قويّ قادر على رفد الموطِّئين بالمال.
- إعداد قادة على قدر عالٍ من الكفاءة الإداريّة.
- إعداد إعلاميّين قادرين على استخدام وسائل العصر الإعلاميّة الحديثة (فيسبوك، تويتر، انستجرام، سناب شات ...إلخ)، لا على المنبر أو الصُحف ولا حتّى الفضائيات التلفزيونيّة؛ لأنَّ هذه الوسائل أصبحت من الماضي وتأثيرها محدود جدّاً.

هذه هي مرتكزات مشروع التَّمهِيد الهادف إلى إقامة الدّولة الإسلاميّة (دولة الإسلام الموطِّئة).

والإعداد لهذه الدّولة يحتاج إلى عملٍ جادّ وحركة دؤوبة، لا رصد هذه العلامة أو تلك كدلالة على قرب الظّهور والتّغنّي بها.

أشكال التَّمهِيد:

إذا ما آمن كُلُّ إنسان بأنَّ وجوده في هذه الحياة لغاية وهدف ورسالة، سيسهل عليه حينئذٍ اختيار الشكل المناسب له من أشكال التَّمهِيد، وهي تختلف باختلاف الأشخاص وقدراتهم ومواهبهم وإمكانيّاتهم

ووضعهم الاجتماعيّ، ومنها على سبيل المثال:

١. التَّمهِيد الفكريّ: وهو دور الباحثين والمفكِّرين، ويتمثّل في بيان الهدف من الثّورة المهدويّة للناس وبالأسلوب أو اللُّغة الدّارجة التي يستعملونَها في حياتهم اليوميّة.

٢. التَّمهِيد الاجتماعيّ: وهو دور رئيسي ويتمثّل في التكافل الاجتماعيّ بين أفراد المجتمع، وقراءة كُلِّ ما يُحاك ضدَّ المُجتمع من مؤامرات تؤدّي إلى تفكُّكِهِ وتفسُّخِهِ، قراءةً تحليليةً واعيةً، ودعم حركات التّمهيد ماليًّا ورعاية عوائلهم إذا ما استُشهدوا.

٣. التَّمهِيد الاقتصاديّ: ويتمثّل في الاستثمار بالأعمال التجارية التي تزيد من قوّة حركات التَّمهيد.

٤. التَّمهِيد السّياسيّ: ويتمثّل هذا التَّمهِيد في إنشاء الأحزاب السّياسيّة ونقد الفكر السّياسيّ المُعادي.

٥. التَّمهِيد الدّينيّ: ويتمثّل هذا الدّور في بيان الواجبات الدّينيّة للمجتمع المُسلم وجعل أفراده متديّنين عن رغبة واقتناع لا عن تقليد متوارث؛ لأنَّ الوضع في هذا العصر اختلف كثيراً عمّا هو عليه قبل عشرين أو ثلاثين سنة على أقلِّ تقدير، فالثقافات الواردة كثيرة جدّاً، والمُغريات لا حصر لها، وهذا الدّور لا يستطيع القيام به رجل الدّين وحده؛ لأنّه يتعلَّق بالمُجتمع، وللمُجتمع مختصون يفهمون ما يدور فيه بطريقة علمية، ولهذا لابُدّ من أن يعمل الطرفان سويًّا في هذا الأمر،

رجل الدّين مع المُختص الاجتماعيّ.

٦. التَّمهِيد العسكريّ: ويتمثّل هذا في التدريب على حمل السلاح بشتّى صنوفه، بل تعلُّم صناعته وتطويره.

٧. التَّمهِيد الأُسري: وهذا اللّون من أهمِّ ألوان التَّمهِيد محوره الأُمّ ويساعدها فيه الأب، ويتمثّل في تربية أفراد الأسرة تربيةً إسلاميّةً وتعليمِهِم مفهوم الانتِظَار العمليّ.

٨. التَّمهِيد الفنيّ: ويتمثّل هذا في إنتاج الأفلام العالميّة التي تُبَشِّرُ بظهور المُخلّص المُنجي، ورسم اللوحات المُعبّرة عن مفهوم الانتِظَار العمليّ، وعمل الأناشيد التي تُشعِلُ حماس الشّباب وتربطهم بإمام العصر، كنشيد (سلام فرمانده – سلام يا مهدي) الذي عبّر عن الولاء الصادق للإمام المنتظر عليه السلام وتحوّل إلى ظَاهِرَةُ اجتماعية وانتشر بشكلٍ مؤثّرٍ في مواقع التواصل الاجتماعيّ.

٩. التَّمهِيد الإعلاميّ: لا يخفى أنَّ لكُلّ حركة أو ثورة أو نظام جهازَها الإعلاميَّ الخاصَّ بها الذي يقوم بنشر رؤى وأفكار الحركة، ولهذا لابُدّ لمشروع التَّمهِيد من جهاز إعلاميّ فعّال يواكبُ العصرَ فيستعملُ وسائل عصره.

مُخرجات نَظريَّة التَّمهِيد:

لا أظنُّ أنَّ نتائج ومخرجات نَظريَّة التَّمهِيد بحاجة لإثبات أو أنّها خافيةٌ على أحد، فالتقدُّم العلميّ الكبير الذي عليه الجمهورية الإسلاميّة

الإيرانية وفي كُلِّ المجالات وعلى كُلِّ الصّعُد ما هو إلّا من نتائج نَظريَّة التَّمهِيد.

ولم يكن ليتمَّ هذا النجاح لولا تبنّي نَظريَّة التَّمهِيد وإنشاء دولة تتبنّى مفهوم الانتِظَار العمليّ كعقيدة ومنهج ونظام في كُلِّ شؤونها.

البابـ الرابع:

عَوائِق الإنتِظَار العمليّ العالميّة

الفصل الأوّل: صراعُ الحَضارات.

الفصل الثاني: إستِهدَاف المَهدِي شَخصيًّا.

الفصل الأوّل :

صراعُ الحَضارات

صراعُ الحَضارات الفكريّ.

صراعُ الحَضارات الجغرافيّ.

صراعُ الحَضارات الفكريّ

«يَكُونُ فِي أُمَّتِي المَهدِيّ يَملَأُهَا قِسطاً وَعَدلاً
كَمَا مُلِئَتْ ظُلماً وَجَوراً، وَتُمطِرُ اَلسَّمَاءُ مَطَراً
كَعَهدِ آدَمَ، وَتُخرِجُ اَلْأَرض بَرَكَتَهَا، وَتَعِيشُ أُمَّتِي
فِي زَمَانِهِ عَيشاً لَم تَعِشهُ قَبلَ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ قَطّ)

النَّبِيّ الأكرَم ﷺ

قبل الخوض في الموضوع لابُدَّ من بيان المُراد من مُصطلحي (الحَضَارَة) و(المَدَنِيَّة).

يقول الفيلسوف الألماني (أوسفالد شبينغلر – Oswald Spengler) في كتابه (سقوط الغرب):

- الحَضَارَة تَخْتَصُّ بِالجَانِبِ اَلرُّوحِيِّ وَالفِكْرِيِّ وَالدِّينِيِّ وَالنَّشَاطِ اَلفَنِّيِّ اَلمُبْدِع.
- المَدَنِيَّةَ تَخْتَصُّ بِجَوَانِبِ اَلتَّقَدُّمِ اَلتِّكْنُولُوجِيِّ وَالصِّنَاعِيِّ وَالاِقْتِصَادِيِّ وَالعُمْرَانِيِّ وَمَا شَابَه.

ويقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره: «إنَّ علماء الاجتماع والانثروبولوجي ينقسمون إلى فريقين في المُقارنة بين مفهوم الحَضَارَة ومفهوم المَدَنِيَّة،

وبالتالي بين مفهوم اَلتَّحَضُّر وَالتَّمَدُّنِ:

- فريق يرادف بينهما: فالحَضَارَة – في رأيه – هي المَدَنِيَّة، والمَدَنِيَّة تعني الحَضَارَة.
- وفريق يفارق بينهما: فذهب بعضهم إلى أنَّ:

– الحَضَارَة هي: ذلك الكُلّ اَلمُعَقَّد الذي يشمل المعرفة، المعتقدات، الفنون، الاخلاق، والقوانين والعادات التي اِكْتَسَبَهَا الانسان من المجتمع.

– والمَدَنِيَّة هي: جميع المُنجزات أو مجموعة الإنجازات التي تُميّز طابع الحياة في المَدِينَة المُنَظَّمَة أَوْ اَلدَّوْلَة المُنَظِّمَة.

وبعد أن ميَّز ﷺ بين الحَضَارَة والمَدَنِيَّة، خَلُصَ إلى أنَّ الحَضَارَة والمَدَنِيَّة مَرْحَلَتَانِ مُتَقَدِّمَتَانِ فِي تَطَوُّرِ المُجْتَمَعِ البَشَرِيِّ، وَأَنَّ اَلتَّقَدُّمَ الإِنسَانِيَّ يَقُومُ على دِعَامَتَيْنِ، هُمَا:

- التَّقَدُّم فِي الجَانِبِ اَلثَّقَافِيِّ: الفَلسَفَة، وَالعِلْم وَالأَدَب وَالفَنّ.
- التَّقَدُّم فِي الجَانِبِ التّقنيّ: الآلة والعُمران واستثمار الطبيعة.

والحَضَارَة باختصار تُمَثِّل: الجَانِب المعنويّ لِلحَيَاة.

والمَدَنِيَّة باختصار تُمَثِّل: الجَانِب المَادِّيّ لِلحَيَاةِ

ولا يخفى عليك عزيزي القارئ أنَّ الحَضَارَة لا تختصّ بدولة مُعيّنة أو قومية مُحددة.

فعندما نقول: (الحَضَارَة الغربية): فإنَّنا نعني هنا الحَضَارَة الأوروبّيّة بمختلف دُولِها وقوميّاتها ويضاف إليها أمريكا بولاياتها المتعدِّدة.

وعندما نقول: (الحَضَارَة الإسلاميّة): فنعني هنا جميع المُسلمين بالعالم دول ومَذاهب وجماعات.

وباعتبارنا مُسلمين فإنَّنا نؤمن بأنَّ الفكر الدّينيّ هو المصدر الحقيقي للحَضارَة بما يضمّه من تعاليم فكريّة راقيّة، ورؤى أخلاقيّة ساميّة.

كما أنَّ لكلِّ حضارة أجل.

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾، سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

مقومات الحَضارَة الإسلاميّة:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية: ٩٦.

ذَهَبَ غير مُفَسِّر إِلى أَنَّ المُرَادَ مِن القُرَى هِيَ اَلدُّوَل أَوْ الجَمَاعَاتِ مِن اَلنَّاسِ بِاخْتِلَافِ دِيَانَتِهِمْ وَقَوْمِيَّاتِهِمْ.

وَالآيَةُ الكَرِيمَة تُشِيرُ إِلى عُنْصُرِيٍّ (اَلإِيمَان وَالتَّقْوَى) كشَرط في بَقَاءِ اَلحَضَارَات، فَالإِيمَان وَالتَّقْوَى يُمَثِّلَانِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، اَلفِكر اَلدِّينِيَّ وَالأَخلَاقِيّ.

وَالآيَةُ الكَرِيمَة بمثابةِ التّأصيل لِمُقَوِّمَات الحَضَارَة.

يرى سماحة سيّدي الوالد قدس سره أنّ الحَضَارَة الإسلاميّة في بداياتها الأُولى نشأت في المدينة المنوّرة، وتمثّلت في التالي:

١. العقيدة الإسلاميّة: التي هي - في واقعها - نظرة عقلانيّة عن الكون والحياة والانسان.

٢. التّشريع الإسلاميّ: الذي هو نظام حياة الإنسان المسلم فرداً ومجتمعاً ودولة.

٣. النظام الاخلاقي الإسلاميّ: الذي يرتفع بسلوك الإنسان المسلم إلى مستوى الفضيلة، وربطه بمبدأ الخير الأسمى، وهو رضا اللّه تعالى.

٤. الدّولة الإسلاميّة: التي هي تطبيق لما تقدم في واقع حياة المسلمين[1].

والدّين الإسلاميّ يحرص أشدَّ الحرصِ على أن يكون البُعدُ الأخلاقيُّ في شخصية المُسلم مساويًا للبُعد التّشريعيّ إن لم يتقدَّم عليه.

فأهمُّ مقومِّين للحَضارة الإسلاميّة بالمفهوم القرآنيِ، هما: (الفكرُ الدّينيّ، والفكر الأخلاقيّ).

البُعدَان الفكريّ والأخلاقيّ في الدّين الإسلاميّ:

لا يخفى أنَّ أوّلَ مَن أصَّلَ للبُعد الفكريّ الإسلاميّ هو رسول اللّه ﷺ

(١) فلسفة الحضارة عند العلاّمة الفضليّ، بحث للدكتور إبراهيم العاتي.

من خلال المُعاهدات[١] التي أبرمها مع المُعارضة الدّاخليّة والدّول المُجاورة.

ولعلَّ أهمّها مُعاهدة المدينة أو ما يُعرف بوثيقة المدينة، أو دستور المدينة[٢]، فهذا الدّستور بما يحمله من فكر سياسيّ مُتقدِّم هو الذي نَظَّمَ العلاقة بين مكوّنات المُجتمع المدنيّ المكون آنذاك من المُهاجرين، والأنصار، واليهود، وبقية القبائل، وهو أقدم دستور مُسجَّل في العالم[٣]، وأوّل دستور أعلنه الإسلام[٤].

كما يُمكن مُلاحظة البُعد الفكريّ للحضارة الإسلاميّة بشكلٍ قويّ في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر عامله على مصر، وباقي خطبه عليه السلام في نهج البلاغة أيضاً.

أمّا البُعد الأخلاقيّ للحضارة الإسلاميّة فقد تمثَّلَ في خُلُق رسول اللّه صلى الله عليه وآله الذي هو أسوة لكلّ مُسلم، وفي التّعاليم الأخلاقيّة الوفيرة التي تَضَمَّنَتْهَا آياتُ القرآن الكريم والسُّنّة المُطهّرة.

وغاية الرّسالة المُحمّدية في واقعها هي الدّعوة للتّوحيد والتّكامل الأخلاقيّ للبشريّة.

---

(١) يُنظرُ: مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبويّ والخِلافة الراشدة، للدكتور محمد حميد اللّه، من إصدارات دار النّفائس في بيروت، ١٩٨٧م، جمع فيه مؤلِّفُهُ الوثائق السّياسيّة النّبويّة، وللدكتور حميد أبحاث أخرى قيّمة جدّاً تصبُّ في ذات الموضوع وباللّغات العربيّة، والأورديّة، والإنجليزيّة، والفرنسيّة.

(٢) اشتمل هذا الدستور على سبعة وأربعين بندًا من البنود القانونيّة.

(٣) يُنظرُ: بحث الدكتور محمد حميد اللّه، المعنون: (أقدم دستور مسجَّل بالعالَم)، نُشر ضمن مباحث مؤتمر دائرة المعارف بحيدر آباد الدّكن، ص ٩٧ - ١٢٤، ١٩٣٨م.

(٤) يُنظرُ: بحث الأستاذ أكرم العمريّ، المعنون: (أوّل دستور أعلنه الإسلام)، نُشر في العدد الأوّل من مجلة كُلّيّة الإمام الأعظم، ص ٣٥ - ٦٦، ١٩٧٢م.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ سورة الجمعة، الآية: ٢.

ورُويَ عن رسول اللّه ﷺ: (إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق).

ومعلوم أنَّ لفظ (إنّما) يُفيد الحصر، ما يعني أنّ غاية بعثة النَّبِيّ ﷺ هي السّعي للتّكامل الأخلاقيّ.

ولأنَّ مصدر الأخلاق الإسلاميّة هو الوحي، فهي قيم ثابتة ومُثل عُليا تصلح لكُلّ إنسان بغضِّ النّظر عن مُعتقده وعرقه ومكان تواجده.

ولا شكّ في أنّ الحَضَارَةَ التي تملك هذا اللّون من الفكر والأخلاق، من المؤكّد أنّ يكون لها فلسفتُها ونظرتُها الخاصّة بها للكون والإنسان، والحَضَارَة التي تملك هذين البُعدين هي - بلا شكّ - من الحضارات القوّية والقابلة للاستمراريّة.

ومن الطبيعيّ جدّاً أن تدخل هكذا حَضارة في صِراع مع أعداء العدالة والمُساواة، وهو ما تمثّل في عداء الحَضَارَة الروميّة في عهد النَّبِيّ ﷺ وما بعده.

مقوِّمات الحَضَارَة الغربيّة:

لا تختلف مقوِّمات الحَضَارَة الغربيّة عن مقوِّمات الحَضَارَة الإسلاميّة بشكلٍ عامّ، فهي تعتمد الفكر والأخلاق كمقوِّمين أساسيّين:

يقول الباحث الاجتماعيّ الإسلاميّ ابن خلدون عن عوامل قُوّة وسقوط الحضارات في مقدِّمته: «إذا تأذَّن اللّهُ بانقراض المُلك من

أُمَّة، حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها»[١].

ويقول الفيلسوف والمؤرِّخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee (ت ١٩٧٥م): «إن الدّين ليس سرطاناً يلتهم النسيجَ الحيَّ للمجتمع، وإنّما هو واسطة تضمن استمرار الحَضَارَة الإنسانيّة ... ولا يسعني إلّا الاعتراف بعد سنوات طويلة من الدراسة بدور الدّين في ظهور الحضارات...»[٢].

ويرى توينبي ـ إذا فقد الناس إيمانهم ـ أنَّ حضارتهم تكون مُعرَّضَةً للتَّفكّك الاجتماعيّ الداخلي، والهجوم العسكريّ الخارجيّ، ويعتقد أنَّ الحَضَارَة يُقَرِّرُها الدّين الذي تتأسَّسُ عليه، باعتباره مصدر حيويتها واستمرارها[٣].

وأنّ من أكبر العوامل في سقوط الأُمم هو انهيار منظومة الأخلاق والقيم في تلك الحَضَارَة ... ولتوينبي تعبير دقيق عن سبب انهيار الحضارات، بقوله: «إنّ الحضارات لا تموت قتلاً، وإنّما تموت انتحاراً».

ويقول: «إنَّ العوامل الدّينيّة والأخلاقيّة والقيميّة تُشكِّلُ عصب استمرار

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ص١٨٠.

(٢) مختصر دراسة التاريخ، أرنولد توينبي، ج ٣، ص ١٥٢، نقلًا عن: بحث للأستاذ مسيعد نبيل، نُشِرَ في مجلّة المعيار، العدد ٦١ لعام ٢٠٢١م، بعنوان: دور الدين في ظهور الحضارات عند أرنولد توينبي.

(٣) التّحديّات الكبرى، أرنولد توينبي، ص ٣٦٧، نقلًا عن: بحث للأستاذ مسيعد نبيل، نُشِرَ في مجلّة المعيار، العدد ٦١ للعام ٢٠٢١م، بعنوان: دور الدين في ظهور الحضارات عند أرنولد توينبي.

الحَضَارَة، وعندما تبتعد الحَضَارَة أو الأُمّة عن القيم والأخلاق سوف تنهار».

فيما وضع المؤرِّخ الأمريكي ويليام ديورانت (ت١٩٩١م)، انهيار منظومة القيم الدّينيّة والأخلاقيّة في طليعة أسباب سقوط الحضارات، فيقول: «الحضارات العظيمة لا تنهزم إلّا عندما تُدمِّر نفسها من داخلها. والأسباب الرئيسة لانهيار روما مثلاً والحَضَارَة الرّومانيّة؛ تكمن في شعبها وأخلاقيّاته...».

ويقول غورباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفيتي معلِّلاً أسباب سقوط الاتحاد السوفيتي، بقوله: «إنَّ الاتحاد السوفيتي انهار رغم الانتصارات العلمية وذلك بسبب الانهيار الأخلاقي في قيم الشعب وسريان الفساد في الأخلاق العامّة»[1].

وعليه:

فالحضارات بِصِفَةٍ عَامَّة تَتقوَّم بالقِيَمِ الدّينيَّةِ والأخلاقيّة لا بِالتَّقَدُّم العِلمِيِّ وَالتِّكنُولُوجِيِّ والمَدَنِيِّ.

وإنَّ البُعدين الدّينيّ والأخلاقي يُعدَّان من أساسات وجود أيّ حضارة وديمُومتها.

عوامِل أُفُول الحَضَارَة الإسلاميّة:

لقد بدأ نجم الحَضَارَة الإسلاميّة في الأفُول - في الواقع - منذ يوم السقيفة وذلك عندما رفض عدد من الصحابة العمل بمبدأ الإمامة

---

(١) ينظر كتاب البيريسترويكا (إعادة البناء)، للرئيس السوفيتي الراحل غورباتشوف،

الذي أقره النَّبِيّ ﷺ وبأمرٍ من اللّه تعالى للأُمّة الإسلاميّة في غدير خُمّ.

وممّا زاد في أفُولها، هو: الانحطاط الأخلاقيّ الذي اعترى حُكّام الدّولة الإسلاميّة من أمويِّين وعبّاسيين ومن سار على نهجهم، كما أنّ العديد من المجتمعات الإسلاميّة قد أصابها ذات الداء.

واستمرَّ هذا الأفول قروناً عديدة إلى أن قامت الثّورة الإسلاميّة في إيران فأعادت للحضارة الإسلاميّة وهجَها ووجهَها المُشرقَ بتبنّيها رؤية أهل البيت عليهم السلام لنظام الحُكم.

المَهدِيّ وصراع الحَضارات:

لَقد اِحتَدَمَ اَلصِّرَاع فِكرِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَاقتِصَادِيًّا بين الحَضَارَة الإسلاميّة والغربيّة بعد قيام الثّورة الإسلاميّة في إيران، لأنَّ ساسة الغرب ومفكِّريهم يعلمون جيداً أنّ التزام الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية بالمنهج الفكري الإسلاميّ الأصيل سيعيد للمسلمين القِيم الفكريّة والأخلاقيّة المُحمّدية التي تعرَّضت لكثير من التّشويه، وهو ما سيجعل شعوبَ العالم توّاقَةً لمعرفة كلّ شيء عن الحَضَارَة الإسلاميّة من جديد، وعن المُخلّص المُنقذ الذي تُمهِّدُ له، المُخلّص الذي أعدّه اللّه عزّ وجلّ وأهله ليقوم بهذه المهمة الكبيرة. راجع موضوع: مزايا قائد التغيير الكبير.

وهذا هو ما يُؤَرِّقُهُمْ؛ لأنَّ نُبُوءَاتُهُم تُشير إلى أنّنا نعيش في عصر الظّهور.

مع الأسف فإنَّ صراع الحَضَارَة الغربيّة مع الحَضَارَة الإسلاميّة سار

بعيداً عن الأُسس النبيلة في الصراع، ليأخذ بُعداً غيرَ أخلاقيٍّ وذلك بحصارهم الظالم للجمهوريّة الإسلاميّة، مع شديد الأسف فقد امتدَّ هذا الصراع ليشمل كلّ الحركات الموطّئة حول العالم.

وكيف ما كان فقد ركّزَ الغربُ في صراعه الحالي على أمرين:

١. زعزعة استقرار البلدان التي تَضُمُّ حركات اَلتَّحَرُّر بكلِّ الطرق والوسائل ووفق ثلاثة أبعاد:

- البُعدُ الأخلاقيّ: عن طريق نشر اَلرَّذِيلَة والِانحِلَال والتَّفَسُّخ.
- البُعدُ السّياسيّ: عن طريق دعم عُمَلَائهم السِّيَاسِيِّينَ عَسكَرِيًّا وَإِعلَامِيًّا وَمَالِيًّا.
- البُعدُ الفكريّ: عن طريق دعم الفكر اَلضَّالَّ والمُتَمَثِّلِ في الحَرَكَاتِ المِهدَوِيَّة المَشبُوهَة والحَرَكَات اَلطَّائِفِيَّة اَلدَّاعِشِيَّة أَفرَادًا وَجَمَاعَات.

٢. الإخلال بالنّسيج الاجتماعيّ عن طريق تغذية الصراعات المذهبيّة والقوميّة.

وتأتي زعزعة المجتمعات التي تَضُمُّ الحركات المُوطِّئة فِكرِيًّا وَأَخلَاقِيًّا، لإجهاد البيئة الحاضنة لهذه الحركات وللقضاء على الاعتقاد بالأمل والكفاح في قلوب أبناء الأُمّة من جهة، وللضّغط على قادة الحركات، لكي يقبلوا بأيِّ شيء، مقابل عدم التَّوطِئَة من جهة أُخرى.

يقول الإمام الخامنئيّ: «فالشّعب الذي يؤمن باللّه ويعتمد عليه

سبحانه وتعالى، والشعب الذي يمتلك الأمل بالمستقبل، والشّعب الذي يرتبط بما وراء الغيب، والشّعب الذي أشرقت في قلبه شمس الأمل بالمستقبل وبالحياة وبالإمداد الإلهيّ، هذا الشعب لن يستسلم ولن يخاف أبدًا، ومثل هذه الصيحات الخافتة لن تُبعِدهُ عن ساحة المواجهة.

وهذه هي خصوصيّة الجانب المعنويّ للاعتقاد بالإمام المَهديّ (عليه آلاف التحيّة والثناء)، فالاعتقاد بإمام العصر له هذا المستوى من التأثير العظيم سواءٌ في باطن الإنسان أو في حركة المجتمع حاضراً ومستقبلاً، ولذا يجب معرفة قيمة وأهَميَّة هذا الإيمان وهذا الاعتقاد»[1].

وفي عقيدتي أنه كُلَّما زاد الغرب في صراعه مع أحرار العالم أسهم وبشكلٍ قوي في انتشار الفكر المُحمّدي الأصيل.

بَرَكات السَّماء والأرض:

لا شكّ في أنّ ايَّ حَضَارَة تَتَمَسَّكَ بِالبُعْدَينِ الفِكرِيِّ والأَخلَاقِيِّ سوف تُفتح لها بركات السَّماء والأرض، وتُخرِجُ لها الأرض أرزاقها، فتنتعش اقتصاديًّا ولن يبقى في بيئتها أي فقير أو جائع.

روي عن النَّبِيّ ﷺ، قوله: (يَخْرُج المَهْدِي فِي أُمَّتِي، يَبعَثُهُ اَللَّهُ غِيَاثًا لِلنَّاس، تَنعَم اَلْأُمَّةُ، وَتَعِيشَ المَاشِيَةُ، وَتَخرِجُ اَلْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي اَلمَالَ صِحَاحًا).

---

(١) من كلمة للإمام الخامنئيّ في تاريخ ٠٨/ ٠٢/ ١٩٩١ م، نقلًا عن كتاب: المهدويّة أمل البشريّة، ص ٢٩، دار المعارف الإسلاميّة، ٢٠١٩م.

وفي دولة العدل الإلهيّ المُنتظرة سوف تنهمر خيرات السماء وَتَخرِجُ اَلْأَرْضُ أرزاقها.

وقد أشار لهذا المعنى الصحابيُّ الجليل سلمان الفارسيّ في مقطع من خطبته بعد وفاة النَّبِيّ ﷺ، عندما نُحي الإمام عليّ عليه السلام عن الخلافة، بقوله: «... والّذي نفسُ سلمانَ بيدِهِ، لو ولّيتموها عليًّا عليه السلام لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجُلكم...»[1].

يقول الشاعر:

بِأَبـي لِـواؤُكَ يـومَ تخـرُجُ ثائـراً والأرضُ بَـذلٌ والسَّـماءُ تهَطُّـلُ

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسي، ج ٢٢، ص ٣٨٧.

صِرَاعُ الحَضَارَات الجُغرَافِيّ

(كَأَنِّي بِالقَائِمِ عَلَى نَجَفِ الكُوفَةِ قَدْ سَارَ إِلَيهَا مِن مَكَّةَ
فِي خَمسَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ جَبرَئِيلُ عَن يَمِينِهِ
وَمِيكَائِيلُ عَن شِمَالِهِ وَالمُؤْمِنُونَ بَينَ يَدَيهِ)

الإمام الباقر عليه السلام

بعد أن عرفنا شيئًا ما عن صِرَاع الحَضَارَات الفكريّ، لابُدّ لنا من إطلالة على جغرافيا الصراع.

أقول:

ليس من قبيل الصّدفة بتاتاً تحرّك الغرب بقيادة أمريكا في الشرق الأوسط، ففي عقيدتهم أنَّ المُنازلة أو الملحمة الكبرى بين الحقّ والباطل ستقع في منطقة الشرق الأوسط.

والرّوايات الإسلاميّة، والنُّبُوءَات الإسرائيليّة، وعقائد المَسِيحيّة تُجمع على ظهور (المُخلّص) في المنطقة التي نزلت فيها الرسالات السماويّة، وأنَّ العراق سيكون محورها وفلسطين ساحة الملحمة الكبرى.

فهذه المنطقة الجغرافيّة تتطابق تماماً والمنطقة الجغرافية للحراك

العسكريّ والسّياسيّ الأمريكي الحاليّ، فأمريكا وحلفاؤها يؤمنون أنّ ظهور المُخلّص المنتظر بات وشيكاً، ويبدو أنهم أصبحوا على قناعة تامّة بقرب موعد الاستحقاق الإلهيّ الكبير!!

وعقيدة رؤساء أمريكا تكشف لنا بوضوح أنَّ غزوهم للعراق لم يكن لأجل السّيطرة على منابع النفط كما يزعمون، بدليل أنَّ بلدهم أصبحت في العقد الأخير على أقل تقدير مكتفيةً ذاتيًّا بالنفط.

ولنا أن نسأل:

لماذا قامت الحرب العالميّة على سوريا؟

ولماذا الحرب على اليمن، هذا البلد الفقير؟

ولماذا لا تُريد أمريكا الخروجَ من العراق؟

والسُّؤال الأكبر: لماذا هذا الحصار للجمهوريّة الإسلاميّة الممتدّ لأكثر من أربعين عاماً؟!!

هل لأنّها امتلكت سرّ التكنولوجيا النووية؟!

لا أعتقد ذلك، فتحرُّك أمريكا وحلفائها للوقوف بوجه الجمهورية الإسلاميّة والأنظمة الداعمة لها والحركات السائرة على خطِّها هو في الواقع تحرُّك ضد الموطِّئين للإمام المَهديّ عليه السلام، ولتهيئة المناخ الملائم لخروج السفيانيّ.

إنَّ كُلَّ ما يجري في المنطقة من مؤامرات ودسائس، هو في الواقع تنفيذ للمُخطَّطات الاستراتيجيّة الصَّهْيُونِيَّة الأمريكيّة الهادفة للوقوف بوجه الموطِّئين وقائدهم المنتظر عليه السلام.

والعجيب أن ترى بعض الوجوه الإسلاميّة البارزة واقفةً موقفاً مُضادًا للموطِّئين بحجّة ولائهم لإيران!!!

والأعجب منه أن ترى قيادات شيعيةٌ تدعم الاحتلال الأمريكي للعراق بصمتها المُطبق وكأنَّ الأمر لا يعنيها ولا يعنى رعاياها!!!

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾.

الفصل الثاني:

اِستِهدَافُ المَهدِيِّ شَخصِيًّا

استهدافُ اليَهود للإمام المَهدِيِّ.

استهدافُ أمريكا للإمام المَهدِيِّ.

تَفجِيرُ مَرقَد الإِمَامَين العَسكَرِيِّين.

استهداف اليهود للإمام المَهديّ

لا يخفى عليك - عزيزي القارئ - مدى عداء اليهود للإسلام والمسلمين، منذ اليوم الأوّل للرسالة المُحمّدية المُباركة وحتّى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث اللّه عزَّ وجلّ الأرض ومَن عليها.

والآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة مُسْتَفِيضَة في هذا الموضوع.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

فلا تستغرب - عزيزي القارئ - من تَغَلغُل اليهود الواضح في مجتمعاتنا العربيّة والإسلاميّة.

ولا تستغرب من التطبيع الحاصل اليوم بين بعض الحكومات العربيّة وإسرائيل.

ولا تستغرب أيضاً إذا ما عَلمت أنَّ اليهود يتتبّعون ويُراقبون ويبحثون وينتظرون ظهور الإمام المَهديّ عليه السلام، عن طريق أجهزتهم الاستخباريّة وأذرعهم وعملائهم حول العالَم، ليقضوا عليه وعلى ثورته وهي لاتزال في مهدها؛ لعِلمهم بأنَّنا نعيش في عصر الظّهور.

فاليهود على دراية تامّة بحتميّة ظهور المَهديّ، فتراثهم الدّينيّ وكتبهم

المُقَدَّسَة، وخاصّة كتاب (الكابالا ـ السحر الأسود)[1]، وما كشفه المُتَنَبِّئ الفرنسي اليهودي الأصل (نوستراداموس أو ميشيل دي نوسترادام Michel de Nostredame) تُشير إلى أنّ زوال دولتهم سيكون على يد المَهديّ عليه السلام؛ ولذا فهم مرعوبون؛ لأنهم يدركون المصير المحتوم الذي ينتظرهم.

فما أشبهَ اليومَ بالبارحةِ، فكما كان أجدادُهم مرعوبين من ولادة نبيّ الرّحمة صلى الله عليه وآله وسلم كذلك هم الآن.

ولا تستغرب ـ عزيزي القارئ ـ إذا ما علمت أنّ اليهود يعملون وفق استراتيجية مدروسة بعناية لمواجهة القضيّة المهدويّة عسكريًّا وفكريًّا، مستعينين بماكنتهم الإعلاميّة العالميّة العملاقة وبمساعدة حلفائهم من العرب وأذنابهم من العُملاء المأجورين.

ومن أبرز الأمور التي يركِّزون عليها في حربهم، ما يلي:

١. التّشكيك بأصل فكرة المَهديّ.

٢. دعم مُدعي المهدويّة.

٣. تشويه سمعة الحركات المُوطِّئة للمَهديّ.

٤. دعم الحركات الطائفيّة المشبوهة.

لقد أفسدَ اليهودُ الصهاينةُ في الأرض كثيراً وعَلَوا عُلوّاً كبيراً، ولعلَّ إفسادَهم وعُلُوَّهم في العصر الحاليّ المهديّ هو الأعلى في التاريخ

---

(١) القَبَالة أو القبلانيّة (بالعبرية كابالا קַבָּלָה): هي معتقدات وشروحات روحانيّة فلسفيّة تُفسِّرُ الحياة والكون والربانيّات.

بسيطرتهم على قوى المال والإعلام والسّياسة[١].

واستهداف اليهود للإمام المنتظر عليه السلام ما هو إلّا أحد مصاديق فسادهم الذي نصّ عليه القرآن الكريم.

ولهذا ارتأيت أن أُسلِّطَ الضّوءَ قليلاً على إفساد وعُلُوّ اليهود الحاليّ وأثر ذلك على القضيّة المهدويّة.

الإفساد الثانيّ لليهود:

لعلَّ أحدَ أخطر الظواهر العالميّة قديماً وحديثاً، ظَاهِرَةُ الفساد (Corruption) وبخاصّة إذا تعلَّقت بحياة النّاس على المستوى الفكريّ، والأخلاقيّ، والاقتصاديّ؛ ولهذا حظيت هذه الظَاهِرَة باهتمام الباحثين على مستوى العالَم ومن مختلف التّخصّصات.

الفساد في اللُّغة: من (فَسَدَ)، ضِدَّ (صَلُحَ). والإفساد ضِدّ الإصلاح.

وورد لفظ (فَسَدَ) في جميع اشتقاقاته اللُّغوية وبجميع صيغ الفعل (الماضي والمضارع والأمر) ثماني وأربعين مَرَّةً في السياق القرآنيّ، ضمن اثنين وعشرين سورة.

وورد بصيغة الفعل المضارع بخاصّة في اثني عشر لفظاً مكرراً مع الأفعال الآتية: (تفسدون، يفسدون، نفسد، تفسدّن، يفسد)، ولعدّةِ أغراضٍ، منها: النّهي عن الفساد، والتّحذير من الأفعال المؤدّية للفساد.

---

(١) يُنظر: البحث المعنون: (وإذا جاء وعد الآخرة) للدكتور محمد المجاليّ، والمنشور في صحيفة الغد بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠١٤م.

وجاء في التأكيد على فساد بني إسرائيل، قول اللّه عزَّ وجلّ: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٤.

تشير الآية الكريمة إلى حالتين من حالات إفساد بني إسرائيل في الأرض.

ويقول عزَّ وجلّ في الآية السابعة من نفس السورة: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٧.

ويرى كثير من المُفسِّرين أنّ الإفسادين قد وقعا بالفعل وكانت عقوبةُ الأوّلِ على يد نبوخذ نصر، وعقوبة الثاني على يد القائد الروماني تيطس سنة ٧٠ ميلادي.

ويرى آخرون أنَّ الإفساد الحاليّ لليهود هو الثاني.

يقول الدكتور المجاليّ: «بغضِ النّظر عن المرَّةِ الأُولى، فالذي يعنينا أنَّ اليهود لَمْ يَعْلُوا من قبل كما هُم الآن، فلا يمكن أن يكون إفسادهم اليوم هو مرَّةً ثالثةً، فالوصف بالعلوِّ الكبير جاء مع الإفسادين: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾.

ومن هنا، فالذي نعيشه اليوم هو الإفساد الثاني والأخير، ويخبر اللّه تعالى أنه سيُنهيه مَرَّةً أخرى على أيدي العباد الصّالحين: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٥.

وفي آخرها حيث جمعُ اليهود لفيفاً، ينبغي أن يكون واحدًا متناسقًا.

فهم قد أفسدوا في الأرض، وعَلَوا عُلوّاً كبيراً فيها كُلَّها، وليس فقط في فلسطين أو ما بين المسجدين: الحرام والأقصى، المذكورين في قصة الإسراء»[١].

ويرى الكثير من الباحثين أنَّ فساد اليهود وعُلُوَّهُمُ الكبير في العصر الحاليّ قد بدأ في مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، ففي هذا المؤتمر تمَّ وضع المُخطّط المدروس لإفساد العالم بأكمله، ومنذ أن قام هرتزل الصهيوني بوضع اللبنة الأُولى لقيام دولة إسرائيل الصَّهْيُونِيَّة، صار عُلُوُّ اليهود في تزايد مستمرّ، وكانوا المستفيد الأكبر من الحربين العالميّتين[٢].

وسواءٌ كان المقصود بالآخرة يومَ القيامة أو زمنَ الإفساد الثاني والأخير، فلا يمكن استمرار فساد اليهود في العالَم.

يقول اللّه تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ سورة الإسراء، الآية: ١٠٤.

يرى المفسرون أنَّ الآية تُشير إلى تَجمُّع اليهود في الشّام.

فمن معاني كلمة (لفيف) الجمع الكبير المختلط من كُلِّ نوع.

---

(١) يُنظر: البحث المُعنون: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ للدكتور محمد المجاليّ، المنشور في صحيفة الغد بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠١٤م.

(٢) يُنظر: علوُّ اليهود واستكبارهم في الأرض، للدكتور مصطفى مسلم، موقع شبكة الألوكة على الانترنت.

وهذا المعنى ينطبق على اليوم الآخرِ، وينطبق على اليهود المُجتمعين في أرض فلسطين؛ فهم من إثنيّات مختلفة، من عرب وعجم، أوروبيّين وأميركيّين.. وهكذا.

إنَّ الذين أوتوا العِلم من أهل الكتاب يعلمون علمَ اليقين، أنَّ المبعوثين عليهم في إفسادهم الثاني سيخرجون من أرض بابل (وسط العراق) بقيادة المَهديّ عليه السلام، وهذا ما يفسِّر حروب المنطقة الدّائمة، وشنّ الحرب على العراق الواحدة تلو الأخرى؛ ولهذا نجد أنّ اللوبيَّ اليهوديَّ ومن ورائه حُكام أمريكا قد خطَّطوا منذُ أمدٍ بعيد لتدمير كلّ ما يمكن أن يُمثِّل قُوّةً قد يستغلُّها الإمام المَهديّ المنتظر عليه السلام في حربه الحتميّة ضدَّهُم، لكيلا يجد إلّا شعباً أنهكهُ الحصارُ والحروبُ، ولا يستطيع نصرة قائده، ومن ثُمَّ يسهُلُ القضاء عليه.

ولهذا لا تستغرب - عزيزي القارئ - من هذا الهجوم الشّرس على المنطقة، ومن الحروب المتكرّرة على العراق، والإصرار الأمريكي على عدم الخروج منه.

ولعلّ أبرز مظاهر الفساد الفكريّ الذي يعمل اليهود عليه اليوم، هو:

- التّطبيع مع الدول العربيّة والإسلاميّة.
- نشر الفكر المُتشدِّد المُضلِّل.
- تسقيط الرّموز الإسلاميّة العاملة.
- تسطيح المفاهيم الإسلاميّة وخصوصاً المتعلِّقة بالمَهديّ.

وعلى المستوى الأخلاقيّ فإنَّ نشر اليهود للرّذيلة (الإباحيّة والمثليّة)

في المجتمع المُسلم هو ـ بلا شكّ ـ أحد أبرز مظاهر هذا اللّون من الفساد.

حَرَكَة نَاطُورِيْ كَارْتَا اليَهُودِيَّة:

تعتقد حرَكة ناطُوري كارتَا (שׁוֹמְרֵי הָעִיר היَהُودِيَّة الأُرْثُوذُكْسِيَّة)، وتسمّى بالعربيّة (حارس المدينة)، وهي مُنَظَّمَة يَهُودِيَّة دِينِيَّة تُعَادِي الصَّهْيُونِيَّة، وتُعارض قيام دولة لليهود في فلسطين، تأسست عام ١٩٣٥م، تعتقدُ الحركة أنَّ الدّولة الصَّهْيُونِيَّة في فلسطين غير شرعيّة بحسب التعاليم اليَهُودِيَّة، وتُعَدُّ تمرَّدًا على أوامر اللّه عزَّ وجلّ، وأنّ مجرَّدَ وجودِها (شرّ) وعصيان للّه جلَّ وعلا.

وأنّ اللّه كتب عليهم في التوراة منذ تدمير المعبد أربعة أشياء، وهي:

١. أنْ لا يُشكِّوا أيَّ سيادة وفي أيِّ مكان كان.
٢. وأنْ لا يتمرّدوا ضِدَّ الدول التي يقيمون فيها.
٣. وأن لا يعودوا بأعداد كبيرة إلى أرض الميعاد.
٤. وأنْ لا يتركوا الشّتاتَ الذي كُتِبَ عليهم.

كما يعتقدون أنَّ من علامات ظهور المُخلّص المُنجي في آخر الزمان، هي:

- قيام دولة لليهود في فلسطين!!!
- وأنْ يكون اليهود مُضطهدين، ومُشتَّتين، وفي حالة ضعف.

ولهذا السبب تُعارِضُ هذه الحركة قيام إسرائيل بشدّة، فتعتبر وجودها

إعاقةً لعودة المَسِيح بحسب المعتقد اليهوديّ[١].

ومنذ البدايات الأُولى للحركة الصَّهْيُونِيَّة (ציונות)، وقفت حركة ناطُوري كارتَا (آرامية «נטורי קרתא; العبرية «שׁוֹמְרֵי הָעִיר») في مواجهة الصَّهْيُونِيَّة، وقاطعتها، وَاتَّهَمَتهَا بالكُفرِ وَالإِلحَاد، وَبِتَدمِير اليَهُودِيَّة، وَهَاجَمَتهَا بِشِدَّة، لِسَبَبَيْن:

١. لأنَّ الصَّهْيُونِيَّة من وجهة نظرهم ستكون إحلالاً للفكرة القومية بدلاً من التَّدَيُّن، فالصَّهْيُونِيَّة هنا ستُشجِّعُ اليهود على التّخلّي عن دينهم، ولن تعودَ التّوراةُ عاملَ توحيدٍ للشّعب اليهوديّ. وقد رأى الحاخامات (اللاصهيونيّون) أنَّ خلاص اليهود يتمثّل بالإخلاص للديانة اليَهُودِيَّة وانتظار المَسِيح، أي أنَّ خلاص اليهود يَتَمَثَّل بعودة المسيَّا[٢].

٢. اعتبار الحركة الصَّهْيُونِيَّة (مسيانيّة كاذبة)[٣]، تحاول تعجيل

---

(١) مُقتطفات من لقاء الحاخام يزرائيل ديفيد وايز، الناطق الرسميّ باسم الجماعة اليَهُودِيَّة (ناطُوري كارتَا)، مع قناة الجزيرة في برنامج بلا حدود، عام ٢٠١٤م.

(٢) الماشيح أو المسيَّا (بالعبريّة: המשיח)، ومعناها (المسيح)، وهو في عقيدة اليهود إنسان مثالي من نسل الملك داوُد (النَّبِيّ داوُد في الإسلام)، يُبشر بنهاية العالم ويخلِّصُ الشّعبَ اليهوديّ من ويلاته.

(٣) تتعدد التّسميات حول اليهود المسيّانيّين (بالعبريّة: יְהוּדִים מָשִׁיחַיִים)، فيها ـ مثلًا ـ: اليهود المنتصرون، اليهود المسيحيّون، المسيحيّون اليهود، اليهود المؤمنون بالمسيح، العبرانيّون المسيحيّون.
وهي حركة إِنجِيلِيَّة بُرُوتِسْتَانْتِيَّة تؤكد على العنصر (اليهودي) في الإيمان المسيحيّ ويَتَكَوَّن أتباعها من اليهود المؤمنين بالمسيح، وَيُعْتَبَر اليَهُودْ المَسْيَانِيون حَرَكَة يَهُودِيَّة عِرقِيًّا مَسِيحِيَّة دِينِيًّا.
وترفض المؤسّسات اليَهُودِيَّة اعتبار اليهود المسيّانيّين جزءًا من الطوائف اليَهُودِيَّة، بسبب إيمان اليهود المسيّانيّين بالعقيدة المسيحيّة.

الخلاص اليهودي بوسائل دنيوية، فالخلاص من وجهة نظر أُرْثُوذُكْسِيَّة لا يتمُّ إلّا بقدوم المسيَّا، وهي عملية ربانيّة، وليست بشريّة، والصَّهْيُونِيَّة هنا ستكون تدخُّلاً في شؤون الرّبّ[١].

ويُدرِكُ اليهود هذا المعنى، وهو ما عبَّر عنه إيهودا باراك وزير الدّفاع الإسرائيليّ السابق، في مقال له بعنوان: (بوحدتنا فقط ننتصر) نُشِرَ في صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ٤/ ٥/ ٢٠٢٢ م، أبدى فيه مخاوفه من زوال إسرائيل قبل حلول الذّكرى الثّمانين لتأسيسها، بقوله: «الدّولة اليَهُودِيَّة هي المحاولة الثالثة في التاريخ، ونحن، كمَن استحوذ عليهم الهوس، بتجاهلٍ صارخ لتحذيرات التّلمود، (**نعجّل النهاية**)، ومراراً وتكراراً ننغمس في كراهية مجانيّة»[٢].

وأخيراً

يبدو أنَّ الفلسطينيين مُدركون تماما للمنازلة الكبرى التي تنتظرهم مع اليهود.

فهذا قائد حركة حماس في قطاع غزة، يحيى السنوار يعبأ شعبه في يوم القدس العالمي، بقوله: «على الجميع التهيؤ لمعركة كبرى من أجل الأقصى، معركة زوال إسرائيل»، يستند السنوار على قرب زوال إسرائيل إلى الوعد الإلهيّ.

---

(١) دوامة الدّين والدّولة في إسرائيل، للدكتور عزمي بشارة.

(٢) الدّولتين اليهوديتين السابقتين: (مملكة داوُد وسليمان، ومملكة الحَشْمُونَائِيم)، ولم تصمد أيٌّ منهما أكثر من ٨٠ عامًا؛ لذا يسود اعتقاد بين اليهود أن دولتهم الثالثة القائمة حاليًّا على أرض فلسطين قد اقترب زوالها.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة القصص، الآية: ٨٣.

استهداف أمريكا للإمام المَهدِيّ

يَعْتَقِد المَسِيحِيُّون الأُصُولِيُّون اتِّبَاع الكَنِيسَة االإِنجِيلِيَّة الحَدِيثَة أَوْ مَا تُسَمَّى بِالحَرَكَةِ اَلتَّدبِيرِيَّة[1]، (Dispensationalism) أنّ ظهور المَسِيح المُنقذ مرتبط بتجمّع اليهود في فلسطين، وبعد وقوع الملحمة الكبرى (معركة هَرْمِجْدُون)[2]، فالتّعجيل بوقوع هذه المعركة يعتبر من باب التَّمهِيد أو التّعجيل في ظهور المَسِيح المنقذ.

والعجيب أنّ كلَّ واحد من الرّؤساء الأمريكان المتأخّرين يعتقد أنه بطل هذه المعركة!! وأنّه هو الذي يُسلِّم الرّاية للمسَيح!!

ولهذا السّبب تجدهم يتفانونَ في دعم إسرائيل.

وربّما كان الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريجن (Ronald Reagan)

---

(١) المَسِيحِيَّة الْأُصُولِيَّة (الحَرَكَةُ اَلتَّدْبِيرِيَّة): مَذهَب فِكرِيّ بُرُوتِستَانتِيّ مُتَشَدِّد ظَهَرَ فِي القَرنِ اَلتَّاسِع عَشَرَ فِي الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّة، وَتَمَيَّز هَذَا المَذهَب بِقِرَاءَتِهِ الحِرفِيَّة لِلكِتَاب المُقَدَّس. وَفِي أَوَاخِرِ القَرْنِ العِشْرِينَ بَدَأَت اَلحَرَكَة بِتَأسِيس مُؤَسَّسَاتٍ إِعلَامِيَّةٍ مِن أَجْلِ اَلتَّبْشِيرِ وَنَشْر اَلأَفْكَارِ الخَاصَّةِ بِهَا، كَمَا أَنَّهَا تَمَكَّنَت مِن اَلتَّغَلْغُلِ فِي اَلحَيَاةِ اَلسِّيَاسِيَّة اَلأَمْرِيكِيَّة وَأَصْبَحَتْ طَرَفًا نَافِذًا فِي اَليَمِينِ اَلمَسِيحِيِّ اَلأَمْرِيكِيِّ. وَيَتبَعَ هَذِهِ اَلْحَرَكَةِ اَلْآنِ أَكْثَرُ مِن خَمْسَةِ وَثَمَانِينَ مِلْيُونَ أَمْرِيكِيٍّ، وَمِن أَعْضَائِهَا جَمِيعَ رُؤَسَاءَ أَمْرِيكَا فِي اَلخَمْسِينَ سَنَةً اَلْمَاضِيَةِ .

(٢) (هرمجدون – Armageddon): اسم منطقة في فلسطين يعتقد المسيحيون الأصوليّون أنّ المعركة العالميّة ستحصل فيها بين قوى الخير وقوى الشّرّ قبل نزول المسيح.

أكثر الرؤساء جرأةً ووضوحاً في تعبيراته عن (هَرْمِجْدُون Armageddon)، فقال في مقابلة متلفزة أجراها معه المذيع الإنجيليّ (جيم بيكر Jim Bakker) عندما كان مُرشَّحاً للرّئاسة عام ١٩٨٠م: «إنَّنا قد نكون الجيل الذي سيشهد معركة هَرْمِجْدُون»[١]!!

وفي تصريحٍ آخر له: «إنَّ هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هَرْمِجْدُون».

تقول الكاتبة الأمريكيّة جريس هالسل (Grace Halsall) في كتابها (النبوءة والسياسة): «أنَّنا نؤمن كمسيحيين بأنَّ تاريخ الإنسانيّة سوف ينتهي بمعركة تُدعى (هَرْمِجْدُون) وأنّ هذه المعركة سوف تُتَوَّجُ بعودة المَسِيح الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حدٍّ سواء».

فنحن نعيش في عصر ظهور المَسِيح وفق رؤية الكنيسة االإِنجِيلِيَّة الحديثة.

عَلاقة الحَركة الصَّهْيُونِيَّة بالحَركة اَلتَّدبِيرِيَّة:

يقول الأستاذ عبد الستار الرّحبو: «لقد استفادت الحَركة الصَّهْيُونِيَّة من هذه الأفكار ودعمتها في سبيل تشجيع الهجرة اليَهُودِيَّة إلى فلسطين، وبالمقابل دعمت الحركة اَلتَّدبِيرِيَّة الحركة الصَّهْيُونِيَّة برغبة تحقيق اَلنُّبُوءَات االإِنجِيلِيَّة وتسريع عودة المَسِيح؛ وبذلك لاقت الهجرة اليَهُودِيَّة إلى فلسطين دعماً مطلقاً من الحركة اَلتَّدبِيرِيَّة، ولاقت

---

(١) يُنظر: مَحْرَقَة هَرْمِجْدُون اَلنَّوَوِيَّة وَعَوْدَةُ المَسِيح، للدكتور عبد السّتار الحاج أسُمير الرّحبو، ص ٣١، دار الكتب العلميّة، بيروت.

الحركة اَلتَّدبِيرِيَّة دعماً مطلقاً من أبواق الإعلام الصَّهيُونيّ»[١].

الحركة الإنجيليّة والبيت الأبيض:

يُعَدُّ رئيسُ وأعضاء الكنيسة الإنجِيلِيَّة الحديثة من كبار مُستشاري البيت الأبيض، وأغلب القرارات التنفيذيّة الأمريكيّة تخرج بتوصيات من هؤلاء المستشارين.

والجدير بالذكر هنا أنَّ هؤلاء المستشارين قد أعدّوا خريطة لتسلسل علامات الظهور - بحسب مُعْتَقَدُهُمْ - وأودعوها في أهمِّ مركزين من مراكز القرار الأمريكي (وزارة الدفاع) و (وزارة الخارجية)، وأوصوا المعنيّين في الوزارتين بتنفيذ بنودها!!

وأمام هذا الحال الذي أصبحت فيه أمريكا تُسيطر على بلاد المسلمين، يستنهض أحد الشعراء إمام العصر عليه السلام، بقوله:

يـا أيُّهـا المَهـديّ هَـذَا حَالُنـا ... مِـن غَاصبيـنَ وبَارجاتٍ تُرسَـلُ
يا مَعـدِنَ الوَحيِ القَويـم وخيرَهُ ... أقـدِمْ فَعهـدُكَ للأنـامِ الأفضـلُ

---

(١) يُنظر: مَحْرَقَة هَرْمِجْدُون اَلنَّوَوِيَّة وَعَوْدَةُ المَسِيح، للدكتور عبد السّتار الحاج أسُمير الرَحبو، ص ٣١، دار الكتب العلميّة، بيروت.

تَفجِيرُ مَرقَد الإِمَامَين العَسكَرِيَّين

في سَامَرَّاء كُلّ شيءٍ يختلف، فهيَ التّاريخ وهي المُستقبل، فيها وُلِدَ أمل المُستضعفين، ومنها انطلقت رحلة الانتِظَار الطويل، ومن المولود فيها استمدَّ أجيال الموطِّئين الأبطال روح المقاومة.

يقول الشاعر محمّد الظّالميّ:

عَلَى أُفُقِ سَامَرَّاء بَدَا كَوْكَبُ اَلسَّعدِ

يُنِير اَلدُّجَى مِن طَلعَةِ القَائِمِ المَهدِيّ

ويقول العلّامة الخطيب محمّد علي اليعقوبي:

خُصَّتْ بِالبِشرِ أَرضُ سَامَرَّاء فَابتَهَجَتْ

بِفَرحَةٍ عَمَّتْ اَلدُّنيَا بِهَا فَرَحا

لقد نجح الغرب بقيادة أمريكا في تركيع أغلب دول العالم بمختلف معتقداتها ومذاهبها إلّا الثُلّةَ المؤمنةَ التي تعتقد بوجوب التَّمهِيد لظهور المولود المبارك في سَامَرَّاء.

ولا تستغرب – عزيزي القارئ – إذا ما علمت أنَّ لواءً كاملاً في الجيش الأمريكي مهمته الخاصّة هي البحث عن شخص الإمام المَهديّ عليه السلام والقبض عليه أينما وُجِد!!!

وأنَّ هدف الأمريكان من غزو العراق ـ غير المُعلن ـ هو القبض على الإمام المَهديّ عليه السلام!!! فقد كانوا يسألون كلّ رجال الدّين المعتقلين لديهم عن علاقتهم بالإمام المَهديّ عليه السلام وما إذا كانوا يلتقون به أو لا!!!

وبعدما فشلوا في العثور على الإمام عليه السلام أوعزوا لعملائهم من الدّواعش بتفجير مرقد الإِمَامَين العسكريّين عليهما السلام[1]!!

وبعد التفجير مباشرة ذهبت فرقة من اللواء المذكور إلى مكان المَرقَدَين، وما أن وصلوا حتّى بادروا بالاستعلام من سَدَنَة المَرقَدَين عن مكان مقبرة المَهديّ ـ مقبرة خاصة بأقارب الإِمَامَين العسكريين ـ ليأخذوا شيئًا من رفات المدفونين هناك؛ لتحليلها بغية معرفة DNA الخاص بعائلة الإمام المَهديّ عليه السلام بهدف الحصول على مزيد من المعلومات عن شخصيته[2].

فما أشبهَ اليومَ بالبارحة، فكما كان العباسيّون ـ أعظم دولة آنذاك ـ يبحثون عن المَهديّ في كُلِّ مكان، وهذه أعظم دولة في العالَم الآن تبحث عن المَهديّ!!!.

ولهذا لا يعود معنى للاستغراب ـ عزيزي القارئ ـ بعد الآن إذا ما سمعت باستثمار أمريكا في قضيّة المَهديّ وشنّ الحروب على المنطقة!!.

---

(١) حصل التفجير في الثالث والعشرين من شهر محرَّم الحرام ١٤٢٧هـ، الموافق للثاني والعشرين من شهر شباط ٢٠٠٦م.

(٢) مقطع قمت بتحريره من محاضرة للشّيخ يوسف النّاصريّ على الفيسبوك.
Https://m.facebook.com/watch/?v=597631648157185&_rdr

وهذا ما يدعونا كمسلمين نؤمن بقضيّة المَهديّ، للنّظر بجدّ في تفعيل مبدأ الانتِظَار العمليّ وبالطّريقة التي نحقّق معها آمال وتطلُّعات شعوبنا والخلاص من هيمنة أمريكا وأذنابها.

وأخيراً:

إنّ يقظة الموطِّئين لمكر الأمريكان وأذنابهم وعملهم الجادّ ضدَّ الوجود الأمريكي بالمنطقة من شأنه إفشال كُلّ مخطَّطات الأمريكان.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ سورة فاطر، الآية: ٤٣.

وأخالُ أنَّ ما أُصيبَت به الشُّعوب المُستضعفة من يأس وإحباط نتيجة سياسة أمريكا الاستعلائيّة والاستغلاليّة، جعلها تزداد إيماناً بأنَّ هذا الوضع لم ولن يصلح إلا بقيام نظام عالمي جديد وعادل، وضرورة مقاومة غطرسة أمريكا وأذنابها حول العالَم.

ولا شكّ في أنَّ النزعة العالميّة للخلاص من الاستبداد هي نزعة فطريّة تلتقي مع السيرة العقلائيّة للمُجتمعات البشريّة ومبدأ الانتِظَار الإيجابيّ وبالتالي مع فلسفة التّشريع الإسلاميّ.

وبنظرة فاحصة لما يدور في العالَم اليوم، نجد أنَّ عُودَ حركات التّحرّر في مختلف البلدان بدأ يشتدُّ ويقوى فأصبحت توجِّهُ الصّفعةَ تلوَ الصّفعة لأمريكا وحلفائها من اليهود وغير اليهود.

واليهود والأمريكان اليوم مرعوبون ومتوترون أكثرَ من أيِّ وقت مضى؛ لأنَّ نبوءاتهم تخبرهم بأنَّ الحدث العالميّ الكبير قادم ويكاد يطرق أبوابهم، وأنَّ دولهم أوشَكت على الزوال.

وإذا كان الأمر هكذا، فنحن ـ كمُسلمين ـ أولى من غيرنا في حمل شُعلة مبدأ الانتِظَار العمليّ (المقاومة)، والعمل على نقلها إلى كافّة شعوب العالَم.

المُقترح الأوّل:

حَوْكَمَة المُؤَسَّسَات الدِّينِيَّة

بما أنَّ المَرجِعِيَّات الدّينيّة متعدِّدة ولكُلٍّ مرجعية رؤيتها الخاصّة حول مفهوم الانتِظَار، وبما أنّها عبارة عن مؤسّسات لها فروع ووكلاء وتنظيمات حول العالَم، ولها موارد ماليّة ومصروفات والتزامات مختلفة.

وبما أنّها لا تَنتَظِم في كيان واحد، فأقتَرِحُ - إنْ كان لي أنْ أقترح - أنْ تجتمع المَرجِعِيَّات الدّينيّة في كيان واحد، وأنْ تخضع جميع مؤسَّساتها لنظام الحَوكَمَة المعمُول به في أغلب أنحاء العالَم.

نِظَامُ الحَوكَمَة:

من المُصطلحات الجديدة التي دخلت قواميس اللُّغة العربيّة حديثاً، مصطلح (الحَوكَمَة) الذي وُضِع في مقابل اللفظ الإنجليزيّ (governance).

وعُرِّفَ نظام الحَوكَمَة بأنّه: مجموعة من القواعد والقوانين والأُسس التي تضبط عمل المؤسّسات، وتُحقِّقُ الرقابة الفعّالة على مجلس إدارتها، وتنظِّمُ العلاقة بينها وبين أصحاب المصالح المختلفة.

وتهدف إلى تحقيق الشفافيّة والعدالة ومُكافحة الفساد.

ونظام الحَوكَمَة (Governance System) من الأنظمة العالميّة المتطوّرة التي تخضع لها الأجهزة الحكوميّة وغير الحكوميّة في الدّول المُتحضرة، التي تنشد التّطور والشفافيّة في عمل مؤسّساتها.

مَجلس إدارة أعلى:

نظراً إلى تعدُّد المَرجِعِيَّات التي ترعى شؤون مُجتمعات الانتِظَار، وتعدُّدِ مسؤولياتها وكثرة مهمّاتِها ووفرة مَداخيلها، ولأنَها لا تنتظم في كيان واحد ـ كما ألمحت ـ، فمِن الضروريّ القيام بعملين إداريّين تُنَظِّمُ شؤونهما بشكلٍ مؤسّسيّ قبل تطبيق نظام الحَوكَمَة على المؤسّسات الدّينيّة:

الأوّل: إنشاء مجلس إدارة أعلى يُشْرِفُ على جميع المَرجِعِيَّات ومؤسّساتها.

الثاني: إنشاء هيئة استشارية للمجلس الأعلى وفي كلّ الحقول العلمية.

وذلك لأنَّ الإدارة أهمّ رُكن من أركان أيِّ مؤسَّسة، ربحيّةً كانت أو غير ربحيَّة.

ينقل الشّيخ آغا بزرگ الطهرانيّ في كتاب: (هدّية الرّازي إلى المُجدِّد الشيرازيّ) عن المرجع السَّيِّد محمّد حسن الشيرازيّ المُلقَّب بالشيرازيّ الأوّل، والشيرازيّ الكبير وبالمجدِّدِ الشيرازيّ أيضاً، قولهُ: «المرجعية مئةُ جزء، جزءٌ منها العِلمُ، وجزءٌ منها العدالة، وثمانيةَ وتسعون إدارة».

ويُروى أنّه حينما أُغْتِيلَ ابنُهُ في سَامَرَّاء في عملية مُدبّرة لإشعال الفِتنَة الطائفيّة، رفض الشيرازي تدخُّلَ سفيري بريطانيا وروسيا في الموضوع، قائلاً لهما: «إنّها مُشكلة بسيطة لا دخلَ لكُمْ بها».

كان ـ رحمه اللّه ـ يحيط عِلماً بما يدور في البلاد، فقد عُرف عنه أنّه كان يجمع حوله المُستشارين ليطّلع على كُلِّ التّطورات في العالَم.

وعليه:

فإنَّ وجودَ مجلس إدارة أعلى وهيئته الاستشاريّة أمر ضروريّ، وبدون ذلك لن يكون نظام الحَوكَمَة فعّالاً.

وبعد إنشاء المجلس والهيئة يتمُّ إخضاع المَرجِعِيَّات ومؤسَّساتِها لنظام الحَوكَمَة وتَطبيق توصياته عليها.

وإذا ما تمّ هذا فسوف يتعرَّفُ مجتمع الانتِظَار على عمل المجلس في ما يقوم به من أعمال في طريق الانتِظَار دوريًّا.

وكيف ما كان فنظام الحَوكَمَة من الأنظمة التي تخضع للتّطوير المستمرّ؛ لأهمّيّته في استمراريّة عمل المؤسّسات بنجاح.

ولكي نتعرَّف أكثر على نظام الحَوكَمَة بصورة أجلى، هذه نبذة مختصرة عن مفهوم الحَوكَمَة، وأهدافها، ومبادئها، وأهمّيَّتها ليتّضحَ لنا بعد ذلك كم هو ضروريّ خضوع المؤسّسات الدّينيّة بكلِّ تفرُّعاتها لنظام الحَوكَمَة.

مفهوم الحَوكَمَة:

مفهوم الحَوكَمَة هو: احتكام المؤسّسات ـ الحكوميّة أو المَدَنِيَّة ـ

ربحيّةً كانت أو غير ربحيّة – إلى نظام رقابيّ شامل، بُغية معرفة مكمن الخلل في أيِّ مفصل من مفاصل المؤسسة في حال حصل تدنٍّ في مستوى عمل المؤسَّسة.

أهداف الحَوكَمَة:

قبل الحديث عن أهداف الحَوكَمَة لابُدّ من الإشارة إلى ضرورة وجود ثلاثة أجهزة في أيِّ مؤسّسة (ربحيّة أو غير ربحيّة)، وهي:

١. الهيئة العامّة أو الجمعية العامّة للمؤسّسة: وهي الجهة الرقابيّة في المؤسَّسة، وهي الجهة التي لها الحقّ في مُسائلة مجلس إدارة المؤسَّسة.

٢. مجلس الإدارة: وهي التي ترعى مصالح المؤسَّسة العُليا وهي الجهة المُناط بها تطبيق نظام الحَوكَمَة.

٣. الإدارة التنفيذيّة: وهي التي تقوم بإدارة المؤسَّسة وتضع الخُطط التطويريّة لها.

ولنِظَام الحَوكَمَة مجموعة أهداف يُمكن تحقيقها في المؤسسات الدّينيّة – كمؤسّسات المرجعيّة الشّيعيّة –، ويمكن تلخيص تلكم الأهداف بما يلي:

- وضع قواعد ومبادئ لإدارة المؤسّسات الدّينيّة وإخضاع أعمالها للرقابة.
- تحقيق العدالة والشفافيّة وضمان حقّ المُساءلة.
- حماية حقوق أصحاب المصلحة في المؤسّسات.

- توزيع الأدوار والمسؤوليّات عبر هياكل تنظيميّة مُحكَمة.
- مُحاربة الفساد بكلِّ أشكاله وممارساته.
- الحدّ من استغلال مسؤولي المؤسَّسة سواءٌ في مجلس الإدارة أو الإدارة التنفيذيّة.
- المُشاركة الحقيقية في عملية اتخاذ القرارات في المؤسَّسة، ورفع حِسّ المسؤولية لدى كُلّ من (الجمعيّة العامّة، ومجلس الإدارة، والإدارة التنفيذيّة)، وأن يكون عملهم قائماً على المهنيّة والقيِم الأخلاقيّة.
- تحسين كفاءة وفعالية المؤسسة وإدارة عمليّاتها واستغلال مواردها وتوظيفها في المجالات التي تُحقِّقُ العائد المأمول على المؤسَّسة والمجتمع، وبما يؤدّي الى تحقيق الغايات والأهداف الاستراتيجيّة لها.
- الاستخدام الأمثل لموارد المؤسَّسة المُتاحة.
- بناء ثقافة مشاركة أعضاء الجمعيّة العامّة في اتخاذ القرارات وعمليات رسم الاستراتيجيّات والسّياسات، وتقييم أداء مجلس الإدارة.
- بناء ثقافة النّزاهة والمُساءلة والشفافيّة ووضع أُسس لتحديد مسؤولية قياس الإنجاز والنتائج.
- بناء ما يضمن توثيق الإجراءات والأنظمة وتحديد الحقوق والمسؤوليّات والصلاحيّات والعلاقات في أُطرٍ واضحة.

- بناء ثقافة تنمية الولاء المؤسّسيّ والشّعور بالمسؤوليّة نحو تحقيق الأهداف الاستراتيجيّة.
- تحسين الصّورة الذهنيّة للمؤسّسة أمام أفراد المجتمع.
- إشراك المُجتمع في مساءلة المؤسسة.
- تمكين الجهات المُختصة من إجراء أبحاث لنشر المعرفة حول المؤسَّسة.

مبادئ الحَوكَمَة:

بعد أنْ عرفنا أهداف نظام الحَوكَمَة يأتي الدور للتعرّف على مبادئ الحَوكَمَة العامّة:

أوّلاً: الشفافيّة: والمُراد من الشفافيّة ـ هنا ـ عدّة أمور:

١. الوضوح: أي عدم الغموض بشأن هيكل المؤسَّسة وعمليّاتها وأدائها، خارجيًّا وداخليًّا.

٢. تمكين أعضاء الجمعيّة العامّة والمجتمع بشكلٍ عامّ، من الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها دون عناء.

٣. الانفتاح: أي رفع السّرّيّة أو الغموض عن البيانات والنتائج الخاصّة بالمؤسَّسة، وجعلها متاحةً لمن يُريد الاطلاع عليها، سواءٌ بالنشر على الموقع الإلكتروني للمؤسَّسة أو من خلال أيِّ طريقة أخرى.

٤. الإفصاح: ويعني إلزام أعضاء الجمعيّة العموميّة ومجلس

الإدارة والإدارة التنفيذيّة بالإظهار والكشف عن وجود أي مصلحة شخصيّة ماديّة مع المؤسسة قد تؤثّرُ في اتّخاذ القرار، وهو ما يُعرف بتعارض المصالح.

ثانياً: المُساءلة: وهي عملية رقابيّة يتمُّ من خلالها مواجهة الشّخص بما قام به من أفعال أو إجراءات أو قرارات، ليقدِّمَ تفسيراً لها، وللسّبب الذي دعاه للقيام بها، وبناءً على ذلك يتمُّ اتخاذ إجراءات مُعيَّنة بحقِّهِ.

ثالثاً: الإشراف: وهو عملية التّوجيه والرقابة على جميع الأنشطة الإداريّة والفنيّة التي تتمُّ داخل المؤسَّسة بهدف تحقيق أكبر قدر من الإنجاز والإنتاجيّة، وتوجيه الأنشطة نحو الغايات المطلوبة.

رابعاً: النّزاهة: وهي الاستقامة والتّرفّع عن النّقائص، وتتضمَّنُ مجموعة من القيم المتعلِّقة بالصّدق والأمانة والإخلاص، والالتزام بالسلوك القويم.

أهَمِيَّة الحَوكَمَة:

تأتي أهَميَّة حَوكمة المؤسّسات الدّينيّة للأسباب التالية:

- لتعزيز ثقة المُجتمع بالمؤسَّسة، وزيادة المصداقيّة الاجتماعيّة لها، كما تعزز الحَوكَمَة الاعتراف بالمؤسَّسة كواحدة من المؤسّسات الجيدة.
- لتعزيز مستويات الاستدامة لدى المؤسَّسة، بما في ذلك الاستدامة الماليّة واستدامة الأنشطة والخدمات.
- لمنع عمليات التّلاعب والاحتيال من قبل الإدارة العُليا، وما

ينجم عن ذلك من خسائر ماديّة ومعنويّة، واضطراب في ثقة المجتمع بالمؤسَّسة.

- لضمان سلامة الإدارة، وتحقيق الشفافيّة، والاستجابة لتطوّر المناهج الإداريّة العالميّة والمحليّة.

تَعزيز حَوكَمَة المُؤَسَّسات الدّينيّة:

لكي يكون نظام الحَوكَمَة فعّالاً ويُعطيَ نتائجَ إيجابيّة لابُدّ من تَحقُّق ثلاثة أشياء في بُنية المؤسَّسات الدّينيّة، وهي:

١. بناء وتعزيز الرّقابة الداخليّة، من خلال تأسيس وحدة خاصّة بالرقابة الداخليّة والمُراجعة والمُتابعة، تتولّى مراجعة القرارات المختلفة والتأكّد من توافقها مع الصلاحيّات والمسؤوليّات المعتمدة.

٢. إخضاع أنشطة المؤسَّسة لرقابة طرف ثالث مستقل ومُتخصّص بالرَّقابة والتَّدقيق، للقيام بأعمال الرّقابة المُجدوَلة وغير المُجدوَلة بما فيها الرّقابة المُفاجئة.

٣. غرس مفاهيم الحَوكَمَة في نفوس العاملين في المؤسسة على كافة المستويات الإداريّة والفنيّة والاستشاريّة.

لماذا الحَوكَمَة؟

إذا ما غاب نظام الحَوكَمَة في المؤسَّسات الدّينيّة فستحصل أمور سلبيّة كثيرة جدّاً ويُصبِحُ من الصعب السيطرة عليها، ومنها:

١. الفساد الإداريّ والماليّ.

٢. الشّلليّة والتحزبّات.

٣. الصراعات الداخليّة وغياب الولاء والانتماء للمؤسّسة.

٤. انتهاك الحقوق والاستيلاء عليها.

٥. هدر الوقت والموارد الأخرى.

٦. الفوضى وضعف التنظيم الإداريّ.

٧. تّدني مستوى الخدمة.

٨. ضعف أداء العاملين والوحدات التنظيميّة.

٩. تراجع حجم المُخرجات والنّتائج.

١٠. هيمنة الطرف الأقوى على مراكز صنع القرار.

١١. تعاظم حجم المخاطر وزيادة شدّتها وتأثيرها السلبيّ.

١٢. الإهمال والتهرّب من المسؤوليّة عند التّقصير والأخطاء.

١٣. صعوبة عملية الرّقابة والتّدقيق.

١٤. فشل الخطط وتعذّر الوصول إلى الأهداف المنشودة.

١٥. استنزاف ميزانيّة المؤسّسة وتهديد استمراريّتها واستدامة عملها.

١٦. هروب الكفاءات العالية.

١٧. الترهّل الإداريّ.

١٨. عرقلة انسياب وتدفق المعلومات وضعف وصول التّوجيهات.

المُقترح الثانيْ:

أهَميَّة التّمهِيد المؤسَّسيْ

(بِنَا يُختَمُ اَلدِّينَ كَمَا بِنَا فُتِحَ، وَبِنَا يُسْتَنقَذُونَ مِن ضَلاَلَةِ الفِتَنِ كَمَا اُستُنقِذُوا مِن ضَلاَلَةِ الشِّركِ، وَبِنَا يُؤَلِّفُ اَللَّهُ بَينَ قُلُوبِهِم فِي الدِّينِ بَعدَ عَدَاوَةِ اَلفِتنَةِ كَمَا أَلَّفَ بَينَ قُلُوبِهِم وَدِينِهِم بَعدَ عَدَاوَةِ اَلشِّركِ)[1]

النَّبيّ الأكرَم ﷺ

انتهينا إلى أنَّ التَّمهِيد من الواجبات التكليفية، فإمّا أن يؤدي المُكلّف واجب التَّمهِيد بشكل فرديّ أو بشكلٍ مؤسسيّ، ولا شكّ أنّ التَّمهِيد المؤسَّسيّ تكون نتائجُهُ مثمرةً أكثرَ من التَّمهِيد الفردي.

ومن أمثلة التَّمهِيد المؤسَّسيّ:

- ما تقوم به الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية باعتبارها دولة قائمة لها دستور ونظام.
- ما تقوم به الحركات الإسلاميّة التي تنتظم في عمل حزبيّ أو حركيّ.

---

(١) الملاحم والفتن، لابن طاووس، ج ١، ص ٣١٥.

وحديثنا ـ هنا ـ لن يكون حول تمهيد الجمهورية ولا تمهيد الحركات الإسلاميّة، وإنما الحديث حول كيفية جعل التَّمهِيد عملاً مؤسَّسيًّا في المجتمعات الشّيعيّة المنتشرة حول العالم التي لا تجمعها حركات أو تنظيمات حزبيّة موطِئة.

وما دام الحال هكذا فلا يمكن للمُكلّفين القيام بواجب التَّمهِيد بشكل مؤسَّسيّ إلّا إذا تمّ جمع المؤسَّسات الشّيعيّة حول العالَم في كيان مؤسَّسيّ واحد.

وواقع الحال هو أنّ الدول التي يتواجد فيها الشيعة تضمّ داخلها في الغالب العديد من المراكز الدّينيّة بلا أيِّ رابط يجمعها.

وأخالُ أنَّ السبَبَ يرجعُ إلى تعدُّدِ المَرجِعِيَّات الدّينيّة.

والسؤال: هل بالإمكان جمع هذه المراكز في كيان مؤسَّسيّ واحد؟ وكيف؟

سيتَّضِحُ الجواب بعد أن نُعيد صياغة السّؤال بطريقة تتناسب مع موضوع الدّراسة:

ماذا ينتظر منَّا الإمام كمُجتمعات لا يضُمُّها كيان سياسيّ واحد؟!

الجواب باختصار شديد: ينتظر منّا العمل على نَظم أمرِنا!!

جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: «أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهلِي وَمَن بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقوَى اللّهِ، وَنَظمِ أَمرِكُمْ»[1].

(١) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسيّ، ج ٤٢، ص ٢٥٦.

فنَظم الأمر يضمن سلامة الوصول إلى الهدف وبأقصر الطّرق وأسرعها، ويعطي أفضل النّتائج.

والسؤال: كَيْفَ نُنَظِّم أَمْرُنَا؟

في ظلِّ تعدُّدِ المَرجِعِيَّات وتعدُّد المؤسَّسات التابعة لها، وفي ظلِّ كثرةِ وكلاء المَرجِعِيَّات لن ينتظم أمرنا إلّا إذا كانت رؤيةُ المَرجِعِيَّات عالميَّةً، كعالميّة الحكومة الإسلاميّة المنتظَرة.

ولن تتحقَّقَ هذه الرؤية إلّا إذا تخلَّصت المَرجِعِيَّات من الرؤية المحلّيّة الضّيّقة، ولن تتحقَّقَ الرؤية إلّا إذا انتظم أمرُ المَرجِعِيَّات في مؤسسة عالميَّة تجمعها، كالمنظَّمات العالميّة الموزَّعة حول العالَم.

يقول الشّيخ حسن الصّفار: «من المؤسف أن تبقى بين المسلمين وبين هذه الرّؤى هذه المسافة الكبيرة، فالرؤية العالميّة ما زالت محدودة في مجتمعاتنا وفي أفكارنا، تُسيطر علينا الرؤية المحلّية والذاتيّة، لا يشغلنا ما يحدث من حولنا حتّى للأقربين منّا، بينما نجد المجتمعات الغربيّة قد تجاوزت المسألة المحلّية وانطلقت للعالميّة، حاملة مسؤوليات عالميّة، ففي الغرب اليوم مؤسَّسات تعمل على مستوى البشريّة كهيئات الأُمم المتحدة وأطبّاء بلا حدود التي تهتمُّ بالمناطق المنكوبة المُصابة بالكوارث وتبعث الأطبّاء للعلاج فيها، ومنظّمة العفو الدوليّة التي تدافع عن المعتقلين في أيّ مكان بَغضِّ النّظر عن أعراقهم وجنسيّاتهم وأديانهم.

يجب علينا ـ كمسلمين ـ أن نخجل من أنفُسنا ونحن نرَى جمعيات ومؤسَّسات من اليابان وأمريكا وأوروبا تعمل على مستوى كونيّ،

ونحن منشغلون بالحاجات الشخصيّة الضيّقة، بل بالكاد نتحمل مسؤولية قريتنا.

يجب أن نرتقيَ باهتماماتنا وتطلُّعاتنا، فنحن نؤمن بمُصلح عالَميٍّ سيملأُ الأرضَ عدلاً وقسطاً»[1].

سأشير إلى أبرز مؤسَّستين عالَميّتينِ تُذكران هنا كمثال: إحداهما ذات طابع سياسيّ، والأُخرى ذات طابع دينيّ، وهما:

- مُنَظَّمَة الأُمَم المُتَّحِدَة، كَمُنَظَّمَة سِيَاسِيَّة.
- وحاضِرة الفاتيكان، كمؤسَّسة دِيْنِيّة.

ففي ضوء تجربة المُنظَّمة والحَاضرة يمكن تأسيس منظُّمة ترعى شؤون الشّيعة حول العالَم وفق مبادئ الإسلام والبنود التي يُتَّفقُ عليها، ومن البنود التي اقترحها، - إن كان لي أن أقترح -:

- أن يكون مقرّ المُنظّمة في النّجف الأشرف باعتبارها مركز التّشيُّع الأوّل بالعالَم.
- وأن تضمَّ المُنظّمة في عضويّتها جميع المراكز الدّينيّة حول العالَم.
- وأن يكون للمُنظّمة جمعيّة عموميّة تعقد سنويًّا.
- وأن يكون لها نظام داخلي يتوافق مع مبادئنا وعقائدنا.

---

(١) من محاضرة للشّيخ حسَن الصّفار ألقاها في أحد مآتم البحرين، ليلة الخميس ١٥/٨/١٤٢٨هـ.

- وأن تضمُّ الجمعيّة العموميّة ممثِّلين عن جميع المراكز.
- وأن يكون للمُنظّمة الدوائر التالية:

١. دائرة الماليّة والمُحاسبة.

٢. دائرة شؤون المُوظّفين.

٣. دائرة المراقبة والإشراف.

- وأن يكون للمُنظّمة مجلس إدارة أعلى مُنتخب من أعضاء الجمعيّة العموميّة لمدة زمنيّة محدّدة، ومهمَّتُهُ الرّقابة والإشراف على عمل رئيس وأعضاء الإدارة التنفيذيّة ومتابعة إنجازاتها، ورسم السّياسات العامّة للمُنظّمة؛ لضمان استمراريتها من جهة، وضمان موافقتها للمبادئ الشّرعيّة من جهة ثانية، والموافقة على مشروع ميزانيّة المُنظّمة السنويّ الذي تقترحه الإدارة التنفيذيّة.
- أن يكون رئيسُ المجلس فقيهاً مجتهداً مثاليًّا ومنتخباً من أعضاء الجمعية العمومية، وأن يتميَّز بالمِّيزات التالية:

١. ذو تجربة إداريّة ناجحة (حوزة أو جامعة).

٢. مُلمّ بالحضارات العالميّة المُختلفة، وعلى دراية واسعة بعلوم التاريخ، والسياسة، والاجتماع، والإدارة.

٣. مواكب لما يطرحه الغرب والشرق من أبحاث حول الشّيعة والتّشيُّع والمَهديّ.

٤. قادر على فهم وتحليل خطط ساسة الغرب الرامية إلى عرقلة

مسيرة الانتِظَار العمليّ.

- لابُدّ أن يضمَّ المجلس في عضويته:

١. فقهاء مجتهدون موسوعيين.

٢. قانونيون ملمُّون بالقانون الدوليّ.

٣. إداريُون ناجحون.

٤. رجال الأعمال الداعمون للمُنظّمة.

٥. مختصّون بعلم السياسة الدولية.

٦. مختصّون بعِلمِ الاجتماع.

- لابُدّ أن يكون رئيس وأعضاء الإدارة التنفيذيّة مُنتخبين ومن أصحاب الشهادات العُليا في عِلم الإدارة والاقتصاد حَصراً، ولابُدّ من أن يتمتعوا بسيرة حسنة في أوساط المجتمع.

- لابُدّ من إفصاح جميع مسؤولي المُنظّمة عن جميع مُمتلكاتهم قبل استلام وظائفهم.

وفوق كلّ هذا وذاك لابُدّ من أن تخضع المُنظّمة ومجلس إدارتها وجميع مؤسساتها وكوادرها لنظام الحَوكَمَة العالميّ.

وإذا ما تمّ هذا المشروع الكبير فسيكون نقلةً نوعيّةً في عمل المؤسَّسات الدّينيّة وسينعكس إيجاباً على المجتمعات الشّيعيّة أينما وجودت، وحتماً سيكون دورهم كموطِّئين منظّماً وفعّالاً في دعم ورفد مؤسَّسات المُنظّمة.

فهكذا دعمٌ مُنظّمٌ وفعّالٌ يُعَدُّ - بلا ريب - لوناً من ألوان التَّمهِيد المؤسَّسيّ.

وإذا ما تمّ هذا فسيكون للقائد المنتظر موطّئون مُنظّمون واعون في جميع أنحاء العالَم.

ولكن يبقى السّؤال:

ماذا ينتظر منّا الإمام كأفراد نعيش في مجتمعات مختلفة جغرافيًّا ما لم يتحقَّق حلم إنشاء هكذا مُنظّمة جامعة؟! هل سيتوقف دورنا كأفراد؟!

الجواب: قطعاً لن يتوقف؛ لأنَّ التَّمهِيد من الواجبات التكليفيّة بوجود المُنظّمة وبدونها.

فالإمام ينتظر منّا عليه السلام في هذه الحالة عدَّةَ أمور، ومنها:

١. أن نكون بمستوى الرسالة والمسؤولية المُلقاة على عاتقنا.

٢. تهيئةَ أنفُسنا وتهذيبها.

٣. التكاتفُ في ما بيننا ونبذ الفُرقة وتنقية صفوفِنا من الاختراقات.

٤. كشفُ المنافقين ومواجهة نفاقهم.

٥. كشف مُدّعي المهدويّة.

٦. نشر فكرة إنشاء المُنظّمة بلا يأس ولا كلل[1].

---

(١) يُنقَلُ أنّ الشّيخ محمد رضا المُظفر (رض) عند إنشائه كُلّيّة الفقه بالنجف الأشرف كان قد واجه صعوباتٍ واعتراضاتٍ لا حصرَ لها إلّا أنّه لم يفقد الأمل إلى أن أسَّسها بجهوده الذاتيّة، ونقل لي السيد طالب الرفاعيّ (حفظه اللّه) أنّ الشّيخ المُظفر (رض) عندما حضرتهُ الوفاةُ كان يقول لطلبته: «أنا قمتُ بأداء رسالتي في الحياة والباقي عليكم».

٧. نشر ثقافة الانتِظَار العمليّ.

٨. أن نُمهِّدَ للظّهور المُبارك كلاً حسب وضعه الاجتماعيّ.

٩. ألا نيأس من طول الانتِظَار.

١٠. أن نكون مُثقَّفين مُتسلِّحين بالوعيّ الدّينيّ والسّياسيّ والإعلاميّ.

وينتظر منّا اليقظةَ والاستعدادَ لكلّ أشكال المواجهة مع أعدائه، وامتلاكَ عناصر القُوّة، والحفاظ عليها، وعدم التفريط بها.

وينتظر منّا الإعداد الروحيّ والعسكريّ لمساندته ومواجهة أعدائه.

وأخيراً.

عندما نتخصَّصُ كفقهاء يجب أن نعيَ حجمَ المسؤولية وخطورتها، فلابُدّ حينئذٍ من أن نكون فقهاء مجتهدين موسوعيّين موطّئين، أي أن نكون مجتهدين مثاليّين بحسب تعبير الشّيخ جنّاتيّ، لأنَّ المُجتمع الشّيعيّ ينظر لرجل الدّين كقائد وزعيم شئنا أم أبينا.

وعلى المؤمنين بقضيّة الإمام المَهديّ عليه السلام أن يحافظوا على الوحدة الإسلاميّة وأن لا يسمحوا للعدو أن يشقّ صفوفهم.

والحمدُ للّه ربِّ العالمين.

الملحق:

أدب الانتِظَار

لِـكُلِّ أُنَـاسٍ دَوْلَـةٌ يَرْقُبُونَهَـا وَدَوْلَتُنَـا فِي آخِرِ الدَّهْـرِ تَظْهَرُ[1]

لا يخفى عليك ـ عزيزي القارئ ـ أنَّ الشعر في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام كان أبرز وسيلة إعلاميّة واستمرّ إلى أنْ ظهرت وسائل الإعلام الحديثة.

وكان لكُلٍّ من السُّلطة والمُعارضة شعراؤُهُم الخاصّون، ففي العصر الأموي ـ على سبيل المثال ـ كان الأخطل وجرير يمثِّلان جانب السُّلطة، والكُميت الأسديّ كان يُمثِّل العلويّين، وعبيد اللّه بن قيس الرّقيات يُمثِّل الزبيريّين، والطُّرمّاح بن الحكيم وكعب بن عميرة يمثِّلان الخوارج.

ولهذا كان الشعراء يحظون بمكانة عالية بصفة عامّة، كما أنَّ الشّعراء الموالين لأهل البيت يحظَونَ بتقديرٍ خاصٍّ من الأئمّة عليهم السلام.

رُويَ عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قوله: «مَنْ قَالَ فِينَا بَيتاً من الشعر بَنَى اللّه لهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ»[2].

---

(١) رُويَ أنَّ الإمام الصادق عليه السلام كان يستبشر بدولة الإمام المهديّ عليه السلام وكثيراً ما كان يُردد هذا البيت، يُنظرُ: ينابيع المودَّة، ج٢، ص ٢٣٩.

(٢) يُنظرُ: الكوكب الدُّريّ من شعراء الغريّ، للأستاذ مُحسن عقيل، ص ٦.

ويُعَدُّ الشعر العربيُّ أحد أهمّ الوثائق التّاريخيّة التي يركن لها الباحثون في الظواهر والقضايا قديماً.

ولهذا كانت القصائد التي فيها ذكر للإمام المَهديّ عليه السلام تُعتبرُ وثيقةً هامّة ودليلاً على ولادته وغيبته وانتظار المسلمين لظهوره المبارك.

ولهذا ارتأيت أن أُخصِّصَ فصلاً خاصَّاً للشّعر المُتضمّن ذكر الإمام المَهديّ عليه السلام.

وأيًّا يكن فكلّ ما كُتِبَ نثراً أو نُظم شعراً في قضيّة الإمام المَهديّ عليه السلام - في تصوري - يصبُ في مفهوم مبدأ الانتِظَار ويُسهم في التّمهيد لظهوره عليه السلام.

يقول الدكتور أحمد السعد الأستاذ في كُلّيَة الآداب بجامعة البصرة: «لقد ساهم شعراء أهل البيت عليهم السلام في رفد الأدب العربيّ بالقصائد والمقطوعات المتضمِّنة لسيرة الإمام المَهديّ المنتظر عليه السلام، فقد وضع أُولئك الشعراء بين أيدينا صورةً واضحةً عن سلوك هذا المُصلح المَهديّ عليه السلام ودوره في بناء المجتمع الإسلاميّ، وإرساء قواعد الفكر الأصيل، وتشويق النّاس إلى الأدب الرفيع، وحثِّهم على السيرة الصالحة، وما فيها من الأبعاد الأخلاقيّة والعقائديَّة والسّياسيّة»[1].

وإذا ما تتبعنا ما نُظِمَ من شعر حول الإمام المَهديّ عليه السلام ودولته العالميّة سنجد أن بداية النَظم في هذا اللون من الشعر كانت في عهد النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) بحث مشارك في مسابقة خاتم الأوصياء عليه السلام للإبداع الفكريّ وحاز على المركز الرابع.

ولا نبالغ إذا ما قُلنا بإنَّ ما نُظِمَ من شعر حول القضيّة المهدويّة بصورة عامّة، قبل زمن الغيبة وما بعدها من الصعوبة بمكان حصرُهُ، بسبب وفرته من جانب وتناثره بين أبيات القصائد من جانب آخر، وربما لا يفوقه بالوفرةِ إلّا ما نُظمَ حول فاجعة الطّف الأليمة.

وكيف ما كان، لا يمنع هذا من ذكر بعض شُعراء الانتِظَار عبر التاريخ الإسلاميّ مع نماذج من شعرهم.

أبو الطُّفيل عامر بن واثلة الكنانيّ (ت ١٠٢هـ):

كنتُ قد كتبتُ دراسة مفصَّلَةً عن حياة وشعر الصحابي الجليل أبي الطفيل (رض)[1] وجدت من خلالها أنَّ أبا الطُّفيل كان من أوائل الشعراء الذين ضمّنوا قصائدهم أبياتاً تُشير إلى دولة الحقّ المُباركة، ومنها قوله:

فَلاَ تَجزَعُوا إنْ أعقبَ الدهرُ نكبَةً ... وَمسَتْ مَنَايَاكُمْ قَرِيباً بَعِيدُهَا
فَإنَّ لأهْلِ الحَقّ لاَ بُدّ دَوْلَةً ... عَلَى النَّاسِ يُرْجَى وَعدُهَا وَوَعِيدُهَا

ويُروى أنَّ الإمام الصادق عليه السلام استشهد بهذا البيت، فقد روى الكشي في رجاله وابن عساكر في تاريخه، واللفظ للأول: «عن شهاب بن عبد ربه، قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: كيف أصبحت جُعلتُ فداك؟ قال: أصبحت أقول كما قال أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، يقول:

فَإن لأهلِ الحَقّ لاَ بُدّ دَوْلَةً ... عَلَى النَّاسِ يُرجَى وَعدُهَا وَوَعِيدُهَا

---

(١) أبو الطُّفيل شاعر صفّين وفارسها، للمؤلّف، دار الولاء للنّشر، بيروت ٢٠١٨م.

ثم قال: أنا واللّه ممن يرجي ويرقب»[١].

الكميت بن زيد الأسديّ (ت ١٢٦هـ):

روى الخزّاز القُمّيّ بسنده عن الكميت، قوله: «دخلت على سيّدي أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، فقلت: يا بن رسول اللّه، إنّي قد قلت فيكم أبياتاً، أفتأذن لي في إنشادها؟، قال فيها:

أَضْحَكَنـي الدَّهـرُ وأَبْكانـي والدَّهـرُ ذو صَـرفٍ وأَلـوانِ
لِتِسـعةٍ فـي الطَّـفِّ قد غُـودِرُوا صَـارُوا جميعـاً رَهـنَ أَكفـانِ

فبكى الإمام الباقر عليه السلام وبكى الجميع، حتَّى وصل الكميت لذكر الإمام الحجَّة عليه السلام، قائلاً:

مَـتَـى يَـقُـومُ الـحَـقُّ فِيكُمْ مَتَـى يَقُـومُ مَهدِيُّكُـمُ الثَانِـي؟

فقال الإمام الباقر عليه السلام: «سريعاً إنْ شاء اللّه يا أبا المُستهل.. إنَّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام»[٢].

الورد بن زيد الأسديّ (ت ١٤٠هـ):

يُعَدُّ الورد بن زيد كأخيه الكميت في شدة ولائه وإخلاصه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وقد تشرف بمقابلة الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام وتلا عليه قصيدته التي مدَحَ فيها الإمام وعرض في آخرها إلى الإمام المنتظر عليه السلام قائلاً:

---

(١) رجال الكشّيّ، للشّيخ الطوسيّ، تحقيق جواد الأصفهانيّ، رقم ١٤٩، ص ٩٠، مكتبة النشر الإسلاميّ، جماعة المُدرسين، قُمّ.

(٢) كفاية الأثر، للخزّاز القُمّيّ، ص ٢٤٨.

مَتَى الوَلِيدُ بِسَامَرَّاء إِذَا بُنِيَتْ يَبْدُو كَمِثْلِ شِهَابِ اللَّيْلِ طِلَاعِ
حَتَّى إِذَا قَذَفَتْ أَرْضُ العِرَاقِ بِهِ إِلَى الحِجَازِ أَنَاخُوهُ بِجَعجَاعِ

واللافت في هذه القصيدة أنّ الورد قد ذكر محلّ ولادة الإمام المنتظر عليه السلام.

السَّيِّد إسماعيل السَّيِّد الحِمْيَرِيّ (ت ١٧٩ هـ):

رُوِيَ أنّ الإمام الصادق عليه السلام لقي السَّيِّد الحِمْيَرِيّ ذات يوم، فقال له: «سمّتك أُمّك سيّداً، ووفِّقت في ذلك، وأنت سيّدُ الشعراء»[1].

يقول السَّيِّد الحِمْيَرِيّ (رض) وهو يصف أنصار الإمام المَهديّ عليه السلام حين ظهوره:

فِي عُصبَةٍ حَولَ مَهدِيّ يَسِيرُ مِن بطنِ مَكّة رُكباناً وَمَاشِينَا
لَيسُوا يُرِيدُونَ إلّا اللّه رَبَّهم نِعمَ المُرادُ تَوخّاه المُرِيدُونَا

العبديّ الكوفيّ (مُعاصر للسّيّد الحِمْيَرِيّ):

عُدَّ الشاعر العبديّ الكوفيّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وله قصيدة شهيرة يمدح فيها الإمام عليًّا عليه السلام ويذكر الأئمَّة عليهم السلام من بعده إلى الإمام المَهديّ عليه السلام.

والعسكريَّينِ وَالمَهديُّ قَائمُهم ذو الأمرِ لابسُ أثواب الهُدى القشبِ
مَنْ يملأُ الأرضَ عدلاً بعدما مُلئتْ جوراً ويقمع أهلَ الزَّيغِ والشَّغَبِ

---

(١) أعيان الشّيعة، للسّيد الأمين، ج ٣، ص ٤٠٦.

عليّ الخوافيّ (مُعاصر للإمام الرّضا عليه السلام):

عندما تُوفّي الإمام الرّضا عليه السلام رثاهُ شاعرنا بقصيدة ذكر فيها الإمام الحُجَّة عليه السلام، وتمنَّى خروجه وإقامة دولة الحقِّ والإصلاح، قائلاً:

في كلِّ عَصرٍ لكمُ منَّا إمام هُدى ... فربعــهُ آهــلٌ منكــم ومأنــوسُ
حتَّى متى يظهر الحقُّ المنيرُ بكم ... فَالحقُّ في غَيركُم دَاجٍ ومَطمُوسُ

دِعبِلُ الخُزَاعِيّ (ت ٢٢٠هـ):

لشاعرنا الكبير الخزاعيّ تائيّة خالدة أشار في أحد أبياتها للقضيّة المهدويّة وهو في محضر الإمام الرضا عليه السلام، بقوله:

فَلَولا الَّذِي أَرجُوه في اليوم أَو غدٍ ... تَقطَّعَ نَفسي إثرَهمْ حَسَراتِ
خُروجُ إِمامٍ لا مَحالَةَ خارجٌ ... يَقُومُ عَلَى اسمِ اللّهِ وَالبَرَكاتِ
يُمَيّزُ فينا كلَّ حَقٍّ وباطلٍ ... ويُجزِي على النَّعمَاءِ والنَّقِماتِ

محمّد بن إسماعيل الصيمريّ (ت ٢٥٥هـ):

أحد أصحاب الإمام عليّ الهادي عليه السلام، كان أديباً، شاعراً.

ومن شعره قصيدة يرثي بها الإمام الهادي عليه السلام ويعزي بها ابنه الإمام العسكري عليه السلام، يقول فيها:

وبَعْدَهُ مَن يُرتَجى طُلُوعُهُ ... يَظَلُّ جَوَّابَ الفَلاَ جِزالَها
ذو الغَيْبَتَيْنِ الطُّوَّلِ الحقِّ التي ... لا يَقبَلُ اللّهُ مَنِ استطالَها
يا حُجَجَ الرَّحمنِ إحدى عشرةٍ ... آلت فثاني عَشْرِها آمالها

أَبو تَمّام الطائيّ (ت ٢٣١هـ):

أَبو تَمّام الطائي أشهر من أن يُعرَّف، ذكر في أحد قصائده الإمام القائم عليه السلام، بقوله:

والزَّكيُّ الإمـامُ مَعْ نجله القا ـئِـمِ مَولـى الأنـامِ نُـورِ الظَّـلامِ

عليّ بن العباس المعروف بابن الرومـيّ (ت ٢٨٣هـ):

لابن الروميّ قصيدة يُصوِّر فيها مظالم بني العبّاس وما جَنَوهُ على الأُمَّة المحمَّديَّة، ويُبشِّر بانقراض دولتهم وإقامة دولة الحقِّ على يد الإمام المَهديّ المنتظر عليه السلام الذي رمز إليه بـ (الثائر في منطوى الغيب) بسبب الأوضاع الصعبة آنذاك، يقول ابن الرومي:

لعلَّ لهم في مُنطوى الغيبِ ثائراً أَفـ ـسيسمو لكم والصُّبحُ في اللَّيلِ مُولَجُ
فيُـدرِكُ ثـارَ اللّـهِ أنصـارُ دينِـهِ وللّـهِ أوسٌ آخـرونَ وخَـزرَجُ

أبو فراس الحمدانيّ (ت ٣٥٧هـ):

لشاعرنا الشهير مقطوعة مؤلَّفة من سبعة أبيات، ذكر فيها الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام وعدَّد ألقابهم، ومنها هذا البيت الذي يشير فيه للقائم المنتظر عليه السلام:

وَابنِهِ العَسكَرِيِّ وَالقائِمِ المُظـ ـهِرِ حَقَّ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ

الصّاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ):

للصّاحب بن عبّاد قصيدة تنمُّ عن ارتكاز مفهوم الانتِظَار الإيجابيّ العمليّ لديه، ومنها هذان البيتان:

بمحمَّــدٍ وَوَصيِّــهِ وابْنَيهِمــا وبعابِــدٍ وبباقِرَيــنِ وكاظِــمِ
ثــمَّ الرِّضــا ومحمَّــدٍ ثــمَّ ابنِــهِ والعســكريِّ المُتَّقــي والقائِــمِ

مُحيي الدّين بن عربي (ت ٦٣٨هـ):

لابن عربي هذان البيتان:

إذا دارَ الـزمانُ عـلى حـروفٍ بِـبـسم اللّهِ .. فـالمَهديُّ قـاما
ويَـخرجُ بـالحَطيمِ عَـقيبَ صومٍ ألاَ فأَقرئه مِن عندي السَّلاما

وهذه الأبيات:

أَلا إنَّ خَتمَ الأَوْلِيـاءِ شَـهيـدٌ وَعَيْــنُ إمــامِ العالَميــنَ فَقيــدُ
هُوَ السَّيِّدُ المَهْدِيُّ مِن آلِ أحـمَدٍ هُوَ الصّارِمُ الهِندِيُّ حينَ يَبيدُ
هُوَ الشَّمسُ يَجلوُ كُلَّ غَمٍّ وَظُلمَةٍ هُوَ الوابِلُ الوسميُّ حينَ يَجُودُ

ابن أبي الحديد المُعتزليّ (ت ٦٥٦هـ):

لابن أبي الحديد هذه الأبيات:

ورأيــتُ ديــنَ الاعتزال وإنّني أهوَى لأجلكَ كلّ من يتشيّعُ
وَلقد علمــتُ بأنّــه لابُدَّ مِـن مَهــديّكم وليـومــهِ أتوَقَّــعُ

يَحميهِ من جُندِ الإلـه كتائـبٌ كاليـمِّ أقبـلَ زاخِـراً يتدفّـعُ

الشّيخ الخطّيّ (ت ١٠٢٨هـ):

اشتهر الشّيخ جعفر الخطّيّ المُلّقب بأبي البحر بقصائده الهادفة، ومنها قصيدة يمدح فيها الإمام المَهديّ عليه السلام يقول فيها:

أبَا القاسمِ انهضْ واشفِ غلَّ عِصَابةٍ قضَى وَطَراً من ظُلمِها كلُّ كَفَّارِ
إلاَ مَ وحَتَّى مَ المُنى وَانتظارُنا سَحَائبَ قد أظلَلنَ دُونَ أمطَارِ

الشّيخ البهائيّ (ت ١٠٣١هـ):

الشّيخ البهائي أشهر من أن يُعرَّف، له العديد من القصائد في مدح أهل البيت عليهم السلام، ومنها هذه الأبيات التي يستنهض فيها الإمام المنتظر عليه السلام:

وَعَجّل فَدَاكَ العَالِمُونَ بِأَسرِهِمْ وَبَادر عَلَى اسمِ اَللَّهِ مِن غَيرِ أَنظَارِ
وَخلّص عبادَ اللّهِ مِن كلِّ غاشمٍ وطهِّر بِلادَ اللّهِ مِن كُلِّ كَفَارِ

السّيّد حيدر الحلّيّ (ت ١٣٠٤هـ):

يقول السَّيِّد الحلّي وهو يستنهض الإمام المنتظر عليه السلام:

مَاتَ التصبُّرُ في انتِظَارِك أيُّهَا المُحيِي الشَّريعَة
فَانهَض فَما أبقى التحمُّل غيرَ أحشاءٍ جَزُوعَة

الشّيخ عليّ الصّحاف الإحسائيّ (ت ١٣٢١هـ):

للشّيخ عليّ قصيدة يستنهض فيها الإمام المَهديّ عليه السلام، يقول فيها:

ما بَال ثأرك عن مَثارك نَازحُ ولكم شَجاهُ مِن الصَبابةِ صادحُ
وإلى م لمْ تَنهضْ به مُتظلِّماً والسيف في كفِ انتظارك لائحُ

السّيد محمّد رضا الهنديّ (ت ١٣٦٢هـ):

يقول السّيد الهندي في قصيدة شهيرة له:

يا صَاحبَ العَصرِ أدرِكْنا فليسَ لنَا وِرْدٌ هنيٌّ وَلا عَيشٌ لنَا رَغَدُ
طالت علينا ليالي الانتِظَار، فهل يا بنَ الزكيِّ لِلَيلِ الانتِظَار غَدُ؟!

الشّيخ عبد الهادي الفضليّ (ت ١٤٣٤هـ):

يقول سماحة سيّدي الوالد قدس سره في ختام قصيدة له بعنوان: (فِي ذِكرَى الغَدِير)[1]:

وأَثَرنَا النَّقعَ الكَثِيفَ جِهَادًا فِي غِمَارِ الحُرُوبِ تَحتَ البُنُودِ
وسَنَبقَى نُثِيرُهُ مَا حَيِينَا مَاهِدِينَ الطرِيقَ لِلمَوعُودِ

السّيد سلمان آل طعمة:

للصديق العزيز السيد سلمان آل طعمة: مؤرخ كربلاء وشاعرها، قصيدة في ذكرى المولِد المُبارك للإمام المَهديّ عليه السلام، نظمها عام

(١) أُلقِيَت بمهرجان الغدير الذي أُقيم بقرية القارة بالأحساء عام ١٤١٠هـ.

١٩٦٥م، يقول في آخر أبياتها:

يَـا حُـجَّـة اَللَّـهِ فِـي أرضِـهِ أُدرِكَ قُلُوبًـا صَبرُهَـا يَتَصَـدَّعُ

الشاعر عبد الكريم الزّرع:

للشاعر القطيفيّ الزميل العزيز عبد الكريم الزرع قصيدة بعنوان (يا منقذ الإسلام) يستنهض فيها الإمام المَهديّ عليه السلام، يقول في مطلعها:

يا سيّدي يا وليَّ العصرِ يا أملاً غنَّى بـه القلـبُ أنغامـاً وألحانا
عجِّل فما أولهَ العُشَاقَ في غَدِنا للسّـيرِ خلفَـك أنصـاراً وأعوانا

الأديب المؤرّخ عبد الخالق الجنبيّ:

يقول الجنبيّ من قصيدةٍ يستنهضُ فيهما الإمامَ المنتظر عليه السلام:

فمـا لانتظـارك لا ينقضـي وهـل ينتهـي ذلـك الابتـداءْ
وهـل يخـرج الثائـر المرتجـى ليرفـع عنـا سـيوف الجفـاءْ

السَّيِّد الأديب الدكتور عادل الحُسين:

يقول الصديق العزيز السَّيِّد عادل في قصيدة له بعنوان: (يا إمام العصر):

يَـا إِمَـامَ العَصرِ يَـا نُـورَ الوُجُودِ لَـكَ حُبِّـي مِـنْ مِهَـادِي لِلُّحُـودِ
يَا حَفِيدَ المُرتَضَى وَالقَائِدُ الأَعْلَى تُرَى هَلْ نَحـنُ فِي عَصرِ الوُعُودِ

السّيدان حسن وحسين الخليفة:

يقول السّيدان الخليفة:

رأيتُكَ أجلَى وَالمَدى مُوحُشٌ قَفْرُ تَضاحَكَ فيهِ الشّوكُ والحَنظلُ المُرُّ
ففي سَاحةٍ لم يُنجبُوكَ كأنّما سَيُخبرُهم جبريلُ ما اليومُ والشَّهرُ
وفي جهةٍ لم ينكروكَ وإنّما بتسويفهم إيَّاكَ أنْ تُظهرَ النُّكرُ
كأن لم يَرِدْ أنّ الظُّهورَ مُباغتٌ ليسترجِعَ التَّمهِيد ما أفسدَ الدَّهرُ[1]

السّيد حسن الخليفة:

يقول ابن عَمَّتنَا السّيد حسن في قصيدة يُشير فيها إلى عيوب التشتّت والتفرّق وأمراض الذات:

فَمَا غَابَ الإمام ونحنُ غِبنَا وغَيبتنَا شتاتٌ في الصُفوفِ
وغيبتنا حضورٌ في فَسادٍ تفشَّى، بل وإغرَاء العَفيفِ
وغيبتنا سَفَاسِفُ جمَّعَتنا لنَيلٍ مِن مَهابٍ أو شريفِ
وغيبتنا صراعٌ ليس إلّا عَلَى لَقَبٍ يُحَاكُ مِن الحُرُوفِ[2]

---

(١) من نصوص ديوان: (لساناً وشفتين)، للسّيدين حسن وحسين الخليفة، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ١٤١٨ه.

(٢) من مخطوطتي الخاصة.

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. نهج البلاغة.

٣. في انتظار الإمام، للعلّامة الفضليّ.

٤. بحث حول المَهديّ، للشّهيد الصّدر.

٥. الانتِظَار الموجّه، للشّيخ الآصفيّ.

٦. الكتاب المُقدّس، سفر مزامير داوُد.

٧. بحار الأنوار، للعلّامة المجلسيّ.

٨. المُقنِعة، للشّيخ المُفيد.

٩. رجال الكشي، للشّيخ الطوسيّ.

١٠. عيون أخبار الرضا، للشّيخ الصّدوق.

١١. عوائد الأيام، للشّيخ النراقيّ.

١٢. تذكرة الفقهاء، لابن مُطهّر الحلّيّ.

١٣. رسائل الكركي، للمحقق الكركي.

١٤. كتاب الغيبة، للنُعمانيّ.

١٥. الاحتجاج، للشّيخ الطبرسيّ.

١٦. منتخب الأثر، للشّيخ الصافيّ الگلپيگانيّ.

١٧. من وحي القرآن، للسيد محمّد حسين فضل اللّه.

١٨. أعيان الشيعة، للسّيد محسن الأمين.

١٩. وهم الدّولة، للدكتور سليم الحسنيّ.

٢٠. المَهديّ، للسّيد صدر الدّين الصّدر.

٢١. هكذا قرأتهم، للعلّامة الفضليّ.

٢٢. موسوعة الغَدِير، للشّيخ الأمينيّ.

٢٣. طبقات أعلام الشّيعة، لآغا بزرگ الطهرانيّ.

٢٤. سُنن الترمذيّ.

٢٥. سُنن أبي داوُد.

٢٦. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوريّ.

٢٧. تعريفات الجُرجانيّ.

٢٨. الأصول العامة للفقه المقارن، للسيد محمّد تقي الحكيم.

٢٩. البدر الزاهر، للشّيخ حسين منتظري.

٣٠. عصر الظهور، للشّيخ عليّ الكورانيّ.

٣١. الحكومة العالميّة للإمام المَهديّ، للشّيخ ناصر مكارم الشيرازيّ.

٣٢. الأحكام السُّلطانيّة، للماورديّ.

٣٣. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحاكم الحسكانيّ.

٣٤. الطرق الحكميّة في السياسة الشّرعيّة، لابن القيّم.

٣٥. المقدّمة، لابن خلدون.

٣٦. قواعد العقائد، للشّيخ الغزاليّ.

٣٧. الباب الحادي عشر، للعلّامة الحلّيّ.

٣٨. جواهر الكلام، للشّيخ النّجفيّ.

٣٩. نهضة المَهدِيّ في ضوء فلسفة التاريخ، للشَّهِيد مُطهّريّ.

٤٠. مجلة الموسم، العدد ١٠٧.

٤١. أبو الطُّفيل شاعر صفّين وفارسها، للأستاذ جواد الفضليّ.

٤٢. خصائص المجتهد المثاليّ، للشّيخ إبراهيم جنّاتيّ.

٤٣. خلاصة أصول البحث، للأستاذ جواد الفضليّ.

٤٤. نهاية العالم، للدكتور مصطفى مراد.

٤٥. دوامة الدّين والدّولة في إسرائيل، للدكتور عزمي بشارة.

٤٦. علوُّ اليهود واستكبارهم في الأرض، للدكتور مصطفى مسلم.

٤٧. وإذا جاء وعد الآخرة، للدكتور محمّد المجاليّ.

٤٨. محرقة هَرْمِجْدُون النوويّة، للدكتور عبد الستار الرّحبو.

٤٩. كنز العمّال، للمُتّقي الهندي.

٥٠. مختصر دراسة التّاريخ، لأرنولد توينبي.

٥١. التحديات الكبرى، لأرنولد توينبي.

٥٢. الدّين والسياسة في الدّولة الصفويّة، للأستاذ رسول جعفريان.

٥٣. تجريد الاعتقاد، للخواجة الطوسيّ.

٥٤. عقيدة الأُمّة في المَهديّ المنتظر، للشّيخ يوسف البرقاويّ.

٥٥. سُنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، للباحث الجزائريّ محمّد هيشور.

٥٦. المهدويّة أمل البشريّة، إعداد مجلّة بقية اللّه.